فوزي شاكر الآلوسي

سبط ابن التعاويذي
حياته وشعره

(ساعدت جامعة بغداد على طبعه)

رقم تسلسل التعضيد ١٢٥

٩٧٤ ـ ٩٧٥

مطبعة الأزهر ـ بغداد

الطبعة الاولى ١/٧/١٩٧٥م

نوري شاكر الآلوسي

سبط ابن التعاويذي

حياته وشعره

(ساعدت جامعة بغداد على طبعه)

مطبعة الأزهر - بغداد
الطبعة الاولى ١/٧/١٩٧٥م

هذه رسالة ماجستير نوقشت في قاعة الحصري
في كلية الآداب - جامعة بغداد في ٨/٥/١٩٧٥
وحازت على تقدير (جيد جداً) ٠

الاهـــداء

الى الملاك الذي دفعني وشجعني للانتهال من معين العلم والأدب الى الشعلة الوضاءة في حياتي وقد خمدت جلوتها ، الى الانسانة الكاملة ، الى الروح الطاهرة التي كانت مثال الخلق والاعتداد بالنفس ومثـال الأدب والطموح ٠ الى فقيـدتي ابنتي (ميسون) وهي في جدثها الطاهر اهدي هذا المؤلف الذي طالما حثتني على انجازه وهي تصارع المرض العضال ، وكم مرة طلبت اليّ السفر الى القاهـــرة للمناقشة وهي بأمس الحاجة اليّ وملازمتي لها ، مع دمعة حب تترقرق في عيني منذ تركتني اثن ليل نهار ٠ وقبلة وفاء ولوعة قلب اب مكلوم ، فهي كل الحيـاة عندي ، وبدونها باتت حياتي هباء ، فلتقر عيناً وهي في جدثها فقد تركت في حياتي فراغاً لن يسد وسابقى مردداً قولي :

ذكرتُ ركبَ احبائِي وقد بانا فسالَ دمعي على الخـدين هتّانا

نوري شاكر الالوسي

شكر وتقدير

يسعدني ومؤلفي هذا قد اكتمل وتبوأ مكانته في المكتبات العربية أن أتقدم بشكر نابع عن القلب لعمادة كلية الآداب في جامعة بغداد إذ أتاحت لي نقل دراستي من كلية الآداب في جامعة القاهرة الى كلية الآداب في جامعة بغداد ، وللاستاذ الدكتور جواد أحمد علوش الذي أشرف على إعداده وأفاد بتوجيهه · ومن العرفان بالجميل أن أتوجه بشكري لرئيس وأعضاء لجنة المناقشة ، الاستاذ الدكتور محمود غناوي والدكتور هادي الحمداني والدكتور يونس السامرائي لما أبدوه من توجيه وملاحظات قيمة · ولن أنسى عميد كلية الآداب في جامعة القاهرة وأساتذتها والعاملين فيها فاليهم ازجي بهمسات قلب ينبض بالحب ويفيض بالعرفان ، ويطيب لي أن أتقدم بشكري لرئاسة جامعة بغداد التي ساعدت على طبعه وجعلته في خدمة الأدب والثقافة · والله من وراء القصد ·

نوري شاكر الآلوسي

المقدمة

بقي سبط ابن التعاويذي مغموراً لا يعرف عنه أحد شيئاً مع أنه شاعر العراق في زمانه(١) وديوانه سجل حافل لذلك القرن(٢) الذي هبت فيه تيارات متعاقبة شديدة الفتك والقوة ، فكان شأن العرب في انحدار دائم نتيجة تلك الاعاصير المخيفة التي كادت أن تقتلع امتنا وتمحو ديننا . فالصليبيون يعملون على محو الاسلام بحقد وهمجية وقسوة(٣) ، والفرس والسلجوقيون يعملون ليل نهار على إبادة العنصر العربي وانتزاع الخلافة من العباسيين ولكن امتنا وديننا ثبتا واستطاعت الدولة العباسية أن تقف على قدميها في النصف الاول من القرن السادس الهجري وقد ازيل عنها كابوس الذل والعبودية بعد طرد السلاجقة من بغداد سنة ٥٥٢هـ ، فكانت صيحات سبط ابن التعاويذي التي تشكل مقاومة عربية اسلامية تقف سداً منيعاً أمام الطامعين وقوة هائلة لشحذ العزيمة للمخلصين وقد اُخذت به حين سمعته يوقد جذوة النضال في قلب البطل صلاح الدين الايوبي وهو يوقع في الروم ويريهم من بطولات العرب ما لم يروه من قبل :

---

(١) جاء في وفيات الاعيان ٤/٩٠ (كان شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع شعره بين جزالة الإلفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها وهو في غاية الحسن والحلاوة ، وفيما اعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه) .

(٢) ينظر معجم الادباء ١٨/٢٣٥ وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٥٥ .

(٣) جاء في المنتظم لابن الجوزي ٩/١٠٨ « ان الصليبيين قتلوا في المسجد الأقصى عند احتلالهم لـه سنة ٤٩٢ هـ ما يزيد على سبعين الفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم . فكان لهذه الحادثة المروعة صدى عميق هزّ العالم الاسلامي فوصل الخبر الى بغداد فابكى العيون وفي الجوامع استغاثوا وبكوا من قتل الرجال وسبي الحريم والاولاد ونهب الاموال » وينظر الكامل ١٠/٢٨٣ـ٢٨٤ .

فاصبَح بلادَ الروم منك بغارة للنصر فيها رائد لا يكذب

واحسِمْ بحد ظُباك داءً حسمُه ودواؤه بعد التفاقم يصعُب

حتى يُرى للمشرفية مَطعَمُ بالفتك من تلك الدماء ومَشرَب(٤)

وشعرت حين سمعته ينشد بحماسة بالغة للنصر الذي أحرزه المسلمون على الروم سنة ٥٧٢هـ برعدة لها بين جلدي والعظام دبيب :

خبرٌ طبقت بشائرُه الأرضَ فمنه الضراء والسراء

فهو في الروم والكنائس رُزءٌ وهو في الشام والعراق هناء

وتراه في سمع قومٍ نعياً وهو في سمع آخرين غناء

وقعةٌ بالثغور أمسى لكلب الروم فيها من الزئير عُواء

شارفتهم زرق الأسنة هيماً وانثنت وهي بالدماء رِواء(٥)

ويشوق الإمام المستضيء ويحثه على متابعة النصر في جبهات أخرى :

ولَتوفي على أقاصي خراسان غداً منك غارةٌ شعواء

بجيوشٍ تُصيم مَسْمَعَ أهلِ الصين منها كتيبة خرساء(٦)

ومما دفعني الى اختيار سبط ابن التعاويذي هي هذه الحلاوة والطلاوة في شعره وهذه السلاسة وهذا الجمال ، فحري بنا أن نقف على كل قصيدة من شعره محللين منقبين مستخرجين نفائس المعاني المبتكرة مبرزين الالفاظ المتخيرة وقد طابق بينهما مطابقة جعلت من شعره قيثارة ولحناً أخاذاً يصل الى القلب بلا اذن ، متدفقاً عن طبع خالياً من التكلف مع جمال التركيب وسلامته من ظلمة التعقيد :

---

(٤) الديوان ص ٢٥ • المشرفية ــ السيوف اللامعة واصلها (المشرفي المنسوب الى قرى من أرض العرب اسمها مشارف الشام • منها السيوف المشرفية وقيل نسبة الى موضع في اليمن) •

(٥) هيم ــ جمع هيماء ــ شديد العطش •

(٦) الديوان ص ٣ ، ٤ •

بالقصر من بغداذَ لا بَطياسِ أهيفُ مثلُ الغُصُنِ المياسِ(٧)
كالشمس مطبوع على الشِماسِ يُخجله ما بي من الوَسْواسِ
ليس لجُرحي في هواه آسِ عَداه بَلبالي وما اُقاسي
يُسكرني بلحظه والكاس سقاك من مَعالم أدراس(٨)

ثم نفيض من صيحاته على جيلنا ليطلع على شعر شاعر كانت له مكانته التي لا تضاهي ونمتع بوقفات له مشرفة في سبيل العروبة والاسلام والعاملين في سبيلهما بصدق وحماسة وشجاعة لا تعرف التهيب ليزدادوا إصراراً وصلابة في سبيل العقيدة وتفانياً في الذود عن كرامة الأمة والوطن · وقد نسي هذا الشاعر الصائح في زماننا ولم يعرفه الا باحثون قليلون فرأيت أنه قد آن الأوان لأن أخرج هذا الكنز المطمور ليشع لابناء العروبة والاسلام وقد حدا لهم أيام المحن مواسياً وغنى لهم وقد أصبحت دنياهم تعز على من رامها وتطول ، وليتخذ منه الشعراء مثالاً في صلابة العقيدة والصراحة والجرأة :

اذا نال الفتى شِبَعاً بذُلٍ اجعني واقياً عِرضي أجعني(٩)

فاندفعت أبذل الجهد لإعادته وأدبه الى الحياة وازالة ما علق به من غبار النسيان عبر قرون عديدة فاذا هو شيخ مهيب زاهي المكانة تعلوه سمات المفلقين من الشعراء التقليديين واستمعت اليه يمدح الامام الناصر بانتشاء واعجاب :

يُعدُ لارهاب العِدى كل لَيِّن المهزّ قويم المتن معتدل القد

ومنها :

وعارض موت أحمر بكرت به سراياه في يوم من النقع مسود
تزمجر في أرجائه أسُدُ الشرى وتلمع في حافاته قُضُبُ الهند
يَسُدُّ الفضاءَ الرحب منه بجحفلٍ كأنك قد أشرفتَ منه على السُد(١٠)

---

(٧) ماس ـ يميس ميسان وتميس الرجل : مشى وهو يتمايل ويتبختر فهو مائس ومياس وميسان وميوس ·
والاهيف : ضامر البطن رقيق الخصر وهي هيفاء جمعها ـ هيف ·
(٨) الديوان ص ٤٨٥ ·
(٩) الديوان ص ٤٤١ ·
(١٠) الديوان ص ١٤٩ ، ١٥٠ ·

أما المصادر التي اعتمدت عليها فمنها ديوانه الذي عنى بطبعه المستشرق د. مرجليوث الاستاذ في جامعة آكسفورد سنة ١٩٠٣ في القاهرة ، ويسر شعره للدارسين وعلى ديوانه المخطوط بنسختين نسخة عثرت عليها في مكتبة كلية البنات الملغاة ونسخة ثانية حصلت على صورتها عن نسخة صورتها جامعة الدول العربية ولكني وجدت أن النص في بعض الاحايين يحتاج الى الرجوع الى المصادر وهذا ما فعلت ، واعتمدت المصادر ذات الاهمية في التقيد بالواقعية وعدم المحاباة وهي حسب أهميتها بالنسبة لهذا البحث : خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصبهاني . وأهمية الرجوع اليها تكمن في كونه صديقاً حميماً لشاعرنا وعاشا حقبة معاً في بغداد وبقي شاعرنا معه على وداد ووفاء بعد أن أصبح العماد مديرا لمملكة صلاح الدين الايوبي ، وقد اهتم المؤلف بشاعرنا فذكر شيئاً في الجزء الثالث عن سيرته وشعره والمراسلات التي تمت بينهما وتثمينه لشاعريته وليس لأحد الملم بالقرن ما لم يقف على هذا المؤلف .

وفيات الإعيان لأبن خلكان : وهو من أهم المصادر وأكثرها دقة في تحري الحقيقة ـ معتمد كل المؤلفين ـ ولا يستغنى عنه أبداً وله أهمية خاصة في دراسة شاعرنا لكثرة عنايته بسيرته وكثير ما أورد من شعره وفيه الكثير مما ليس موجودا في الديوان المطبوع مع إعجابه بالشاعر وحكمه له بأنه أشعر شعراء القرن بل لا يضاهيه شاعر لمائتي سنة خلت .

نكت الهميان في نكت العميان ، للصفدي ، وفيه أخبار عن شاعرنا ونقل له شعرا كثيرا ، فقد أفرد له في أول مؤلفه لا يراد نصوص من شعره ثم افرد له ترجمة خاصة به يذكر عن سيرته والمتصلين به ويشير الى ديوانه الذي يجتمع فيه الشعراء والادباء والشيخ شهاب الدين محمود وغيرهم ممن كانوا يؤمنون باسلوبه ويقتفون طريقه .

نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ليوسف الصنعاني : وهي مخطوطة في مكتبة كاشف الغطاء في النجف الاشرف بمجلدين . وقد أورد المؤلف شعرا لشاعرنا ونبذة عن سيرته ويثمن شاعريته بأنه أشعر أهل العراق . معجم الادباء

لياقوت الحموي وقد أفرد له ترجمة ضافية ٠

وهناك مصادر اخرى كثيرة منها ـ الكامل في التأريخ ـ لأبن الأثير ، والوافي بالوفيات لصلاح الدين بن أيبك الصفدي ، وفوات الوفيات ـ لأبن شاكر الكتبي والفخري في الآداب السلطانية ـ لأبن الطقطقي والتكملة لوفيات النقلة لزكي الدين المنذري ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ليوسف الاتابكي ، والمنتظم لأبن الجوزي ٠ والأنساب والذيل ـ للسمعاني ٠ وكشف الظنون ـ لحاجي خليفة ٠

واعتمدت فوق كل هذا على دراستي لعصره الذي عاش فيه ووجدت الصعوبات في الوقوف على نشره الذي طال اشتياقي للتثبت منه ، وبخاصة مؤلفه « الحجبة والحجاب » بيد أني كنت كجار وراء سراب ، فما ازددت ـ وأنا أتنقل بين مكتبات القاهرة والاسكندرية طوراً وبين مكتبات بغداد رسمية وأهلية طوراً آخر الا تلهفاً لضالتي المنشودة ، وعدت بعد جهد جهيد مكدود الخطى اطيل النظر في مؤلفات المؤرخين كالعماد وابن خلكان واضرابهما من الأقدمين ، وأتلمس ما أريد أن يشفي غليلي عند بعض المعاصرين فما جنيت إلا طول العناء وأنا اردد قولي :

طال اشتياقي فهل في الكأس من وشل ... من الأماني تروي قلبي الظامي

وأكبر الظن أنها مفقودة ، كما وجدت الصعاب وأنا أبحث على ما يدلني على مصدر استقائه أدبه وشعره ، فان المصادر كلها أغفلت ذلك ولم تشر اليه ، وكثيراً ما شكا شاعرنا من كساد سوق الشعر في عصره وعدم تقييم الشعراء واحلالهم المنزلة التي يجب أن يكونوا عليها :

لحا الله ليلاً في العراق سهرته ... انقحُ في مدح اللئام القصائدا
وأنسج من وشي القوافي حبائرا ... واخرجُ من نَظم المعاني فرائدا
فلما نضى عني الظلامُ رداءَه ... تَيممتُ سوقا للمدائح كاسيدا(١١)

وقد بحثت في مكتبات النجف الاشرف ، فما حصلت على أكثر مما ورد في المصادر التي ذكرتها ، وقسمت بحثي الى : مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة ٠

---

(١١) الديوان ص ١٤٢ ٠

ويشتمل التمهيد على عصره الذي عاش فيه ، وألقيت نظرة عجلى على الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والإقتصادية والثقافية والأدبية ٠ والباب الأول في سيرة الشاعر وهو في ثلاثة فصول ، الفصل الاول منها في حياته والفصل الثاني في صفاته وأخلاقه وطباعه ، والفصل الثالث في ثقافته ونزعته الاسلامية ، والباب الثاني وعنوانه : سبط ابن التعاويذي الشاعر في أربعة فصول هي : الفصل الأول في شعره وتناولت دراسة ديوانه وأقوال الباحثين في شعره والفصل الثاني درست فيه خصائص شعره العامة وأوزانه وقوافيه ٠ والفصل الثالث وقد تناولت فيه أغراض شعره بالدراسة مفصلا المهم منها ذاكراً ما يأتي بعده في الأهمية ٠ والفصل الرابع ويتناول شعره بين القديم والجديد وتأثره بالقدماء ، وابداعه ومركزه في الشعر العربي وأثره في الشعراء الذين جاءوا بعده ٠ وأنهيت البحث بخاتمة لخصت فيها دراستي وأبنت ما فيها من جديد ٠

وأرجو أن أكون قد خدمت بجهدي المتواضع هذا أمتي العربية وأبناء الضاد في كل مكان ، وآمل أن يسد هذا البحث فراغاً في المكتبة العربية ، والله أسأل أن يقينا الزلل ٠ وأن يوفقنا لما فيه الخير ، وهو نعم المولى ونعم النصير ٠

التمهيد

تمهيد في عصر سبط ابن التعاويذي

أ ـ الحياة السياسية :

لم يكد القرن الخامس الهجري يقبل الى نهايته حتى رأينا بلاد العرب كرة يتقاذفها خصوم أشداء قساة تارة ويتعاورها الطامعون في الحكم تارة اخرى سواء كانوا حكاما عربا أم من أصل غير عربي ، فالبلاد عرضة لاطماع الأتراك والفرس والروم • والخلفاء ووزراؤهم أكثر من يكتوي بنار ذلك الطمع فمن سمل للعيون الى حرق بالنار الى المثلة الى تعذيب تتفطر له القلوب مما يرينا سوء الحالة وما وصلت اليه من تمكن العناصر الدخيلة في الحكم وسيطرتها على الجيش فغدا بيدها الامر والنهي وقد أصبح الخلفاء دمىً لا حول لهم ولا قوة وبغداد الى ذلك كله تنكب بالغرق (١) أو تهدد بالزلازل المدمرة أو القحط الشديد أو الوباء المروع •

ففي الشرق حيث مقر الخلافة العباسية فالخليفة المقتفي لأمر الله (٢) وقد تولى الخلافة سنة ٥٣٠هـ بعد أن خلع الراشد لدين الله إثر محاولته اخراج السلاجقة لأنهاض الخلافة من كبوتها كما حاول المسترشد من قبله سنة ٥٢٩هـ فأودت المحاولة بحياته (٣) • وقد رأى المقتفي ما عليها البلاد من الفوضى والفساد وهي تعاني من الاستعباد على يد السلاجقة (٤) الذين كان بأيديهم الامر والنهي (٥)

---

(١) جاء في الكامل ١١/٢٤٧ ان الفيضانات المدمرة التي حدثت في بغداد كانت في السنوات ٥٤٤ ، ٥٦٩ ، ٦٥٢ ، ٦٥٤هـ •

(٢) جاء في الكامل ١١/١٨ (ان الامير أبا عبدالله محمد بن المستظهر رأى النبي (ص) قبل أن يلي الخلافة بستة أيام يقول له « ان هذا الامر يصير اليك فاقتف بي » فلقب بالمقتفي لامر الله •

(٣) جاء في الكامل لابن الأثير ٨/٣٤٥ ان الخليفة المسترشد كان أول الامر الى جانب مسعود ولكنه غير موقفه سنة ٥٢٩هـ وقاد جيشها لحربه فوقع بين يديه فدس عليه الباطنية وقتلوه من السنة نفسها •

(٤) السلاجقة من الاتراك الغز : يلاحظ الكامل لابن الأثير ٩/٤٧٤ •

(٥) كان في العهد السلجوقي كما في العهد البويهي قبله ـ سلطتان في آن واحد ـ سلطة الخليفة وسلطة السلطان • (الراوندي في راحة الصدور ص ١٠٥ وحتى ٢/٥٧) •

وقيادة الجيش (أما الخليفة فليس له من الأمر الا الاسم لا يتعدى بابه ولا يتجاوز جنابه) (٦) وتذرع بالصبر على هذا الواقع المؤلم وقد رفض مسعود السلجوقي مبايعته بالخلافة واشترط عليه (ألا يكون معه كراع ولا آلة سفر الا ما يحتاجه لركوب نفسه لا غير) (٧) وحين توفي مسعود سنة ٥٤٧ هـ وسمع بذلك المقتفي لأمر الله قال (لا صبرَ على الذل بعد اليوم) (٨) ثم جمع العساكر يشد إزره وزيره ابن هبيرة (٩) وقد آزره مؤازرة من الطراز الاول (١٠) فبسط نفوذه على واسط والحلة وسار في توطيد استقلال العراق شوطاً كبيراً (١١) بعد أنْ أخرج السلاجقة بالقوة وراح يبني مجد أجداده بعيداً عن التدخل الاجنبي وقطع الطريق على كل حاقد وطامع ، فقد حاصر السلطان محمد السلجوقي بغداد سنة ٥٥١هـ (١٢) لاعادة سيطرتهم وبسط نفوذهم على بغداد ولكن المقتفي تصدى له وجهز جيشه يسانده العامة (١٣) الذين استعان بهم على رد المعتدي ، وكانت حرباً طاحنة مات فيها خلق كثير انتصر فيها المقتفي وشعبه وفرّ السلطان السلجوقي محمد ساحباً أذيال الخيبة ونعم الناس بالأمن وفرحوا بالاستقلال (١٤) . ثم يتولى الخلافة المستنجد بأمر الله يوسف سنة ٥٥٦هـ بعد وفاة والده المقتفي وسار على سنة أبيه

---

(٦) النبراس في تأريخ بني العباس ـ ص ٤٤ لابن دحية .

(٧) العسجد المسبوك للخزرجي مخطوطة ورقة ٥٦ .

(٨) تاريخ دولة آل سلجوق ـ للعماد الاصبهاني ـ اختصار البنداري ص ٢١٤ ،

(٩) يحيى بن محمد بن هبيرة ولد سنة ٤٩٩ واستوزر للمقتفي سنة ٥٤٤ وتوفي سنة ٥٦٠هـ وكان من أخلص الناس للمقتفي وقد مدحه في حياته كثير من الشعراء منهم سبط ابن التعاويذي ورثاه ببيتين لا وجود لهما في ديوانه وهما موجودان في خريدة القصر للعماد الاصبهاني : وفي المخطوطة ورقة ١٧٦/٢ .

قال لي والوزير قد مات قوم ... قم نبكي أبا المظفر يحيى
قلت أهون بذاك عنديَ رزءاً ... ومصاباً وابن المظفر يحيا

(١٠) يلاحظ البنداري ص ٢٣٤ .

(١١) الكامل لابن الاثير ٢١٣/١١ .

(١٢) المنتظم لأبن الجوزي ١٦٨/١٠ـ١٧٥ والكامل ٢١٢/١١ـ٢١٥ .

(١٣) المنتظم لابن الجوزي ١٧٠/١٠ والكامل ٢١٣/١١ .

(١٤) الفخري في الآداب السلطانية ص ٣٣٣ . والكامل ٢١٣/١١ .

وقد نجا من محاولة سخيلية أبيه لقتله (١٥) وضرب بني أسد لمساعدتهم السلطان السلجوقي محمداً حين حاصر بغداد وقضى عليهم وثبت استقلال العراق (١٦) وبعد أن قام بقتل المستنجد أحد كبار المماليك بمعاونة استاذ الدار عضدالدين حيث أدخل حماماً حاراً وهو مريض وبقي يستغيث ويستنجد حتى مات من الحرارة (١٧) ولي الخلافة ابنه المستضيء بأمر الله سنة ٥٦٦هـ تحت شروط وافق عليها فسار بقوة وحزم وأخذ البلاد الى الرفعة ، وأعيدت الخطبة في زمنه في مصر الى العباسيين سنة ٥٦٧هـ وفي اليمن بعد أن قضى شمس الدين شقيق صلاح الدين على المهدي ، فارتفعت مكانة الخليفة العباسي بعد استقلال الخلافة وسقوط دولة الفاطميين في مصر (١٨) . ومدحه شعراء عصره لهذه الفتوحات التي أخذت الخلافة العباسية الى المكانة المرموقة وأخذ يبني بلاده بقوة وكان حسن السيرة محباً للعفو متسامحاً محبوبا من شعبه فزهت الدولة في زمانه وعمت الطمأنينة بعد القلق وعاش الخلق حياة وارفة حلوة لم يروا مثلها فبكوه كثيرا حين توفي سنة ٥٧٥هـ وقيل في أيامه (١٩) :

كانَ أيامه من حسن سيرته   مواسِمُ الحجِ والأعيادِ والجمعِ

ثم آل أمر الخلافة من بعده الى ولده الناصر لدين الله فقد سعى بها الوزير ظهيرالدين ابن العطار الذي قبض عليه فيما بعد وقتل وأُخرج على رأس حمال سراً وحين علم به الناس طرحوه أرضاً فمثلوا به مع أنه كان جيد السيرة عدلا بين الناس (٢٠) . وكان الناصر من أذكى الخلفاء العباسيين وأبصرهم بالامور وأكثرهم دراية وعلما طيلة حكمه الذي دام سبعاً وأربعين سنة ، فقد وقف كل جهده لإعادة

---

(١٥) تأريخ مختصر الدول ـ لابن العبري ص ٢١١ .

(١٦) الكامل لابن الاثير ١١/٢٩٦ .

(١٧) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة ٢ ق٢/٢٦٥ـ٢٦٧ والكامل ١١/٣٦٠ـ٤٥٩ .

(١٨) الكامل ١١/٣٧١ .

(١٩) الكامل لابن الاثير ١١/٤٥٩ .

(٢٠) الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي ص ٢٦٩ـ٢٨٧ .

هيبة الخلافة وإعادة أمجاد العرب والمسلمين كما كانت في أيام عزها وقضى على كل أثر للسلاجقة ببغداد (٢١) وكان محباً للعلم والعلماء والشعر والشعراء وقد جعل خزائن كتب مفيدة وقفاً على المسلمين (٢٢) وعمل على توسيع رقعة الدولة فملك تكريت وعنه وحديثة سنة ٥٨٥هـ وملك الاهواز سنة ٥٩٠هـ ثم أرسل جيشه فسيطر على بلاد الري وأصبهان وهمدان (٢٣) وبعد وفاته سنة ٦٢٢هـ (٢٤) جاء بعده خلفاء لم يستطيعوا أن يسيروا سيرته من الحزم والدهاء فسارت الدولة في طريق الانحلال والتدهور ولملمت شمسها أذيالها واتجهت الى الأفول مسرعة فكانت نهايتها المحتومة بالهجوم المغولي الذي قضى على كل شيء ومحا كل شيء (٢٥) ٠

أما في مصر والشام حيث قيض الله صلاح الدين الايوبي (٢٦) لتواكبه راية العروبة والاسلام خفاقة فيعلم الروم في الذود عن الكرامة والعقيدة ما لم يعلموه

---

(٢١) الكامل لابن الأثير ٥٦٠/١١ قال : طلب طغرل السلطان السلجوقي من الخليفة الناصر لدين الله سنة ٥٨٣هـ أن يعمر له دار السلطنة ليسكنها عند وصوله بغداد فأمر الناصر بهدم دار السلطنة الى الارض وعفى أثرها ومحا كل أثر للسلاجقة ببغداد ٠

(٢٢) خلاصة الذهب المسبوك للاربلي ص ٢٨١ ٠

(٢٣) الكامل ١٠٩/١٢ ٠

(٢٤) النجوم الزاهرة ٢٩٦/٦ وتأريخ مختصر الدول ص ٢٣٧ ٠

(٢٥) جاء في النجوم الزاهرة ٢٩٦/٦ : نزل التتار سنة ٦٣٤هـ على أربيل وحاصروها ثم أخذوها عنوة وقتلوا كل من فيها وسبوا وفضحوا البنات وصارت الآبار والدور قبوراً للناس وجاء في تأريخ دول الاسلام للذهبي ١٢١/٢ (وقد حصدت سيوف التتار من رقاب أهل بغداد ألف ألف وثمانمائة وزيادة) ٠

(٢٦) هو يوسف بن الامير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان ولد بتكريت سنة ٥٣٢هـ (النجوم الزاهرة) ٣/٦ وتوفي في دمشق سنة ٥٨٩ وعمره سبع وخمسون سنة تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٢ ٠

من قبل . فلما دخل أسدالدين شيركوه(٢٧) مصر سنة ٥٦٤هـ(٢٨) أخذت تحاك المؤامرات لقتله واتخذ شاور وزير العاضد الخليفة الفاطمي أداة لذلك لعدم اطمئنانه لقدومه وراح يماطله في الطاعة ليستفيد من الفرصة لاكمال المكيدة ثم يرتد كيده الى نحره فيقبض عليه صلاح‌الدين ابن أخ شيركوه ويأسره ويقتله سنة ٥٦٤هـ (٢٩) ثم يرسل رأسه للخليفة العاضد . ويتولى الوزارة أسد الدين شيركوه ولقبه الخليفة العاضد بالمنصور وقد مات بعد أن استتب له أمر مصر فتولى الوزارة من بعده ابن أخيه صلاح‌الدين ولقبه الخليفة العاضد بالملك الناصر فسار بدهاء واستولى على الديار المصرية ومهد امورها وأمر بقطع الخطبة للعاضد وخطب للمستضيء في بغداد (٣٠) ففرحت بغداد أشد الفرح وأكرمت صلاح‌الدين شديد الإكرام فتغنى بهذا النصر العظيم شعراء عصره كافة (٣١) ومنهم سبط ابن التعاويذي حيث عمل قصيدة طنانة مدح بها المستضيء وذكر هذا الفتوح المتجدد له وفتوح بلاد اليمن وهلاك الخارجي(٣٢) ومطلعها : (٣٣)

---

(٢٧) شيركوه ـ بكسر الشين والراء وضم الكاف والواو ومعناه « أسد الجبل » فشير أسد وكوه : جبل .

(٢٨) النوادر السلطانية ـ لبهاءالدين بن شداد ـ تحقيق الدكتور جمال‌الدين الشيال ص ٣٦ .

(٢٩) النجوم الزاهرة ٦/٦ س ٥٦٧ .

(٣٠) النجوم الزاهرة ٦/٧ سنة ٥٦٧ هـ وفيها تم انقراض الدولة العلوية .

(٣١) جاء في النجوم الزاهرة ٦/٥٨ قول ابن خلكان « وقد مدحه جميع شعراء عصره » .

(٣٢) المقصود به علي بن مهدي أبو الحسن المعروف بـ عبدالنبي صاحب زَبيد باليمن حيث ثار واستولى عليها وقطع الخطبة العباسية وكان ظالما فاتكا فسيرَ اليه صلاح‌الدين أخاه شمس‌الدين فقضى عليه وأقام فيها الخطبة للعباسيين « النجوم الزاهرة » ٦/٩٦ س ٥٦٩ .

(٣٣) القصيدة ليست موجودة في ديوان سبط ابن التعاويذي وقد ذكر منها ابن خلكان في وفيات الأعيان ٦/١٥٩ـ١٦١ أربعين بيتاً وقد عثرت عليها في مخطوطة ديوانه وأبياتها تسعة وستون بيتاً . ورقة : ٢٧ .

قُــل للسـحابِ اذا مَــرَّتْـ ـهُ يـدُ الجَنائِبِ فارجحن

ومنهـا :

وأتتك أسلابُ الملـوك مـن الصعيــد الى عــدن

سَلَبُ الدعي(٣٤) بأرضِ مصر والمضلـلِ (٣٥) في اليمـن

ثم استولى صلاح الدين على الخلافة بعد موت العاضد (٣٦) وامتد سلطانه الى دمشق وحمص وحماة واليمن وألقى الرعب في قلوب الفرنج ثم آل الأمر كله اليه بعد موت نورالدين محمود سنة ٥٦٩هـ ٠ وسمع يتغنى بشعر يذكر فيه وقعة الرملة سنة ٥٦٨هـ بعد ان كسر أخوه شمس الدين انرف الفرنج (٣٧) :

ذكرتك والخطي يخطـر بيننـا وقـد نهلت منـا المثقفـة السمر

وفي تلك الوقعة قال النشو بن نفاده :

هـلاك الفـرنج أتى عـاجـلاً وقـد آن تكسـيرُ صلبانِهـا

ولو لم يكن قـد دنـا حتفُهـا لمـا عمّــرت بيتَ أحزانهـا

ثم تأتي سنة ٥٧٥هـ فيضرب حصن بيت الاحزان ويطهره من أرجاس الروم ، فقال في ذلك الشاعر الامير نجم الدين يهنئه :

هنيئاً صلاحَ الدين بالفتح والنصر ونيلِ الاماني الغر والفتكةِ البكر

ثم امتد سلطانه الى الجزيرة وقاد الجيوش وحاصر بيت المقدس وتم له فتحه سـنة ٥٨٣هـ(٣٨) حيث أطبـق عليهـا من كل جانب فتطايرت الصلبان وتخـاذل

---

(٣٤) جاء في كتاب الروضتين لابي شـامة في الجـزء الاول ص ٢٠١ : ان نسب الخلفاء الفاطميين في مصر لم يكن صحيحا والى هذا أشار الشاعر ٠

(٣٥) يعني الخارج في زبيد والذي لقب نفسه بالمهدي وقد أشرنا الى ذلك قبل هذا ٠

(٣٦) جاء في النجوم الزاهرة ٢٠/٦ سنة ٥٦٧ هـ عن ابن الاثير (وتوفى العاضد وجلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره وجميع ما فيه) ٠

(٣٧) الكامل ١٣٢/١١ ٠

(٣٨) جـاء في البداية والنهاية ٣٢٦/١٢ (ان الملك نورالدين محمود طمـع أن يعيش الى سنة ٥٨٣هـ حتى يفتح الله على يديه بيت المقدس) حيث وقع في تفسير ابن برجان « ابن برجان : عبدالسلام بن عبدالرحمن اللخمي متصوف من مشاهير الصالحين له كتـاب في تفسير القـرآن ٠ توفى سنة ٥٣٦هـ » (الاعلام ١٢٩/٤) ٠ في أول سورة الروم أن بيت المقدس سيفتح في هذه السنة فأعد منبراً عظيماً لذلك ٠

عبدتها وربط ملوك الفرنج ـ الذين تحالفوا فيما بينهم على قهره ومحو الإسلام(٣٩) ـ بطنب الخيام وأزال ما حول الصخرة المعظمة من المنكرات وبنى للشافعية مدرسة يقال لها الصلاحية أو الناصرية على قبر (حنه أم مريم) (٤٠) وأشاد للاسلام هيبته (٤١) ٠

ب ـ الحياة الاجتماعية والدينية :

أصبح الشعب في العصر العباسي خليطا من العرب والاعاجم والترك والنبط والارمن والجركس والاكراد والكرج والبربر (٤٢) وقد تفاعلت هذه الأجناس نتيجة الاختلاط والزواج وامتزج الدم فتكون هذا المجتمع الجديد الذي لا يعرف له لون ولا جنس ولا شخصية خاصة فاختفى ذلك الشعور الذي كان يميز العربي عن غيره واختفت بعض العصبيات وبخاصة في أواخر العصر العباسي ، بيد ان الاهتمام بالنسب والشرف بقي راسخا في النفوس وفي القيم الاجتماعية ، وبقي العلويون والعباسيون متميزين من حيث الغنى والنفوذ ٠ وظل العباسيون القادريون يحتلون المنزلة الاولى في المجتمع (٤٣) وبقيت الخلافة محتفظة بتقاليدها ولم تسمح لاحد بمصاهرتها أو أن تحدثه نفسه بذلك ، الى أن كسر هذا القيد وخرج على هذا العرف طغرلبك حين تزوج « الأسمى » ابنة الخليفة القائم (٤٤) وهذا ما لم يجر لاحد

---

(٣٩) جاء في الصفحة ٨٦ من كتاب ـ دراسات في الشعر فيعصر الايوبيين للدكتور محمد كامل حسين ما يلي (استولى الصليبيون على انطاكيا واورها والقدس وكثير من المدن الاخرى سنة ٤٩٢هـ وأسسوا لهم أول امارة صليبية في وسط العالم الإسلامي وازداد طمعهم حتى طمعوا في محو الاسلام والمسلمين من العالم) ٠

(٤٠) البداية والنهاية ٣٢٩/١٢ ٠

(٤١) لقد ثأر صلاح الدين للمسلمين حين قال للبرنس « هأنا أنتصر لمحمد منك ، وقطع رأسه بعد أن عرض عليه الاسلام فلم يفعل » ، النجوم الزاهرة ٣٤/٦ ٠

(٤٢) تأريخ الاسلام السياسي للدكتور حسن ابراهيم ٦٢٥/٤ عن « المنتظم لابن الجوزي ٠

(٤٣) القادريون ـ نسبة الى القادر ابن المعتضد ، (ابن الاثير ١٠/١٢ـ١٦ من س ٤٥٠ ، ٤٥٤ وابن الجوزي ٢٩٤/٨) ٠

(٤٤) سيدات البلاط العباسي ص ١٠٨ ، ١٣١ ٠

قبله ، فان بني بويه مع تحصنهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا بمثل هذا (٤٥)، أما الخلفاء أنفسهم فكانوا يتزوجون من يشاءون (٤٦) فقد تزوج المقتدر بنت ملكشاه (٤٧) وتزوج القائد أرسلان خاتون بنت داود السلجوقي (٤٨) ، ويلاحظ ظهور طبقتين متميزتين بعضهما عن بعض ، طبقة الخاصة ، وتضم امراء المماليك وهم من المماليك الذين تنقلوا عن طريق الاهداء أو الشراء حتى وصلوا الى الخليفة فضمهم الى جيشه وتقدموا فيه ، وراح يتخذ منهم الامراء والقادة ، وامراء الحج وسكان الإقاليم ، وهم يستمدون سلطانهم من شخص الخليفة لانهم مماليكه ، ومن الخاصة ايضا كبار الموظفين والأمناء (٤٩) والتجار ذوو الثراء وبعض العوائل البارزة مثل « بيت الرُفَيْل » (٥٠) وقد كان سبط ابن التعاويذي شاعرهم ومنقطعاً اليهم وله فيهم مدائح كثيرة (٥١) ، منها قوله :

وما زلتُ في آلِ الرُفَيْلِ بمعزلٍ عن الضيم مبذولا لي الأمن والخِصب(٥٢)

وآل الدوامي وله فيهم مدائح رقيقة منها قوله :

يابنَ الدوامي الذي هو بالمكارم ذو لَهج(٥٣)

وكانت هذه البيوتات توصف بالفضل والرياسة والكرم

وطبقة العامة وهي التي تتمكن فيها العاطفة الدينية فهم اذا اشتد الظلم استغاثوا بالله وتضرعوا اليه ليزيله عنهم ، وكان يحركهم الخليفة ويلعب بعواطفهم

---

(٤٥) الكامل ـ لابن الاثير ١٠/٥٤٤ .

(٤٦) الحوادث الجامعة ـ لابن الفوطي ص ١٦٩ وسيدات البلاط العباسي ص ١٠٠ ـ ١٠٢ .

(٤٧) الكامل ـ لابن الاثير ص ٤٦٤ .

(٤٨) سيدات البلاط العباسي ص ١٠٠ـ١٠٧ .

(٤٩) العراق في عهد المغول ، د . جعفر خصباك ص ٢٦٢ .

(٥٠) الفخري في الآداب السلطانية ص ٣١٩ حول بيت الرفيل .

(٥١) الحوادث الجامعة ص ١٣٨ .

(٥٢) الديوان ص٣٠ وهي قصيدة طويلة تضم خمسة وسبعين بيتاً ومطلعها :
آبثكم اني مشوقٌ بكم صَبٌ وان فؤادي للاسى بعدَكم نَهْبُ

(٥٣) الديوان ص ٧٣ .

اذا رأى خطرا محدقاً به وبكرسيه فيلقون بأنفسهم في المخاطر دفاعا عنه • وتارة يجنحون الى البكاء بين يديه اذا هو أنَّبَهم أو هددهم (٥٤) ، ويشكلون أغلب الشعب من فلاحين وكسبة وصناع وصغار الموظفين • اما المماليك فلم يكونوا طبقة كبيرة ولم تكن لهم منزلة مرموقة وهم خاضعون لمالكيهم الذين يفعلون بهم ما يشاؤون ومع هذا فقد اساءوا كثيرا حين حكمهم الخلفاء واتجهوا بنهم الى جمع المال والافساد • فمثلا المملوك سنقر المستنجدي حين قبض عليه سنة ٥٧٧هـ وجد عنده مائة ألف دينار عيناً ومن الخيل والاثاث ما قيمته أكثر من ذلك (٥٥) • وسكان العراق إما من سكنة المدن وهم على مقدار من الثقافة ورقة الطبع ، أو من سكنة القرى والبادية وقد عرفوا بخشونة الحياة ووعورة الطباع وعدم تقبلهم الاندماج في المجتمع الذي يعيشون فيه وتتغلب فيهم روح التمرد على السلطة والخروج على النظام مع انشغال بالاغارة وبالسلب والنهب والقتل (٥٦) ويضاف الى هذه الطبقة في هذا السلوك العيارون الذين اعتبرهم المؤرخون سراقاً وقتلة وفساقا (٥٧) وكانوا يشكلون مع العامة عاملا من عوامل اضطراب الامن في أرجاء البلاد (٥٨)، وكان للظروف الاقتصادية والسياسية تأثير في الحياة الاجتماعية وتحديد سلوك الافراد والجماعات • وهناك من الباحثين من يرد المجتمع العباسي الى أربع طبقات متباينة متغايرة فيما بينها ، طبقة السلاطين والحكام وهي الطبقة العليا المتميزة في كل شيء وطبقة علماء الدين ويحتلون المنزلة التالية للحكام وهم محترمون عند السلاطين يستشيرونهم ويقربونهم ، وطبقة كبار التجار وهم المثرون والاغنياء ويرتفعون الى منزلة الخاصة ويجالسون الامراء والسلاطين ، وطبقة رابعة وتضم الصناع والزراع وصغارر التجار وبقية الناس ، وتميز في العصر السادس الهجري

---

(٥٤) الكامل لابن الاثير ١٠/٤٥٥ : وهم يشكلون السواد الأعظم • فكانوا مادة الجيش ومنهم الفعلة والصناع والفلاحون ، وينظر ابن الجوزي ٨/٢٩٢

(٥٥) مرآة الزمان ٨ ق ١/٣٦٥ •

(٥٦) المنتظم – لابن الجوزي ٩/١٦١ •

(٥٧) المنتظم – لابن الجوزي ٨/٧٣ •

(٥٨) المنتظم – لابن الجوزي ١٠/٢٠٠ والكامل ١١/٢٠٦ •

طبقتان متناقضتان من حيث الغنى والفقر ، وهذا ما حمل كثيرا من الناس على سلوك سبل ملتوية لجمع المال من الخلفاء وذوي المناصب والاثرياء عن طريق الملق والاستجداء فكادت الفضيلة تفقد شيئاً من رونقها ، ولقد وجدنا في كلام الرحالة ابن جبير الذي زار بغداد سنة ٥٨٠هـ في وصفه أخلاق أهل بغداد وسلوكهم اذ ذاك خير ما يوضح لنا وجه ذلك المجتمع المتفكك المخلخل قال « أما أخلاق أهلها فلا تكاد تلقى منهم الا من يتصنع بالتواضع رياء ويذهب بنفسه عجبا وكبرياء ، يزدرون الغرباء ويظهرون لمن دونهم الانفة والاباء ، يسحبون أذيالهم أشرا وبطرا ولا يغيرون في ذات الله منكرا ، لا تكاد تظفر من خواص أهلها بالورع العفيف ولا تقع من أهل موازينها الا على من ثبت له الويل في سورة التطفيف ، لا يبالون في ذلك بعيب كأنهم من بقايا مدين قوم النبي شعيب ، فالغريب فيهم معدم الارفاق متضاعف الانفاق لا يجد من أهلها الا من يعامله بنفاق أو يهش اليه هشاشة انتفاع واسترقاق ، فسوء معاملة ابنائها يغلب على طبع هوائها ومائها » (٥٩) ولم يستثن ابن جبير من أهل بغداد الا الفقهاء والوعاظ • ووصف ابن طاووس الحسني بغداد في ذلك العصر بقوله انها : « محل حبائل الشيطان » (٦٠) • وكان للمال أثر كبير في تلوين أخلاق الناس وتحديد سلوكهم في ذلك العصر ، والى العامل الاقتصادي هذا يمكن أن ترد حركة العيارين التي وجدت معقدة لا يعرف اتجاهها ولا الدوافع التي تدفعها الى هذا التكتل وسلوك ذلك السبيل ، وهي مظهر اجتماعي ولكنها تتزيا بالزي السياسي تارة أو الاقتصادي أو الديني تارة اخرى (٦١) وتكالب الناس على جمع المال في ذلك العصر والعصر الذي تلاه ، كان غريبا حيث لم يسلم من هذا المرض حتى الوزراء وكبار الموظفين (٦٢) ولعل سبب ذلك هو فقدان الثقة بين الشعب وحاكميه واهتزاز الحياة السياسية وفقدان الطمأنينة ففي سنة ٥٨٣هـ قتل مجدالدين بن الصاحب استاذ الدار وصفيت أمواله فوجد عنده ألف ألف دينار (٦٣)

---

(٥٩) رحلة ابن جبير ص ٢١٨ •

(٦٠) كشف المحجة ص١١١ لابن طاووس الحسني •

(٦١) الحوادث الجامعة ص ٧٠_٧١ •

(٦٢) العبر للذهبي ٤/٢٥١ •

(٦٣) العبر للذهبي ومرآة الجنان ٣/٤٢٦ •

فقد سعى به الى الخليفة عبيدالله بن يونس الملقب جلال الدين وقد استوزره الناصر فيما بعد وكان الخلفاء وحاشيتهم يبددون الكثير من أموال الدولة على ملاذهم فمثلا : ان سفينة غرقت في دجلة وفيها احدى عشرة جارية وعليهن من الحلي والجواهر ما قيمته مائة ألف دينار (٦٤) . وشاهان محظية الخليفة المستنصر لها باب وديوان ووكلاء ونواب وقد تصرفت بأموال الدولة حسب مشيئتها واختيارها (٦٥) وعلى هذا فالنظام الاقتصادي كان يسير وفق أهواء فئة مستغلة وقد شاع في ذلك العصر نظام الضمان الذي يشبه نظام الاقطاع وقد زاد في الفجوة الواسعة بين الغنى والفقر ، ثم كان من عوامل اهتزاز الحياة الاقتصادية ان تضاعفت الضرائب على الناس التي أثقلت كاهلهم فانتشر الجهل وتفشت الاوبئة وكثرت الخرافات (٦٦) والاساطير والطيرة بشكل عجيب حتى أصبح الشغل الشاغل لذلك المجتمع المريض ، ولعل هذه البلبلة وذلك القلق النفسي كان سببا في نشوء الفتن المذهبية التي خلفت جروحا لا تندمل وآلاماً لا تنقطع ، وقد مات من المجاعات التي حدثت في سنتي ٥٤٤ــ٥٤٥ هـ خلق كثير (٦٧) وفي سنة ٥٥٢ هـ حين حاصر بغداد السلطان السلجوقي محمد (٦٨) بن محمود وحاول قهر الخليفة ــ وقد استنجد الخليفة بالشعب فآزره وكان القتال الشديد الذي أهلك الحرث والنسل وأجاع من بقي حيا من البشر وفي سنة ٥٧٤ هـ تعرض الناس لقحط دفع بعضهم الى أن يأكلوا أولادهم (٦٩) ، وقد شهد العراق وبغداد بخاصة فيضانات شديدة مروعة في السنوات (٧٠) ، ٥٥٤ ، ٥٦٩ ، ٦٥٢ و ٦٥٤ هـ فخلفت البلاء والمرض والموت (٧١) ، ونتيجة لهذه المجاعات التي تعاونت على خلقها الطبيعية مع المصائب

---

(٦٤) العسجد المسبوك مخطوط ورقة ١٨٢ .

(٦٥) نساء الخلفاء ــ ابن الساعي ص ١٢٠ والعسجد المسبوك مخطوطة ورقة ١٨٩ .

(٦٦) الحوادث الجامعة ص ٢٢٥ــ٢٢٦ .

(٦٧) الكامل لابن الاثير ١١/١٣٧ .

(٦٨) المنتظم لابن الجوزي ١٠/١٦٨ــ١٧٥ والكامل ١١/٢١٢ــ٢١٥ .

(٦٩) مرآة الزمان ٨ ق ١/٣٥٣ .

(٧٠) المنتظم ١٠/١٨٥ .

(٧١) الحوادث الجامعة ص ٣٨١ ، ٣٦٦ .

العديدة من فيضانات وحروب وآفات أصابت الزراعة كالجراد أو الاعاصير التي جمدت المياه فمات الحيوان وتلف النبات ارتفعت الاسعار للمواد الغذائية بخاصة ارتفاعا فاحشا وأصبح من المتعذر على الانسان العادي أن يحصل على لقمة العيش أو حفنة من طعام (٧٢) ، فتأثرت الحياة الاجتماعية بهذه الحياة الإقتصادية السيئة فراح الشعب في دوامة من الوهم واليأس وفي لجة من القنوط والخمول وجمود الفكر وشل الحركة والكسل •

أما الحياة الدينية فقد وجدنا العصر يمج بالمظالم والقلق وقد تمكنت من الشعب صفة فقدان الثقة وهو يعيش كالسائمة بلا هدف يهدفه ويتخبط في متاهات شديدة العتمة لا يعرف السبيل وهو في هذه اللجة من الوهم والمصائب والرعب ظهر تيار عنيف (٧٣) يدعو الى الفضيلة والتمسك بالدين ليطهر الانسان من الادران ومحاربة الرذيلة وقد تفشت ويخلص المرء لربه ويرتد عن الزيغ والضلال الى جادة الحق والاعتصام بالدين بهدف إصلاح ذلك المجتمع وقد دب فيه الفساد ولتزكو القلوب الى العمل الصالح ، وقد تبلور التيار فاذا هو صوفي وتصبح له طبقة تدعى بالمتصوفة • والتصوف بمفهومه وواقعه تفرغ العبد لربه والامتثال لما أمر به والكف عما نهي عنه • غير أن طبقة المتصوفة هذه ظهرت بنوعين : نوع انعزل عن الناس انعزالا تاما وقد قصر جسمه وروحه لله وأخذ يروض نفسه على تقبل ما لا تريده ويقهرها على فعل ما تأباه ، وأحسب ان انغمارهم في عزلتهم هو هروب من واقعهم المؤلم زاهدين بحياة مليئة بالمظالم والفساد والفتن والاوبئة والمجاعات ، وعزوف عن مباهج الحياة وملاذها • ونوع اتخذ من الدين والدعوة اليه وسيلة للعيش الهادىء والخمول والكسل مع أن الانتاج قد ضعف ولقمة العيش عزيزة فان رزقهم كان يأتيهم رغدا وهم مقيمون في الربط آمنين ولا عمل لهم الا التدين

---

(٧٢) جاء في النجوم الزاهرة ٦/١٧٣ « كان الرجل يذبح ولده الصغير وتساعده امه على طبخه وشيه وكان الرجل يدعو صديقه وأحب الناس اليه الى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله » وفقدت الميتات والجيف من كثرة ما أكلوها • وكانوا يخطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم •

(٧٣) يلاحظ بحث المرحوم د • مصطفى جواد بعنوان الربط البغدادي وأثرها في الثقافة الاسلامية ، مجلة سومر ٢/٢٢٢ •

وانتظار الصدقات (٧٤) وقد قيل فيهم « اذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية » (٧٥) ويرى ابن الجوزي « ان جمهور الصوفية كانوا مستريحين في الربط من كد المعاش متشاغلين بالاكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم » (٧٦) . وصار للمتصوفة أثر كبير في الحياة الاجتماعية الإسلامية ولعل جذور هذا النوع يمتد الى العصر العباسي الاول حين ظهر تياران متغايران متصارعان ، تيار الرذيلة والتحلل من الخلق والقيم ويقوده الدخلاء والمستخفون بامور الدين من شعراء وغيرهم ، وتيار الفضيلة وقد اتخذ من التمسك بالدين عملا وروحا وعقيدة سلاحا ماضيا للقضاء على خصمه العنيف تيار الرذيلة ، وبقيا في صراعهما حتى القرن السادس الهجري حيث بان التيار الديني عنيفاً كل العنف وقد لف المجتمع بأسره والخلفاء والحاكمين ، فقد كان السلاجقة يسعون جاهدين لنشر الدين الاسلامي وتنمية علومه والتوسع في دراساته حتى اتجه اجلتمع بأسره الى الدين والإيغال في علومه من فقه وشريعة ووعظ وارشاد وما الى المجتمع بأسره الى الدين والإيغال في علومه من فقه وشريعة ووعظ وارشاد وما الى ذلك وعزفوا عن غيرها من العلوم ، حتى عج المجتمع بحركات الارشاد وحلقات الوعظ والذكر وكان نتيجة هذا الإتجاه ظهور طبقة مغالية في الدين هي طبقة المتصوفة التي أشرنا اليها ، وقد يكون لهم أمل في أن يوصلهم تصوفهم الى الثراء (٧٧) واشتهر من الطبقة الاولى الخالصة في تعبدها لله في هذا العصر الشيخ عبدالقادر الجيلي المتوفى سنة ٥٦١ هـ وهو حنبلي المذهب ويرجع نسبه الى الحسن بن علي عليهما السلام ويرجع بعض المؤرخين نسبه الى الحسين بن علي عليهما السلام (٧٨) وقد قال عن نفسه « قاسيت الاهوال في بدايتي فما تركت هولا الا ركبته وكان لباسي جبة صوف وعلى رأسي خريقة ، وكنت أمشي حافيا في الشوك وغيره وكنت

---

(٧٤) الحوادث الجامعة ص ٥١ وتلبيس ابليس لابن الجوزي ص ٣٧٤ .

(٧٥) تلبيس ابليس لابن الجوزي ص ٣٧٤ .

(٧٦) تلبيس ابليس لابن الجوزي ص ١٧٥ .

(٧٧) الحوادث الجامعة ص ٥١/روي أن الشيخ شهاب‌الدين عمر السهروردي قدم بغداد وهو في غاية الفقر وبين عشية وضحاها أصبح من أغنى الاغنياء .

(٧٨) الكامل لابن الاثير ٣٢٣/١٠ وتأريخ ابن الوردي ٦٩/٢ .

أقتات بخرنوب وقمامة البقل وورق الخس من شاطيء النهر »(٧٩) وكان لا يقوم لأحد من العظماء ولا أعيان الدولة ولا ألمّ قط بباب وزير ولا سلطان ، وكان يرى الجلوس على باب الملوك ومن داناهم ضربا من العقوبات (٨٠) ٠ وكان هذا السبيل الذي سلكه الشيخ ومن سار على طريقته احتجاجا صارخا على الفساد الذي استشرى والظلم الذي حاق بالشعب وهذا ما يحملنا على الاعتقاد ان التصوف في العصر كان يحمل مع الاتجاه الديني مضمونا سياسيا واجتماعيا بسبب ظهور الفتن المذهبية ـ وقانا الله شرها ـ التي فرقت الشعب وأضعفت كلمته تجاه أعدائه المتربصين به الدوائر ، وقد ظهرت طرائق عديدة للمتصوفة في العصر منها الطريقة التي تنسب الى الشيخ أحمد بن أبي الحسن المعروف بالرفاعي المتوفى سنة ٥٧٨ هـ (٨١) وهي شبيهة بطريقة الجيلي (٢٨) ، ويلاحظ أن أغلبية المتصوفة كانوا قد اتخذوا من تصوفهم وسيلة للعيش وبلوغ غاية دنيوية فأحدث بذلك تأثيرا معاكسا حيث خدر الهمم ونشر الكسل وأضعف المجتمع وشله ، قال ابن تيمية الحراني في تأثير الصوفية « وكثيرا ما كنت أظن ان ظهور مثل هؤلاء من أكبر أسباب ظهور التتار واندراس شريعة الإسلام » (٨٣) ٠

جـ ـ الحياة الثقافية :

لقد أصيبت الحركة الثقافية في النصف الاول من القرن السادس الهجري بنوع من الجمود وفقدت حيويتها وبانت ضعيفة لان السلاجقة من الاقوام المتأخرة وطباعهم خشنة ولم يكونوا ذوي حضارة عريقة ، وقد استولوا على السلطة بعد أن قضوا على البويهيين ومع هذا فقد عملوا على فتح المدارس مثل مدرسة أبي حنيفة التي أسسها على قبره الملك أبو شجاع لنصرة المذهب الحنفي والمدارس النظامية

(٧٩) الطبقات الكبرى للشعراني ٠

(٨٠) الطبقات الكبرى المسمى بلواقح الانوار في طبقات الاخيار للشعراني والحوادث الجامعة ص ٣١٤ ٠

(٨١) يلاحظ ما قاله الاتابكي في النجوم الزاهرة ٩٢/٦ ٠ عن الشيخ الرفاعي ٠

(٨٢) مختصر أخبار الخلفاء ص ١١٢ـ١١٨ ٠ النجوم الزاهرة ٩٢/٦ س ٥٧٨ هـ ٠

(٨٣) رسائل ابن تيمية ـ تحقيق محمد رضا ٠

التي أسسها الوزير نظام الملك الطوسي لنصرة المذهب الشافعي ويعتبر تأسيسها حدثا كبيرا في ذلك العصر (٨٤) وقد تفقه فيها علماء وكاتبون كان لهم قصب السبق في اليراع منهم العماد الاصبهاني واضرابه ، وعلى هذا فقد تغلبت العلوم الدينيـة في زمانهم على غـيرها ولفت الثقافـة باطارهـا ولونتهـا باتجاهاتها وأهدافهـا وعناصرها الرئيسة في هذا الاتجاه القرآن الكريم وقد اهتم به السلاطين وكان يتلى في مجالسهم والحديث وكان لاهله وحفاظه دور خاصة ومدارس يسكنها الاساتذة والطلاب ثم الفقه واللغة ، وراح دبيب الحركة والنشاط يدب في الحياة الثقافية بعد زوال حكم السلاجقة وذهاب نفوذهـم وانطلقت تشق طريقهـا في الانتشار والتعميم فكثرت المدارس وانتشرت في أرجاء البلاد (٨٥) وعمت وسائل التعليم كل ناحية وكان الطلاب يتلقون العلم على شكل حلقات يجلسون على الارض وانتشرت الربط (٨٦) انتشارا كبيرا وهي مواضع للتأليف والتصنيف والاقـراء والتثقيف والاجازات والمحاضرات (٨٧) وانتشرت دور الكتب وقد اتجـه الى تنميتهـا الخلفاء وذوو الثراء باضافة الكتب اليها وعن طريق الوقف والهبات وقد دخلت كل مدينة وراح الناس ينهلون من معينها بشغف ونهم وبخاصة بعد أن تولى الحكم خلفـاء مثقفون اتخذوا العلم والثقافة رمزا لكرامة امتهم ووطنهم وفيهم الفقيه والمحدث والاديب والشاعر . أمثال الخليفة الناصر لدين‌الله الذي أجمع المؤرخون على حبـه أهل العلم والادب وتقريبه الشعراء وتشجيعهم فرفع من مكانتهم وألهب مشاعرهم بأعماله الجليلة وسيرته ، وقد ألف هو كتاباً سماه « روح العارفين » (٨٨) وقـد أمر سنة ٥٨٩ هـ بعمارة دار الكتب في المدرسة النظامية ونقل اليها عشرة آلاف مجلد (٨٩) ، ومن أهم المدارس التي أسهمت في الحياة الثقافية نظامية بغداد التي

---

(٨٤) ابن الاثير — الاتابكة ص ١٩ .
(٨٥) ابن الاثير — الاتابكة ص ١٩ .
(٨٦) الربط (كثرة الخطـا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة) أي التي تربط صاحبها عن المعاصي (لسان العرب لابن منظور ٣٠٢/٧ و ٣٠٣) .
(٨٧) من مقال للمرحوم د . مصطفى جواد في مجلة سومر ٢ محاضرة ١٠ سـنة ١٩٥٤م .
(٨٨) خريدة القصر للعماد الاصبهاني ٩٨/١ .
(٨٩) مرآة الزمان ٨ ق ٤٢١/١ والنجوم الزاهرة ١٣٢/٦ .

أسست على الجانب الشرقي منها والتي افتتحت سنة ٤٥٩ هـ (٩٠) وتعتبر من أهم المدارس في نشر الحياة الثقافية في العصر وفي تلك الحقبة وكان التعليم فيها مجاناً حيث يقدم للطالب كل مستلزمات دراسته من مسكن ومأكل وما الى ذلك وقد قام على خزانتها جماعة من المشهورين الاجلاء (٩١) وكان من مدرسيها أبو منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ حيث درس فيها الادب مع شيخه التبريزي (٩٢) وابن أبي زيد القصيمي (٩٣) وابن الجوزي وآخرون . وقد انتشرت دور الكتب في المدن كافة وتضم أحسن المجلدات التي تضم مختلف العلوم الى جانب مكتبات المدن الخاصة ومن وسائل التعليم المكاتب وهي مدارس للفقه والحديث والادب واللغة ، وبنى تاج الملك أبو الغنائم في باب أبرز مدرسة (التاجية) (٩٤) ومن مراكز الثقافة في الشام المدرسة النورية انشاها نورالدين محمود سنة ٥٤٢ هـ وتولى التدريس فيها القطب النيسابوري والقاضي بهاءالدين بن شداد ، والذين أسهموا كثيرا في الثقافة هم الفقهاء والمحدثون وعلماء اللغة والنحو والادباء والشعراء ، اما عامة الناس فكانت جاهلة غير أن الثقافة وقد دخلت وسائلها كل ناحية أفادت هؤلاء ونورت لهم السبيل وأزالت ظلمة الامية والجهالة عن عقولهم . قال ابن جبير عن زهو الثقافة في هذا العصر وقد زار بغداد سنة ٥٨٠ هـ (وكنا سمعنا أن هواء بغداد ينبت السرور في القلب ويبعث النفس دائما على الانبساط والانس فلا تكاد تجد فيها الا جذلان طربا وان كان نازح الدار مغتربا) (٩٥) وأحسب ان الوعظ وقد عم أنحاء البلاد كانت له اليد الطولى في التثقيف بصورة عامة وعامة الشعب على الاخص الذين كانوا يحضرون مجالس الوعظ والارشاد التي يقوم بالوعظ فيها علماء مبرزون وفقهاء على قدر عظيم من المعرفة كالامام الغزالي وابن الجوزي وأمثالهما . وقد برز في القرن السادس الهجري علماء عديدون كانت لهم

---

(٩٠) الاتابكة ص ١٩ لابن الأثير .
(٩١) معجم الادباء ٥/١٤٠ والجامع المختصر ٩/١٦٠ .
(٩٢) وفيات الاعيان ٥/٢٣٨ .
(٩٣) نزهة الالباء ص ٤٤٨ . لابن الأنباري .
(٩٤) مرآة الزمان – لابن الجوزي ٩/١٦ س ٤٨٢ .
(٩٥) رحلة ابن جبير ٢٢٩ .

مكانتهم التي لا تداني وفضلهم في نشر المعرفة عميم حيث ذاع صيتهم في ذلك القرن الذي عج بالفقهاء والمحدثين منهم على سبيل المثال لا الحصر :ـ

١ ـ الامام الزمخشري من أشهر مفسري القرآن الكريم وصاحب الكشاف وتفسير القرآن توفى سنة ٥٣٨ هـ ٠

٢ ـ الفخر الرازي ـ اشتهر بالتفسير وتوفى سنة ٦٠٦ هـ ٠

٣ ـ أبو عبدالله المقرىء الحنبلي المتوفى سنة ٥٤١ هـ قارىء للقرآن باجادة وعالم به ٠

٤ ـ ابن الجوزي ـ فقيه عظيم وواعظ لا يشق له غبار ومؤرخ مشهور وصاحب المنتظم ٠

٥ ـ الكاساني ، والسرخستي ـ من الفقهاء المشهورين ٠

٦ ـ أبو البركات ابن الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ (٩٦) عالم نابغ في اللغة ٠

٧ ـ ابن خروف النحوي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ (٩٧) ٠

٨ ـ ابن الخشاب النحوي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ ٠ وقد أخذ عن هبةالله بن الشجري وقال عنه العماد الاصبهاني في خريدة القصر ١/٩٨ (اعلم الناس بكلام العرب وأعرفهم بعلومه مع شيء من النحو واللغة والتفسير والحديث) ٠

٩ ـ هبة الله بن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢ عالم مشهور بالنحو (٩٨) ٠

١٠ ـ عزالدين صاحب الكامل في التاريخ ٠

١١ ـ ابن الساعي صاحب كتاب المختصر ٠

١٢ ـ ابن النجار صاحب (ذيل تأريخ بغداد) ٠

---

(٩٦) مترجم له في أنباه الرواة ٢/١٦٩ ويلاحظ كتاب الروضين ٢/٢٢ ٠
(٩٧) الجامع المختصر ٩/٣٠٦ ٠
(٩٨) له ترجمة في انباه الرواة للقطفي ٣/٣٥٦ ٠

١٣ ـ ابن شداد صاحب النوادر السلطانية ـ في السير ٠

١٤ ـ عمادالدين الاصبهاني ـ صاحب خريدة القصر ٠

١٥ ـ جمال‌الدين القفطي صاحب أنباه الرواة ٠

١٦ ـ ياقوت الحموي صاحب معجم الادباء (٥٧٤ ـ ٦٢٦) هـ ٠

١٨ ـ ابن أبي اصيبعة صاحب معجم الإطباء ٠

١٩ ـ الحريري المتوفى سنة ٥١٦ وقد اشتهر بمقاماته ٠

٢٠ ـ ابن البناء البغدادي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ واشتهر بعلم الحديث واصوله ٠

٢١ ـ أبو البركات النيسابوري البغدادي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ وهو صوفي ويعرف بشيخ الشيوخ ٠

٢٢ ـ ابن الرزاز البغدادي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ وهو فقيه عظيم تفقه على الامام الغزالي ٠

٢٣ ـ أبو الفتوح الاشعرايني المتوفى سنة ٥٣٨هـ اشتهر بالوعظ والتصوف ٠

٢٤ ـ سعيد بن المبارك بن علي الدهان المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ٠ من علماء اللغة المشهورين له كتب كثيرة منها شرح الايضاح والتكملة والفصول الكبرى والفصول الصغرى وشرح كتاب اللمع لابن جني ٠

٢٥ ـ الضرير النحوي الواسطي وقد حفظ القرآن وأتقن القرآت توفى سنة ٦١٢ هـ وأخذ عنه ياقوت ٠

٢٦ ـ الفصيح الاسترابادي وقد أخذ النحو عن عبدالقاهر الجرجاني ـ حتى صار أعرف أهل زمانه (٩٩) ٠

٢٧ ـ ملك النحاة الحسن بن أبي الحسن الصافي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ ٠

٢٨ ـ العكبري المتوفى سنة ٦١٦ هـ (١٠٠) ٠

---

(٩٩) وفيات الاعيان ١/٢٤ ٠

(١٠٠) نفس المصدر ٢/٢٨٦ ٠

وكان للنساء مشاركة في العلوم الشرعية وبخاصة الحديث والوعظ منهن :

١ ـ رابعة بنت حكيم المتوفاة سنة ٥١٢ هـ ٠

٢ ـ فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلوي الرازي ـ واعظة مشهورة كان لها رباط تجتمع فيه الزاهدات سنة ٥٢١ هـ وكثيرات يتجاوزن العد ٠

والذي يلاحظ أن أهل السنة كانوا لا يسمحون للعلوم العقلية بالانتشار بل أصبح العمل فيها محرما ٠ وقد حاربوا الاشعريين وحاربهم السلاطين معهم وأبرز مثال لاضطهادهم تعقب نظام الملك لابي القاسم القسيري والجويني وهما عالمان جليلان وكل ذنبهما انهما حاولا التوفيق بين أهل السنة والمعتزلة (١٠١) وقد انبرى الامام الغزالي للاشعرية والفلاسفة وأخذ يبني العقيدة الإسلامية في أواخر القرن الخامس الهجري بالرجوع بالإسلام الى الروح والخلوص من الشوائب التي علقت بها ويلاحظ ذلك في كتبه منها (المنقذ من الضلال) و (تهافت الفلاسفة) ٠ وكان يحمل بعداء على عمر الخيام الفيلسوف الشاعر وقد وضع اسسا جديدة للتصوف ٠ ولعل سبب تحريم العلوم العقلية (١٠٢) هو رد الفعل الذي حدث بعد تلكم المساجلات الكلامية للفرق التي حدثت في عصر المأمون وانبثقت أبان حكمه من معتزلة وجبرية وقدرية وأشعرية وأهل الاشراق وغيرهم من المشائين ودفعت الموغلين فيها الى انشعابات ودروب فيها الكثير من التناقض والتباين حتى أصبحت تلكم الحركة سبباً في الفرقة بين أبناء البلد وخلفت التناحر بين أبناء الدين الواحد وكفر أكثرها ٠

د ـ الحياة الأدبيـة :

بدأ الأدب العربي في وائل القرن السادس الهجري ينتعش وقد استطاع ان يقف على قدميه طيلة أيام محنته ولم يفقد طابعه العربي حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ على يد التتار ، ولا يمكن أن يضيع أدب امة لها ما للامة العربية من

---

(١٠١) تأريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان ١٢٨/٣ ٠

(١٠٢) خبر احراق كتب فلسفية سنة ٥٥٥هـ ـ في عيون التواريخ ـ ابن شاكر الكتبي مخطوطة مصورة جـ ٢ ق ٢ ورقة ٢٠٢ ٠

تراث خالد وماض حافل بمئات الاطواد الشامخة من الادباء والشعراء ٠

فالشعر اتسعت أغراضه وانطلق الشاعر واصفا البرك والقصور واللهو متعزلا منذ العصر العباسي الأول وقد رأيناه صورة واضحة المعالم لذلك المجتمع المترف الثري المثقف حيث هرع الادباء والشعراء يقصدون بغداد فاجتذبت الصفوة منهم ، ثم جنح الادب الى الهبوط واستمر في هذه الحالة متخطيا الربع الاول من القرن السادس الهجري من الجمود والفوضى والكساد مثقلا بالحلى اللفظية من جناس وطباق وسجع (فكان الشاعر اذا نظم قصيدة والاديب اذا كتب رسالة فتح بقلمه قبرا من قبور اللغة) (١٠٣) ولا عجب في ذلك وهو يمر بمحنة قاسية على يد الحاكمين الأعاجم الذين لا يجيدون العربية ولا يتذوقون آدابها ، فقد كان انتشار الصناعات في الشعر بصورة مذهلة من ابتداء القرن السادس الهجري وظلت الى أواخر القرن التاسع الهجري (١٠٤) غير انها لم تستبد بالادب كما استبدت بالشعر وان كان لها عليه في بعض ذلك سلطان لان الذين تناولوها من النابغين على سنة التملح والظرف وقد تعلق الناس بالشعر واتخذوه هواية ووسيلة تسلية ومتعة في مجالسهم وكان من بين من قال الشعر فقهاء ومهندسون وأطباء وتجار واناس من عامة الشعب ، فمن الاطباء ابن الساعاتي المتوفى سنة ٦١٨ هـ وهو طبيب فاضل وأديب وشاعر مفلق ومن التجار التوزاني المتوفى سنة ٥٨٠ هـ وقد أخذ عن الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ٠ ولقد أثرت السياسة في الادب في العصر ايما تأثير فكانت هناك أصوات متطاحنة متباينة ظهرت في شكل عصبيات بين العرب والشعوبيين وبين العباسيين والامويين وبين العباسيين والعلويين وأثرت الحالة الاجتماعية في الأدب من حيث شيوع اللحن في اللغة وزوال الفصحى من لغة التخاطب وتصوير الحياة الناعمة ومقاصف اللهو في الشعر وقد أثرت الثقافات الاجنبية في تراثنا ، فالثقافة الهندية والفارسية واليونانية والسريانية أثرت في الشعر العربي ٠ واذا استطعنا أن نعتبر كتب الفقه والتأريخ والتشريع التي كتبت باسلوب أدبي أدباً فقد كان

---

(١٠٣) تأريخ آداب العرب ـ للرافعي ٣/٣٧٢ ٠

(١٠٤) المصدر نفسه ـ للرافعي ٣/٣٧٣ ٠

ذلك خير مثال على اتجاه الادب الجديد . غير أن الادب عاد فانتعش ايما انتعاش حين ولي الحكم رجال أقوياء مثقفون فقد تولى الخلافة في الربع الثاني من القـــرن السادس الهجري الخليفة المقتفي الذي قطع على الاتراك والفرس آمالهم في التسلط والحكم وسار شوطا في توطيـد اسـتقلال العـراق حيث أنهى حـكم السلاجقة سنة ٥٥٢ هـ (١٠٥) بعد انتصـاره وشـعبه على السلطان الغازي محمد السلجوقي ورجوعه من حيث أتى منهزماً . ثم جاء بعده المستضيء ثم الخليفة الناصر لدين الله الذي أحب الشعر والشعراء والادب والادباء وقربهم لانهم كما يرى أعلام الحكم وأجهزة الافصاح عما يجيش في الصدور حتى بلغ الذروة في أيامه وتظهر الملاحم البطولية على يد صلاح الدين الايوبي وهو يوقع في الروم ويثأر للعروبة والاسلام ، وأصبح لمجيدي الادب المنزلة التي لا تداني وأصبح الشاعر وهو العالم بما يجري حوله من امور وما يدور في أروقة الخلافة وفي أرجاء البلاد من اتجاهات قادراً على أن ينصح ويعيب ويمدح وينادي بالاصلاح ويبارك خطـا كـل مخلص وعامـل ، وهكذا لعب الشعر دوراً هاماً في العصر ظهر ترجمانا لما دار فيه من أحداث كمـا أدى رسالته في معارك التحرير بين المسلمين والصليبيين فلم لا يزكو الادب في بلد يحكمه من يقول لوزرائه وكبار قادته (لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل (١٠٦) ولم لا يزكو الشعر والحـاكم يتغنى بجميله ويـردده في مجلسه ؟ (١٠٧) أو ينظمه مستجاداً ؟ (١٠٨) فقد بلغ الشعر غايته من الجودة في هذا العصر . يقول المرحوم الدكتور مصطفى جواد عن شعر ابن التعاويذي في هـذا العصر (هو روضة غناء من رياض الشعر العراقي بلغ فيه الفن الشعري الصناعي

---

(١٠٥) الكامل ـ ابن الأثير ١١/١٨ .

(١٠٦) قالها السلطان صلاح الدين ، والفاضل وزيـره القاضي عبـدالرحيم بن القاضي الاشرف العسقلاني (المصري الدار) (النجوم الزاهرة ٦/١٥٧) .

(١٠٧) النجوم الزاهرة ٦/٤٤ و ٦/١٠٧ و ٦/٥٦ قول ابن خلكان عن صلاح الدين (ويستحسن الاشعار الجيدة ويرددها في مجالسه) .

(١٠٨) الوافي بالوفيات ـ القسم المخطوط ـ نسخة مصورة في المكتبة المركزية تحت رقم ٩٢٠ ص والجزء الخامس ورقة ١٤٥ . قال : وتروى للنـاصر لدين الله أبيات من الشعر .

غايته القصوى) (١٠٩) . ثم أخذ الادب يعود القهقري بعد وفاة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ هـ حيث أخذت شمس الخلافة بالإفول مسرعة وعاد دبيب الفتن يسمع وصوت الدخلاء والطامعين يعلو وقد تولاها خلفاء ضعفاء انصرفوا لشهواتهم وانغمسوا في ملاذهم مهملين أمر البلاد حتى جاء المغول فقضوا على الثقافة وكادوا أن يمحوا آثارها وراح ما بقيَ من تلكم الآثار محفوظاً في الصدور . ونلمح التيارين اللذين برزا في العصر العباسي الاول يعودان في صراع عنيف خلال هذا القرن ، تيار الفضيلة ـ وشعراؤه التزموا بالشعر التقليدي وخصائصه قوة الالفاظ والرصانة والنزوع الى الاغراب وتعمد البدء بالنسيب على الطريقة البدوية واشتقاق التشبيهات والمعاني من الصحراء ومظاهر جمادها واحيائها مثل الشعر القديم ويبدأ بأبي تمام وينتهي بشعراء العصر الذي نحن بصدده ومنهم الحيص بيص المتوفى سنة ٥٧٤هـ (١١٠) وابن التعاويذي والشاتاني(١١١) والابله ، وتيار الرذيلة الذي يهزأ بالمقدسات ويستخف بالاديان ويستبيح كل ما يأباه الخلق مع استساغة استعمال الكلمات العامية ، ويبدأ بأبي نواس وصحبه ويستمر بابن الحجاج وابن سكرة ومنهم في القرن السادس الهجري الحسن بن أحمد بن محمد البغدادي المتوفى سنة ٥١٨ هـ (١١٢) . وقد تلاعبوا بالالفاظ وعبثوا بالمعاني . ومن شعراء الصنعة الذين علقوا بها فقادهم ذلك الى التكلف والتعقيد الارجاني في بغداد المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ومسعود بن الفضل النقاش في الشام المتوفى سنة ٦١٣ هـ وابن سناء الملك في مصر المتوفى سنة ٦٠٨ هـ (١١٣) . نلاحظ ان أدب العصر قد

---

(١٠٩) الأدب العراقي في العهد المغولي بحث منشور في مجلة المجمع العلمي سنة ١٩٥٥ مجلد ٣ جـ ٢ .

(١١٠) ارشاد الاريب ٤/٢٣٣ .

(١١١) الحسن بن علي بن سعيد بن عبدالله أبو الحسن علم الدين . نسبة الى شاتان قعة بديار بكر كان أديباً وشاعراً فاضلا توفى سنة ٥٧٩ هـ برواية ياقوت في معجم الادباء و سنة ٥٩٩ برواية ابن خلكان في وفيات الاعيان .

(١١٢) جاء عنه في فوات الوفيات ١/٢٢٨ (كان من ظرفاء الشعراء الخلصاء) .

(١١٣) أخذ (ابن سناء) طريقته عن القاضي الفاضل . تلاحظ (خزانة الأدب) ص ٢٤٤ .

شاعت فيه الكلمات العامية واستعمال السوقية بكثرة (١١٤) والتعابير الركيكة والاعجمية وظهر ولوع العصر بالصناعة والتجنيس وقد تفشت في الشعر بخاصة تفشيا كبيرا حتى ان العماد الإصبهاني حين أثنى على بعض الشعراء قال « وأعطى صنعة التجنيس حقها » (١١٥) وجاء أكثر الشعر عن احساس غير صادق وشعور غير أصيل وقد يكون ضعف الخلفاء والجور الاجتماعي والفوضى الإقتصادية أسبابا في هذا وقد يكون مرد ذلك الى نقص موهبة الشاعر • وتبين ان هناك شعراء ذوى زلفى كما ان هناك من يقول الشعر عن غير تكلف و لا يطمعون من وراء قوله بالمال وهؤلاء هم شعراء الصوفية الذين فاضت قرائحهم بألوان من الغزل العذب والخمريات الرقيقة وكان ينشد شعرهم في حلقاتهم ، والذي نلاحظه أن المديح في هذا العصر خرج الى مظهر شكلي لفظي ولم يختص بالمعاصرين بل كان يعرج به الشاعر الى الخلفاء الراشدين وشخصية الرسول والتوسل لنصرة الدين حتى أصبح الشعر متنفس المحرومين يعبرون به عن مشاعرهم المكبوتة من ظلم وتعسف فبرزت منه أغراض التوجع والانين ونقد الحياة الاجتماعية بمرارة ، وظهرت منه أغراض التنسك والزهد والقناعة • وقد انتشر الهجاء وبلغ حد الهزل والسخف ويعزى ذلك الى اضطراب الحياة الاجتماعية والظلم المتفشي والتفاوت في الغنى والفقر ومن الذين اشتهروا بهذا ابن القطان الخليع المتوفى سنة ٥٥٨ هـ حيث كان مولعا بملاحقة المتعجرفين بلسانه العابث الساخر (١١٦) وامتد الهجاء من الإفراد الى الناس جميعا الى الزمن والدهر • والمصادر التي تتناول أدب هذا العصر « والادب في هذا العصر قد غاض ماؤه وخبت ناره وأقلعت سماؤه ونضبت تياره ولم يبق بيد الناس منه الا صبابة والخطأ فيها أكثر من الاصابة ، ورغباتهم في الشعر قليلة والبراعة فيه لا تعد من الفضيلة وقد عدم المجيدون » (١١٧) أقول :

(١١٤) فوات الوفيات ص ٦٤٦ •

(١١٥) خريدة القصر ١/١٢٦ •

(١١٦) فوات الوفيات ٢/٦١٧ •

(١١٧) قول سبط ابن التعاويذي في خطبة التي قدم بها ديوانه ــ يلاحظ الديوان المطبوع سنة ١٩٠٣ ص ١١ ، ١٢ •

المصادر التي تتناول أدب هذا العصر باسهاب وتفصيل قليلة جدا ، قال المستشرق (سوفاجه) لا نكاد نعرف شيئاً ذا بال عن أدب العصر لان أكثر المصادر فقدت أو أنها غير مطبوعة · أما المستشرق (جب) فقد وصف العصر السادس الهجري بالعصر الفضي للادب ونعت العصر السابق عليه بالعصر الذهبي (١١٨) ، ونعته بخلوه من الإبداع والعبقرية بقدر ما يمتاز به من البراعة والصنعة والمهارة الفنية التي غلبت على العبقرية والابتكار (١١٩) · وقوله لا يخلو من حقيقة هي أنه (أدب التسلية واللعب باللفظ والمعنى والمهارة في اللغز والتعمية بقصد السمر والدعابة) (١٢٠) · ويبدو أن كثيرا من العوامل وقفت أمام مسيرة التركيز على الادب في هذا العصر ، وبانت دراسات المستشرقين لا تومىء الا الى أفراد قليلين جدا · فهم عندما يتناولون أدب العصر بالدراسة انما يشيرون الى أفراد مشهورين ولم تتناول دراساتهم من الادباء والشعراء من كانت لهم روح قومية أو من كان لهم دور في حركات البعث الاسلامي العربي كالفاضل والعماد وابن التعاويذي والابيوردي وغيرهم ممن فاضت كتاباتهم بروح النضال والكفاح والتصوير الحي لحركات التحرر العربي ضد الاستعمار الصليبي (١٢١) وأشهر كتاب القرن السادس :

١ ـ رشيدالدين الوطواط المتوفى سنة ٥٧٣ هـ نبغ في الشعر في بلاد فارس وكان شاعر بلاط السلطان آمتسز خوارزمشاه (٥٢١ـ٥٥١ هـ) وله ديوان رسائل ·

٢ ـ جلالالدين أبو الحسن من مشاهير الكتاب في العراق واصبح وزيرا لسيفالدين غازي وقد فضله ابن الاثير على كل من تقدمه من الفصحاء (١٢٢) وتوفى سنة ٥٥٤ هـ ·

٣ ـ ابن حمدون محمد بن الحسن الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ وكان

---

(١١٨) جب ٨٢ ·
(١١٩) جب ٨٤ ·
(١٢٠) الأدب في عصر صلاحالدين ـ محمد زغلول سلام ·
(١٢١) الأدب في عصر صلاحالدين ـ محمد زغلول سلام ص ١٩٢ ·
(١٢٢) ابن خلكان في وفيات الاعيان ٤/٢٣١ ·

ذا حظوة عند الخليفة المستنجد (١٢٣) ٠

٤ ـ الواسطي قوامالدين بن زبارة الكاتب المنشيء المتوفى سنة ٥٩٤ هـ ٠

٥ ـ علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي من فضلاء كتاب مصر وبلغائهم توفى سنة ٥٥٠ هـ

٦ ـ ابن الخلال يوسف بن محمد من أعيان كتاب مصر توفى سنة ٥٦٦ هـ ٠

٧ ـ لابن الجراح أبو الحسين يحيى الكاتب المصري المتوفى سنة ٦١٦ هـ ٠

٨ ـ القاضي لفاضل وهو صاحب مدرسة خاصة بـه وكان وزيـرا لصلاحالدين الايوبي توفي سنة ٥٩٦ هـ ٠

٩ ـ العماد الكاتب الاصبهاني صاحب خريدة القصر ومدبر مملكة صـلاحالدين الايوبي توفى سنة ٥٩٧ هـ ٠

هذه المامة موجزة بأدب القرن وأساطينه وفي هذه الاجواء عب ابن التعاويذي نقافة وأدبا وعلما ٠

---

(١٢٣) فوات الوفيات ٢/٣٧٨ ٠

الباب الاول

سيرته

فاذا أنيخت في عراصك عيسها   فاعلم أبيت اللعن علم يقين
أني امرؤ هجر المطامع مذهبي   والصون عادي والقناعة ديني
لا الفقر يلبسني لباس مذلة   ضرعاً ولا ثوب الغنى يطغيني

الفصل الاول

ـ حيـــاته ـ

اسمه ونسبه ونشاته :

هو أبو الفتح محمد بن عبيدالله بن عبدالله سبط ابن التعاويذي ٠ كان اسم ابيه نشتكين (١) وهو اسم تركي معناه (المقعد) وكان من موالي ابن المظفر ابن رئيس الرؤساء ابي القاسم ابن المسلمة (٢) من بيت الأفيل (٣) ولكن ابنه محمدا غيره فجعله (عبيدالله) ولعله شعر بأن في ذلك نقيصـة لمكانتـه ٠ وقـد لقب محمـد بابن التعاويذي ، نسبة الى جده لامه ابي محمد (٤) الذي كان يعمل في كتابة التعاويذ ، أو جمال‌الدين التعاويذي (٥) ٠

ولد في بغداد يوم الجمعة العاشـر من رجب سـنة تسع عشرة وخمسمائة الهجرية (٦) أي سنة خمس وعشرين ومائة وألف الميلادية ٠

وقد أجمعت المصادر كافة على ذلك ، ونشأ في بيت جده وشب في نعمته ٠ وأكبر الظن أن والده توفي ومحمد صغير فوجد في بيت جده كل مقومات الحيـاة الرغيدة والبيئة العلمية والجو الادبي والمكانة الاجتماعية ٠

وأبو محمد هذا هو المبارك بن المبارك بن علي المبارك بن نصر السراج الجوهري الزاهد الصوفي المعروف بابن التعاويذي (٧) ٠ وكان عالما جليلا معروفا بالسيرة

---

(١) بضم النون وسكون الشين وكسر التاء ، وهو اسم أعجمي تسمى به المماليك (وفيات الاعيان ٢/٣٩٤) ٠

(٢) اسمه هبةالله وكنيته أبو الفرج (الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٨٣) ٠

(٣) من الاسر المعروفة بالفضل والرياسة (الفخري ص ٣١٩) ٠

(٤) قال السمعاني : سألته عن مولده يعني ابا محمد فقال : ولدت سنة ٤٧٦ هـ بالكرخ وتوفي سنة ٥٥٣هـ ودفن في مقبرة الشونيزي ببغداد بالجـانب الغربي (الذيل والانساب ٣/٥٦ ومعجم الادباء ٥/١٢٠) ٠

(٥) نسمة السحر ـ ليوسف بن يحيى الصنعائي ٢/٣٤٣ـ٣٥١ مخطوطة في مكتبة الإمام كاشف الغطاء العامة في النجف ، تحت تسلسل ٢/٧٤٨ ٠

(٦) وفيات الاعيان ٤/٩٠ ، نكت الهميان ص ٢٥٩ ٠

(٧) بفتح التاء وكسر الواو بعدها ياء ساكنة ثم ذال : نسبة الى التعاويذ ، وهي الحروز (وفيات الاعيان ٤/٩٠ ٠ الذيل والانساب ٣/٥٦) ٠

الحسنة والصلاح والتقوى والورع وكان يقعد في سوق الجوهريين ببغداد وكان الناس يمرون يتبركون (٨) وهو من أصحاب الشيخ أحمد الدباس (٩) • وقد طبع شاعرنا بطابع بيئة جده العلمية حيث كانت تعقد حلقات الذكر ويخلد العبد الى ربه في المناجاة والتبتل ، وقد تأثر كثيرا بالروح العلمية والدينية خاصة التي كانت تظلل العصر كله • وقد أخذ العلم من منابعه الاصلية حيث استمع الى شيوخ عصره في الفقه واللغة والادب فأثرت فيه تلك الحياة وأثر فيه مقام جده فبعث فيه إباء وترفعاً واعتداداً بالنفس وهو القائل :

وتعلـــــمْ لا تلقتـــكَ مـــن الايـــام نبـــوه
أنني مـــا زلت ذا تيهٍ مـــع العُـدْمِ ونخْـوَهْ
قَـــلَّ أنْ أضْـــرَعَ أو أرْكَبَ للاطمـــاع صَهْـوَه(١٠)
ذا إبـــاءٍ آخُـــذُ الـــرزق بحدِّ السيفِ عَنْـوَه(١١)

وقد بدا عليه ميل الى الادب وخاصة الشعر حين اتسع افقه فأوغل في دروبه وراح في مفاوزه وسهوله وتمكن من ناصيته • وقد التحق في صدر شبابه بديوان المقاطعات (١٢) ببغداد يعمل بوظيفة كاتب ، ثم نقل للعمل في الحلة بنفس وظيفته (١٣) ، ويتولى مهمة ملاحقة المتخلفين عن ايفاء ما للدولة من نصيب الخراج وما له علاقة بعمل الكاتب في ديوان المقاطعات • كما ثبت ذلك من قصيدته التي

---

(٨) الذيل والانساب ٢/٥٦ •

(٩) هو أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالوهاب بن أحمد بن الحسن بن عبيدالله بن الوزير القاسم بن الوزير عبيدالله بن أبي نصر المعروف بابن الدباس ، من أرباب البيوتات الكبار ، كان أديبا فاضلا يقول الشعر • توفي سنة ٥٥٦ هـ (الوافي بالوفيات ص ١٢٢ ، ١٢٣) •

(١٠) ضَرَعَ – التجأ • أضرعته الحاجة : الجأته •

(١١) الديوان ص ٤٥٥–٤٥٦ •

(١٢) ديوان المقاطعات أو ديوان الاقطاع : الديوان الذي يشرف على تقسيم الغلة من قبل الملتزم والحصول على الخراج من قبل الدولة • وكانت أعمال الكاتب تدوين ما يرد من أموال الخراج والجزية وغيرها (معجم الادباء ، ١٨/٢٣٥) •

(١٣) جاء في تقديم القصيدة « وكتب الى عضدالدين الوزير من الحلة حين أخرجه لتولي اقطاعه بمعاملة العكبة يشعره بأنه عمل عليه عملة في داره ببغداد ويستنهضه في استعادتها » •

يخاطب بها الوزير عضدالدين من الحلة اذ دخل اللصوص داره ببغداد وسرقوا منها وعاثوا فسادا ومطلعها :

يا عَضُدَ الدين أنتَ مُعْتَمَدِي   سَمِعتُ شيئاً قد فَتَّ في عَضُدي
سمعت أنَّ اللصوصَ قد دخلوا   داري فعاثوا فيما حوته يدي(١٤)

ويستدل كذلك على عمله في الحلة بقصيدته التي وجهها الى بعض أصدقائه فيها يطلب منه موضعا يربط فيه فرسه منها قوله :

قُلْ لجمالِ الدين يا أكرمَ الناس ويا أطهَرَهم مَوْلِدا
قد عرضتْ لي حاجةٌ قَلَّ أنْ   يَخيبَ راجي مثلها مَقْصَدا
خفيفةُ الموقعِ أعتدُّها   لموضعِ الحاجةِ عندي يدا
ماذا ترى في زَمِنٍ أعوَرٍ   بالٍ مُسنٍ دَخِسٍ أجردا
لا يَبْتَغي منكَ شعيراً ولا   جُلاً ولا تِبناً ولا مِقْوَدا
وانما شكواه من شَمالٍ   يَتْبَعُ مَسراه سُقُوطَ الندَى
يُرضيهِ أنْ يأوي الى مَعْلَفٍ   يَمنَعُهُ في الليل أنْ يَشرُدا
وأنْ تَرَى عيناه من فَوقِه   سَقْفاً وباباً دونَه مُوصَدا
فكن بما تُسديه لي مُغنياً   عن مَعشَرٍ قد تركوني سُدَى(١٥)

ويبدو انه اُعيد للعمل في غداد لوظيفته التي كان يشغلها وهي كاتب لديوان المقاطعات ، ويتبين أنه كان يعاني من كثرة تنقله للعمل في أماكن بعيدة عن بغداد ما يضنيه وذلك واضح في قصيدته التي مطلعها :

كم اُنفِق الايامَ في خدمةٍ   أحرزتُ فيها صَفْقَةَ المُخسِرِ
في كلِ يومٍ سَفَرٌ راتِبٌ   الى مكان شاسعٍ مُقفرِ
كأنني من حَرِّهِ واضعٌ   اخمُصَ رِجلَيَّ على مِجْمَرِ
يُثبَرُ بالمَشى كِعابي فما   أوقعَ ما سُمِيَ بالمَثْبِرِ(١٦)

---

(١٤) الديوان ص ١٤٤ .
(١٥) ينظر ديوانه ص ١٤٥ ، ١٤٦ .
(١٦) الديوان ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ . وردت هذه الابيات في المخطوطة البغدادية ورقة ١٥٦ ضمن قصيدة مطلعها :
يا عضدالدين دعاء امرئٍ   على الليالي بك مستنصِرِ

ولكن وظيفته لم تشغله عن التتبع لاخبار الشعر وأهله وعن الغوص في لجاج اللغة ليعب منها كل شاردة وواردة ، ولم تلهه أعماله أو تضعف فيه ملكته الشعرية بل اوغل فيه فنبغ حتى أصبح أحد ثلاثة من فحول شعراء عصره : هم الابله البغـــدادي (١٧) والحيص بيص (١٨) وهـو ، كانـــوا منقطعين(١٩) للوزير أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة وزير المقتفي والمستنجد حيث عرف ابن هبيرة بتقريبه الشعراء وعطفه عليهم وصلاته المغرية لهم واجرائه الرواتب عليهـــم .

(وكانت تدور في مجلسه مباريات بين الشعراء يظهرون فيها براعتهم)(٢٠)

وكان سبط ابن التعاويذي من المعجبين بخلق ابن هبيرة (٢١) وكثرة حلمه وبكثرة نواله للعافين والطالبين وحبه للعلماء والادباء وببطولته ومواقفه الجريئة خاصة حين شد ازر الامام المقتفي في اخـراج السلاجقة من بغـداد سـنة اثنتين وخمسين وخمسمائة الهجرية فمدحه بكثير من القصائد منها قصيدته التي لـم تقرأ في حضرته لوفاته سنة ٥٦٠ هـ والتي استهلها بالغزل :

سـقاها الحيـا من أربَعٍ وطلـولِ ... حكتْ دَنَفِي من بَعدِهم ونُحُولي
لئن حالَ رَسمُ الدارِ عما عَهِدتُه ... فَعَهْدُ الهوى في القلب غير مُحيل
الى كم تُمَنِّيني اللّيالي بما جـد ... رَزينٍ وَقارِ الحِلْمِ غير عَجـول

---

(١٧) محمد بن بختيار الشاعر المشهور بالابله البغدادي ، توفي سـنة ٥٧٩ هـ ودفن في باب ابرز (النجوم الزاهرة ٦/٩٥) .
ومن أبياته المشهورة :
لا يعرف الشوق الا من يكابده ... ولا الصـبابة الا مـن يعانيهـا

(١٨) هو الامير شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد التميمي كان من مشاهير الشعراء في العصر توفي ببغداد سنة ٥٧٤ هـ .

(١٩) وفيات الاعيان ٥/٢٧٨ .

(٢٠) فوات الوفيات ٢/٦٢٠ ، ٦٢١ .

(٢١) هو عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد ويرجع نسبه الى شيبان وينتهي بعدنان . كان غزير العلم مفوها مهيبا ، توفي ليلة الاحد ١٣/جمادى الاولى/٥٦٠ هـ وهو وزير المستنجد وكان مقربا لاولي الفضـل والتدين ، وقال عن نفسه : وقد جمعت من القصائد التي مدحت بها ما يزيد على مائتي ألف بيت (خريدة القصر ١/٩٦ ، ٩٨) .

وبعد هذا الاستهلال ينفذ الى كرمه وكثير نواله :

لقد طالَ عهدِي بالنوالِ وانني ... لَصَبٌّ الى تقبيلِ كَفٍّ مُنيلِ
وأنَّ ندى يحيى الوزيرِ لكافلٌ ... بها لي وعَوْنُ الدين خيرُ كفيلِ
من القوم لا راجي نداهم بخائبٍ ... ولا الجارُ في أبياتهم بذليلِ

ويعرج الى شجاعته واقدامه :

ثِقالٌ على الأعداءِ لا يَستَخِفُّهم ... نَوازلُ خَطْبٍ للزمان ثَقيلِ
تَخافُكَ أطرافُ القَنا فاهتزازُها ... من الذعر لا من دِقَّةٍ وذُبُولِ(٢٢)
وسُقتَ العِدى سوقَ الرعاءِ ظَوامِئاً ... لِوِردٍ من الموت الزُؤامِ وَبيلِ(٢٣)

وقد انفصل عن خدمة استاذ الدار(٢٤) عضدالدين بعد أن تغير عليه الخليفة المستنجد وشعر بالقلق والخوف من بطش الوزير ابن البلدي (٢٥) الذي هجاه كثيرا وكان ابن البلدي شديد الفتك بأصحاب عضدالدين وملاحقتهم ، وقد ساءت حاله فراح وسط هذه العواصف يطلق لسانه بالاستجداء ، نقرأ ذلك في قصيدته التي مطلعها :

أترضَوْنَ يا أهلَ بغداذَ لي ... وعنكم حديثُ الندى يُسندُ

وبعد ما يظهره من ذل وخور وضعف نفس يذهب الى التعريض بابن البلدي ويهجوه مر الهجاء :

لحا اللهُ بغدادَ من موطِنٍ ... به كلُّ مكرُمةٍ تُفقَدُ
يُرى كلَّ يومٍ بها سِفلةٌ ... يَسودُ ولم يَنْمِهِ سؤدد

---

(٢٢) ورد هذا البيت في خريدة القصر جـ ٣ (من الذعر لا من خفة ونحول) .

(٢٣) الديوان ص ٣٤٤ ، ٣٤٦ .

(٢٤) هو الذي يتولى شؤون دار الخلافة وادارة امورها في ذلك الزمن ويشبه رئيس الديوان في بلاطات الملوك اليوم .

(٢٥) هو شرف الدين أبو جعفر محمد بن أبي الفتح المعروف بأبن البلدين . استوزر للخليفة المستنجد بالله العباسي وكانت بينه وبين استاذ الدار عضدالدين أبي الفرج محمد بن رئيس الرؤساء الذي خلفه في الوزارة كره شديد وعند انتهاء خلافة المستنجد استدعي ابن البلدين وضربت عنقه والقي به في دجلة .

يناضل من دونه وفره ويخذله الأصل والمحتد
ويعجبه طيب أثوابه وقد خبث الأصل والمولد(٢٦)

وقد منحه الخليفة المستضيء جائزة وجاءه صك موقع عليه ليستلمها من المخزن من غلة وعين فقصده أكابر الدولة مهنئين لمنزلته عند ابن رئيس الرؤساء ، ولكن أمر التوقيع اوقف واستعيد الصك من يده واشيعت الشائعات حول ذلك وظنت به الظنون ونسب ذلك الى تغير الخليفة عليه لموجدة ، فكتب الى جلال الدين(٢٧) قصيدة يستفسر عن السبب وذلك سنة ثمان وستين وخمسمائة الهجرية(٢٨) وفيها تصوير لما يعتلج في صدره من الهموم والوسواس الذي تمكن منه حتى تخيل ان الناس كلهم يتحدثون بحديثه ويضربون في آفاق بعيدة عن الواقع مما جعله يسهر الليل بطوله يفكر :

يا جلال الدين يا ملكاً هو في أفعاله مليكُ
واستمع من شاعرٍ يده بك بعد الله تمتسكُ
هزّه فيك الرجاء فما له في الصدر تعتركُ
أنا في توقيع جائزتي طول هذا الليل مرتبكُ
فلقد كانت ضلوعيَ من حر نارِ الفكر تنسبكُ
شاع أمري فيه وامتلأت بحديثي الطرقُ والسككُ
رجموا فيّ الظنونَ فكم مسلكٍ في الاثم قد سلكوا(٢٩)

وهو من شعراء ديوان الخلافة الذين كانوا موظفين فيه (٣٠) وقد اجريت لهم الرواتب وهم يعملون على ابراز أعمال الخليفة ويعلنون عنها الملأ ويثمنون أعمال رجال الدولة ويهنئون أيام المراسم والاعياد وفي المناسبات ويشيرون على الخليفة بما يرونه ويبدون له النصح وينتقدون أعمال ولاته ان جاروا أو ظلموا ،

---

(٢٦) الديوان ص ١٣٩ ، ١٤١

(٢٧) هو عبيدالله بن يونس ، كان من أكابر التجار وتولى وظيفة استاذ الدار ثم استوزره الناصر سنة ٥٨٣ (الكامل ١١/٣٧٢) .

(٢٨) المخطوطة البغدادية ورقة ٦٩ .

(٢٩) الديوان ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٣٠) ينظر مضمار الحقائق محمد تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي — تحقيق الدكتور حسن حبشي ص ٦ وجاء في ص ٢٢ قوله (وهو من شعراء الديوان) .

نقف على ذلك في قصائد لسبط ابن التعاويذي في ديوانه منها قوله :

لك يا أمير المؤمنين يدٌ — في الظالمين واخذهم لَبِقَهْ
ضَمِنتْ إعادةَ كلِّ مُغتَصَبٍ — فلأي معنى تُتْرَكُ الطبقَةْ
أوَلستَ تعلمُ أنها شَرِيَتْ — وابنُ الجَلابيب مُضايقٌ سَرِقه
فانفِذْ قضاءَكَ في استعادتِها — فلقد تركت قلوبنا علِقه(٣١)

وقد لجأ الى دار الحريم في قصر الخلافة مع من لجأ من الخلق تاركين بيوتهم هلعا وخوفا من أن تأكلهم نار الفتنة التي أحدثها قطب‌الدين قيماز (٣٢) وأخوه علاءالدين تنامش ومن ايدهما من الامراء المماليك الاتراك حين هاجموا قصر

---

(٣١) الديوان ص ٤٨٩ •

(٣٢) جاء في الكامل ١١/٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٣٦٠ « سير علاءالدين تنامش وأخوه قطب‌الدين قيماز وهو من أكابر الإمراء ببغداد عسكرا الى الغراف فنهبوا أهله وبالغوا في أذاهم فجاء منهم جماعة الى بغداد فاستغاثوا فلم يغاثوا لضعف الخليفة مع قيماز وتنامش وتحكمهما عليه (*) فقصدوا جامع القصر واستغاثوا فيه ومنعوا الخطيب وفاتت الصلاة أكثر الناس فانكر الخليفة ما جرى فلم يلتفت قطب‌الدين وتنامش الى ما فعل واحتقروه ، فلما كان خامس ذي القعدة قصد قطب‌الدين قيماز اذى ظهيرالدين ابن العطار وكان صاحب المخزن وهو خاص الخليفة وله به عناية تامة فلم يراع الخليفة في صاحبه فأرسل اليه يستدعيه ليحضر عنده فهرب فأحرق قطب‌الدين داره وحالف الامراء على المساعدة والمظاهرة له وجمعهم وقصد دار الخليفة لعلمه ان ابن العطار فيها فلما علم الخليفة ذلك ورأى الغلبة صعد الى سطح داره وظهر للعامة وأمر خادما فصاح واستغاث وقال للعامة : مال قطب‌الدين لكم ودمه لي ، فقصد الخلق كلهم دار قطب‌الدين للنهب فلم يمكنه المقام لضيق الشوارع وغلبة العامة فهرب من داره من باب فتحة في ظهرها لكثرة الخلق على بابها وخرج من بغداد ونهبت داره وأخذ منها من الاموال ما لا يحد ولا يحصى وتبعه تنامش وجماعة من الامراء فنهبت دورهم أيضا واخذت أموالهم واحرق أكثرها وسار قطب‌الدين الى الحلة ومعه الإمراء فسير الخليفة اليه صدرالدين شيخ الشيوخ فلم يزل به يخدعه حتى سار عن الحلة الى الموصل على البر فلحقه ومن معه عطش عظيم فهلك أكثرهم ومات قطب‌الدين قبل وصوله الى الموصل فحمل ودفن بظاهر باب العمادي » •

(*) يلاحظ الفخري ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ حيث نرى قيماز عاون عضدالدين ابن رئيس الرؤساء على ادخال المستنجد الحمام وهو حار فمات فيه من الحرارة وجيء بالمستضيء خليفة بشروط • وهذا عامل من عوامل تحكم قيماز واستهتاره بالخليفة •

الخليفة سنة سبعين وخمسمائة الهجرية فاستعان الخليفة المستضيء بالشعب فأحاطوا بقيماز وجماعته من المارقين وكانت نتيجتها انتصار الخليفة وشعبه وفرار قيماز ومن معه باتجاه الموصل فهلك منهم كثير ، وقد تأخر شاعرنا في دار الحريم ينتظر هدوء الحالة فشعر بعتب عمادالدين بن الوزير عضدالدين ابن رئيس الرؤساء فتقدم بالإبيات التالية يعتذر له عن تأخره غير المتقصد مطلعها :

يا عمادَ الدينِ يا أكرمَ مَنْ تحتَ السماءِ
يا أجلَّ الناسِ قَدْراً وابنَ خيرِ الوزراءِ
أنْ تأخرتُ فقد قدمتُ في الليلِ دُعائي (٣٣)

وقد مدح الوزير عضدالدين بعد هذه الحادثة التي تعرضت لها بغداد وهزت قصر الخلافة بقصيدة مطلعها :

لكَ ذُروةُ البيتِ العتيق عمادُهُ ومُقَلّدُ السيف الطويلِ نجادُهُ

ثم ينساب مع عواطفه ويسبح مع خيال جموح في عراقة أسرته وإخلاصها وقوة شكيمتها :

واليك ينتسب العلاء قديمه وحديثه وطريفُه وتِلادُهُ
آلَ المظفرِ منكم بدأ النَدَى وإليكمُ دونَ الأنامِ مَعَادُهُ
فكفى الخلافةَ أنكم أعضاؤها والملكَ فخراً أنكم أمجادُهُ

ويطري شجاعته واقدامه وحسن بلائه :

يا مَنْ إذا ما رامَ أمراً نالَه قسراً ولو أن النجومَ مُرادُهُ
طَوْدٌ رزينٌ حِلمُه وَوَقارُهُ ليثٌ خفيفٌ كَرُّهُ وطِرادُهُ (٣٤)

ثم مدح الخليفة المستضيء بعد أن نصره الله على قيماز ومن معه من الاتراك الذين أرادوا بالخلافة سوءاً فقد اهتزت نفسه وجاشت عواطفه ووصف هزيمة أعداء الخليفة وأعداء الدين بقصيدة مطلعها :

---

(٣٣) الديوان ص ١٣ .
(٣٤) الديوان ص ١٢٨ـ١٣١ .

لكَ النَهْيُ بعدَ اللهِ في الخلقِ والأمرُ
وفي يَـدِكَ المبسوطةِ النَفْعُ والضُرُ

وطاعَتُكَ الإيمـانُ باللهِ والهُـدَى
وعِصيانُكَ الالحادُ في الدينِ والكفرُ

وبعد ان أسبغَ على الخليفة هذا المديحَ يستمر مبالغاً :

تَغـارُ من الأرضِ السـماءُ لِوَطْئـهِ
ثَراها ومن حَصْبائِها الأَنْجُمُ الزُهرُ

ولمـا أبى الأَعـداءُ الاّ تَمـرُّدا
أبـى اللهُ الا انْ يـكونَ لـكَ النَصـرُ

ثم يلوح بما حصل عليه اولئك المماليك من المكانة والسطوة وتوهموا أنهم قادرون على كل شيء وأن بيدهم الأمر يفعلون ما يشاؤون دون حساب :

وغَرَّهُمُ سِـلْمُ الليـالي ومـا دَرَوا
بأَنَّ الليـالي من سـجيتها الغَـدْرُ

وكان من نتيجـة مكرهم وخداعهم وطيشهم أن فرّوا تحت ضربات الشعب أذلةً فحاق بهم ما لم يدر لهم بحسبان ولم يخطر لهم على بال :

أبى اللهُ الاّ أنْ يمـوتوا أَذلَّـةً
وفـرّوا وسـيانِ المَنيـةُ والفَـرُ

طَوَوا مكرَهم تحتَ الضُلُوعِ خيانَةً
فحـاقَ بهـم خُبثُ الطَـويةِ والمكْرُ(٣٥)

وحين أحسّ شاعرنا بالشيب يدب دبيبه اليه وقد تقدمت به السن ونال منه الكبر طلب الى الامام الناصر لدين الله أن يجعل راتبه بأسم أولاده ، وقد أجابه الناصر الى ما أرادَ ، ثم عاد وطلب اليه بأبياتٍ رقيقة أنْ يجددَ له راتباً باسمه طيلة حياته لان أولاده استأثروا بالراتب الذي نقل بأسمائهم دونه ، وقد بدأها

(٣٥) الديوان ص ١٧٣ ـ ١٧٧ .

بمديح يشعره فيه بما هو عليه من مسؤولية ، وانه مطالب بنشر العدالة بين رعيته والمنفذ لتعاليم الدين الاسلامي الحنيف والساهر على تطبيق قواعده السليمة امام الله وأمام الناس ، ثم يطري قوته وسطوته ونفاذ كلمته وبعد أن يضع كل هذه أمامه يدلف الى بسط حالته ويحاول أن يثير شفقته بما يعانيه من ضائقة وحرج في اعالة أفراد أسرته ذات العدد الكثير ، ومطلعها :

خَليفةَ اللهِ أنتَ بالدين والدُنيا وأمــرِ الاســـلامِ مُضطَلِــعُ
أنتَ لمـا سنَّهُ الأَئمــةُ أعــلام الهُـــدَى مقتَفٍ ومُتَّبِــعُ
يا ملـكاً يَـردَعُ الحـوادثَ والأَ يـامَ مـنْ ظُلْمِنـا فتر۠تَـدِعُ
أرضيَ قد أَجدَبتْ وليس لِمَنْ أجدَبَ يوماً سِـواكَ مُنتجَـعُ
ولي عِيـالٌ لا دَرَّ دَرَّهُــمُ قد أكلُوني دَهْري وما شَبِعُوا(٣٦)

ويتبع ذلك وصفهم بأعمارهم المختلفة منهم الكهول والشباب والمراهقون والاطفال والمرضعون :

فمنهــم الطفــلُ والمُــراهِـقُ والمُرْضَـعُ يَحبُو والكَهْلُ واليَفعُ
لَهـم حلُوقٌ تُفْضي الى مِعَـدٍ تَحمِـلُ في الأكْلِ فوق ما تَسَعُ

ويعرض عليه قضية استئثارهم بالراتب الذي نقل بأسمائهم وهو الذي لا حول له ولا قوة معهم ومع إصرارهم على التصرف به دونه :

نقلتُ رَسْمِيَ جَهْلاً الى وُلْدِ لَستُ بهم ما حَييتُ أنتَفِـعُ
وقلتُ هـذا بَعدِي يكون لكم فمـا أطاعـوا أمري ولا سَمِعُوا
واختَذَنوهُ مِني فمـا تَركُـوا عَيني عليـه ولا يَـدِي تَقَـعُ

ثم ينحى باللائمة على تصرفه وتسرعه :

فَبِئسَ واللهِ ما صَنَعْتُ فاضررتُ بنفسي وبِئسَ مـا صَنَعُـوا

ثم يجابه الخليفة بواقع طلبه ويحرجه بقوله :

---

(٣٦) هذا البيت ورد في وفيات الاعيان عجزه « قد أكلوا دهرهم وما شبعوا » ٤/٩٠ مع ان رواية الديوان موافقة لما جاء في المخطوطة ص ٣٤ .

فإنْ أردتُمْ أمراً يَزولُ بهِ الخِصامَ من بَيننا ويَرتَفعُ
فَأستأنِفوا لي رَسْماً أعوذُ على ضَنْكِ مَعاشي بهِ فأتّسعُ

ويهيب بالخليفة الا يسيء به الظن والا يعتبر طلبه بنقل الرسم خديعة فهذا ما لم يفكر فيه :

وانْ زَعمتم أنّي أتيتُ بها ـ خَديعةً فالكَريمُ مُنْخَدِعُ (٣٧)

فاستجاب الامام الناصر لطلبه وأمر له براتب دائم يسجل باسمه طيلة حياته بيد أن الراتب كان يصله من الخشكار الرديء (٣٨) فتذمر لهذا واستاء فوجه طلباً فيه الاستعطاف الممزوج بالإلتماس الى فخرالدين صاحب المخزن يشعره بعدم رضاه من هذه الجراية التي تشعره بالهون والذل :

مولايَ فَخرَ الدينِ أنتَ الى النَدى
عَجِلٌ وغَيرُكَ مُحجِمٌ مُتباطي
أنزلتَ مَنْ يرجوكَ أرحَبَ مَنزِلٍ
وبَسَطْتَ منْ يرجوكَ خَيْر بَساطِ (٣٩)
يا مُنْجِزَ الميعادِ في زَمَنٍ تَنوا
صَى أهلُهُ بالمَنْعِ والالطاطِ
حاشاكَ تَرضَى أنْ تكونَ جرايَتي
كَجِرايَةِ البَوابِ والنفّاطِ
سَوداءَ مثلَ الليلِ سِعرُ قفيزِها
ما بين طَسّوجٍ الى قيراطِ
فَتَنولُ تدبيري وقد أنهَيْتَ ما
أشكوهُ مِنْ مَرضي الى بُقراطِ (٤٠)

---

(٣٧) الديوان ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
(٣٨) هو الطحين الممزوج بنخالته : أو الشعير المجروش نكت العميان ص ٢٥٩ .
(٣٩) البَساط ـ الفناء الواسع أو الارض الواسعة . والبِساط بكسر الباء ضرب الطنافس .
(٤٠) الديوان ص ٤٨٧ .

وقد كان ذا عوز وحاجة فدفعه هذا العوز وهذه الحاجة الى الشكوى من حاله وابرازها بصورة واقعية في مخاطبته عضدالدين ابن رئيس الرؤساء وهو يعرض ما هو عليه من ضنك العيش :

أيا مَولايَ مَجْدالدينِ يا مَنْ
إليهِ ومنْهُ بَثّي واشتِكائي
دَعَوْتُكَ مُستَجيراً مِنْ زَماني
بِجُودِ يديكَ فاصغْ الى دُعائي
فَيا مَولايَ هَلْ حُدِّثْتَ عَني
بأني مِنْ مَلائِكةِ السَماء
وَأنّ وَظائِفَ التَسبيحِ قُوتي
وما أحيا عليهِ مِن الدُعاءِ
وَهَلْ في الناسِ لَوْ أنصَفْتَ خَلْقٌ
يَعيشُ كما أعيشُ مِن الهَواءِ (٤١)

وقد طلب المال وقرع في سبيل الحصول عليه كل باب ولكنه مع كده والجهد الذي بذله فأبواب الرزق سدت في وجهه :

سَعَيْتُ الى الغِنَى وجَهَدْتُ نفسي
فَلَم أحْصُلْ على غَيْرِ العَناءِ
فَزالتْ راحةُ الفقراءِ عَنّي
ولَم أظفَرْ بعيشِ الأغنياءِ (٤٢)

ويلوح لنا ان كثرة أفراد عائلته دفعته الى شكوى متصلة من قلة الرزق مع أننا لا نعرف عنهم شيئاً فجميع المراجع وقفت صامتة تجاه عدد أفراد اسرته وأسماء بناته وأبنائه مع أنه يقول :

فمنهم الطفلُ والمراهِقُ والمرضَع يحبو والكهلُ واليَفَعُ (٤٣)

---

(٤١) الديوان ص ١٣ ، ١٤ .
(٤٢) الديوان ص ١٤ .
(٤٣) الديوان ص ٢٧٢ .

وقوله هذا يدل على كثرتهم ذكورا واناثا كبارا وصغارا . ولنستمع اليه يرثي ابنة له صغيرة بقصيدة مطلعها :

أيُّ نـارٍ ضَرِمَتْ في كَبِدي ومُصابٍ قَلَّ عَنهُ جَلَدي
ويَـدٍ ناضَلَني الدَهرُ بها ضَعُفَتْ عن رَدّها عنكِ يَدي
بأبي غائبَـةٌ عَنْ ناظِـري في الثَرى حاضِرَةٌ في خَلَدي(٤٤)

ومن أبنائه ولد صغير طلب الى الامام الناصر لدين الله أن يعينه بوظيفة حاجب ليكون في خدمته من جملة حجاب ديوان الخلافة بأسلوب يفيض بالسحر حيث مدح الخليفة مدحا رائعا ووصف حاله وقد دب فيه الكبر وأسهب في وصف ولده اخلاصه وخلقه وأدبه مطلعها :

خَليفةَ اللهِ الـذي وُعـوده لا تُخْلَفُ
ويا إِمـاماً أعجَزَتْ صِفاتُه مَنْ يَصِفُ

ويدفعه حبه للخليفة الى التحمس والمبالغة في الاطراء :

وأنّـهُ أكـرمُ مَنْ داسَ الثَرى وأَشرَفُ

ثم ينفذ الى وصف ولده وترعرعه في خدمة الخليفة ، مع انه صاحب عائلة كبيرة تريد أن تعيش فلا مفر من تعيين ولده على صغر سنه ليعينه على اعالتها وسد عـوزها :

قـد شَبَّ في خِدمَتكم ولي بـذاكَ الشَرَفُ
وَخَلْفَـهُ عائِلَـةٌ أَغراضُهم تَخْتلِفُ

ويذكره بأنه بحاجة الى العمل ، فهو لم يترك له تركة تغنيه بعد موته عن السؤال ويعتمد عليها :

ومـا لَـهُ بَعْـدِيَ مَـوْروثٌ ولا مُخَلَّـفُ

مع أنه مثقف مهذب كما جرّبه أبوه :

وهـوَ وقـد بَلَوْتُـهُ مُهَـذَّبٌ مُثَقَّـفُ
مـا فيـهِ لا كِبْـرٌ ولا تِيـهٌ ولا تَعَجْرُفُ

---

(٤٤) الديوان ص ١٣٨ .

وكل ما يطمح به ويصبو اليه ، خدمة الخليفة ففي ذلك شرف عظيم :

وهَمُّــهُ الخِدمَــةُ في الديــوانِ والتَّصَـرفْ
فَاغْرِسْهُ لي في خِدمَةٍ يَسمُو بهـا ويَشرُفُ(٤٥)

وقد أساء شمس الدين بن جعفر رئيس حجاب ديوان الخلافة معاملة ولده هذا وصب عليه ظلماً لسبب قد أتاه فراح يخاطب رئيس الحجاب بكلمات تشعره بأنه أساء لنفسه حين أساء الى ولده ورجاه أن يحمله على أن يعاتبه فعتابه ممض جارح فأهانة ولده تعني اهانته وهذا ما لا يستطيعه :

سَـيدي يا ابـنَ جَعفـرٍ أنتَ أعلى
هِمَّـةً أنْ يَعيبَ بَعْضَكَ بعْضُ
لَـكَ بيْتٌ عالي الـدعائمِ لا يَطمَـعُ
في مَجْـــدهِ المؤثَّـــلِ نَقْـضُ
فاجتَنِبْ لا تَقفْ بِجُهْدِكَ في مَـوْ
ضِـعِ عَتْـبٍ فَـانَّ عَتْبـي مُمِضُ
لا تَمِلْ غُصْنَ دَوْحَتي فهـو لا يقبلُ كسراً وعوده اللَّدن غضُ(٤٦)

ولا نعرف كم كان له من الاخوة والاخوات وماذا كانوا يعملون وما ثقافتهم ؟ بل نجهل كل ما يتعلق بحياتهم بيد أننا وجدناه يرثي أخاً له توفي وراح يبكيـه بعاطفة حزينة :

رَمَتْني الليـالي من مُصـابك يا أخـي
بقاصِمـةٍ مِـن رَيْبهِـنَّ المُـدَوّخِ
أخـي ضامني فيـك الزمـانُ ورَيْبُـهُ
فمـالَكَ لا تَحْمـي حِمـاك وتَنْتَخي
فـان اُمس مغلـوبا فغـيرُ مؤنَّبٍ
عليـكَ وأنْ أجـزَعْ فغـيرُ مؤبَّخٍ(٤٧)

---

(٤٥) الديوان ص ٢٧٨ ــ ٢٨١ .
(٤٦) الديوان ص ٢٥٤ .
(٤٧) الديوان ص ١٠٤ .

وكان عمه يسمي تاج الدين أبا علي ابن المظفر ، ماتت ابنته فرثاها سبط ابن التعاويذي بقصيدة مطلعها :

هي الأيـامُ صحتُها سَقامُ
وغايةُ مَنْ يَعيشُ بها الحِمامُ
إذا وَصَلَتْ فليسَ لها وفاءٌ
وأنْ عَهِدَتْ فلَيْسَ لها ذِمامُ

ألا يا ظاعنين وفي فؤادِ المُحِبِ لوَشْكِ بَينهم ضِرامُ(٤٨)

وتوفي جده لأمه أبو محمد المبارك التعاويذي الذي عاش في نعمته وأبعَدَ عنه الجوع والحرمان ورعاه جميل الرعاية وأحاطه بكل مقومات الحياة حتى عرف بنسبه واشتهر ببيته وتقدم في الحياة بجاهه وعلو مقامه فغاضت قريحته بالعبرات والتاع قلبه واستوحش لفراقه وأطلقها عن صدره أنّاتٍ متصلة الآهات فيها صنوف من الانفعالات النفسية التي عصرتها لوعة الحزن وروعة الفراق الأبدي :

لِكلِ ما طالَ بِهِ الدهرُ أمَدْ — لا والداً يُبقي الردى ولا وَلَدْ
يا راقِداً تَسُرُّهُ أحلامُهُ — رَقَدْتَ والحِمامُ عنك ما رَقَدْ
يا موحِشَ الأرضِ عليَّ بفَقْدِهُ — حتى كأنْ ليس على الأرضِ أحَدْ
أوحدْتَني وفي الرجالِ كثرةٌ — يا قِلّةَ الجارِ وقِلةُ العَدَدْ(٤٩)

وقد رأى نسل أبنائه فمات لأحدهم ابن وهو صغير فرثاه بقصيدة يصور فيها نكبته وكيف اختلسه الموت من بين يدي إمه وأبيه ويزجي بعواطف حزينة تطوف مع خيال جامح بين بوادي الكون ومكنوناته بمطلعها :

يا بأبي المُختَلَسُ المُستَلَبْ — عنَّ له سَهْمُ حِمامٍ غَرَبْ(٥٠)
وانتزعتْهُ للمنايا يَدٌ — مُغْتالَةٌ من حُجْرِ أمٍ وأبْ
أفديهِ من رَيحانةٍ غَضّةٍ — عادَ هَشيماً عُودُها المُحْتَطَبْ(٥١)

---

(٤٨) الديوان ص ٣٩٤ .
(٤٩) الديوان ص ١٣٥ .
(٥٠) سهم غرب : طائش لا يعرف راميه .
(٥١) الديوان ص ٥٨ .

وقد عثرنا على شاعر كاتب اسمه محمد بن عبداللطيف التعاويذي توفي سنة إحدى وأربعين وستمائة الهجرية في الحلة (٥٢) وقد كان يعمل فيها بوظيفة كاتب ولا ندري اذا كان من سلالة أبي الفتح أم من سلالة جده أبي محمد المبارك ٠ وجاء في البابليات ، أنَّ (محمد بن عبداللطيف التعاويذي) كاتب الحلة يومئذ بغدادي الاصل حلّي المسكن ، ولا ندري أهو من أحفاد ابن التعاويذي أبي محمد المبارك ابن السراج البغدادي الزاهد المتوفى في بغداد سنة ٥٥٣ هـ أم هو من أحفاد الشاعر المعروف بسبط إبن التعاويذي صاحب الديوان المشهور ٠ فانه نسب الى جده المبارك المتقدم ذكره (وسبط ابن التعاويذي الشاعر كان قد قدم الحلة غير مرة) (٥٣) ٠

وكانت لشاعرنا مع بعض الاماثل مداعبات فقد أُهدِيَ اليه من البصرة دبسٌ وتمرٌ فأنفذ بعض الصدور من أخذه من الشط قبل أنْ يعلم بوصوله فقال في ذلك :

ما ذقتُ قطُّ أمرَّ منْ امري ... في البُسْرِ والسيلان والتَمْرِ
جاز المخاوفَ والشُراةَ وأصحابَ ... البدارق من بني عَمْــــرو
حتى اذا وَصَــلَ المَشومَ الى ... نهــرِ المُعَلّى جانبَ الجسر
دَهَمَتْني الآفاتُ فيــه ولَمْ ... أفْطَنْ بهــا مـن حيث لا أدري(٥٤)

لقد كان شاعرنا يشارك الحاكمين في أفراحهم وأتراحهم وينصحهم وينقد أعمالهم كما رأينا ، ويشارك شعبه مبديا عواطفه معبراً عن أحاسيسه فيما يقع حوله من أحداث وهو يتبوأ مكانة رائعة بين معاصريه وفي مجتمعه من الشعراء والحاكمين والفقهاء ورجال الدين فقد كان له ديوان يجتمع فيه علية القوم من علماء وادباء وشعراء فهو مجمع للندوات العلمية والادبية ٠ قال ابن خلكان (وكان شيخنا الامام القاضي

---

(٥٢) تأريخ الحلة ــ يوسف كركوش ١/٦٣ ط ٠ النجف سنة ١٩٦٥ ٠

(٥٣) البابليات ــ محمد علي اليعقوبي جـ ٣ القسم الثاني ص ١٩٦ ٠

(٥٤) الديوان ص ٤٧٨ ٠

شهاب الدين محمود (٥٥) رحمه الله تعالى لا يفارق ديوانه ويعجبه طريقه ويقتفي اسلوبه) (٥٦) .

ولم نجد ما يدل على أنه غادر العراق كغيره من الشعراء الذين انتجعوا الشام ومصر طمعا بالمال والجاه مع كثرة تهديداته لبغداد بالرحيل عنها والسخط عليها لانها لم تكرمه الإكرام الذي يستحق ولم تهيء له عيشا كريما ، نقرأ ذلك في عدد من قصائده منها التي مطلعها :

تأوبني فأرّقني خيـــال ... سَرَى للمالكية بعد وهن
سئمتُ من الثّواء بدار ذلٍّ ... أجرُّ ذيلَ منقصةٍ ووهنِ
لئن ضاقت بيَ الزوراءُ داراً ... فما ضاقت بلادُ الله عني
ولي في الأرض مضطربٌ وسيع ... ومرتكض اذا هي لم تسعني (٥٧)

صلته بالخلفاء وعليةِ القوم :

كان سبط ابن التعاويذي ذا صلة وثقى بخلفاء عصره ووجوه البلد وأعيانه فكان يقلدهم مدائحه ويهنئهم في مواسم التهنئة ويواسيهم في أيام المحن وينصحهم وينقد أعمالهم ويذهب في مخاطبته اياهم بصيغة الامر في بعض الأحايين وهذا مما يدل على قوة علاقته بهم وعظيم تقديرهم لأدبه وشعره ولنستمع اليه يخاطب الامام الناصر لدين الله :

فوقّعوا لي بما سألتُ فقد
أطمعتُ نفسي واستحكمَ الطمع
ولا تطيلوا معي فلستُ ولو
دفعتموني بالراح أندفعُ (٥٨)

---

(٥٥) هو القاضي شهاب الدين محمود بن علي بن ابي طالب بن عبدالله التميمي الإصبهاني صاحب الطريقة في الخلاف . تفقه على الشهيد محمد بن يحيى وبرع في الخلاف وكان عمدة المدرسين في القائه المدروس عليها وقد جمع بين الفقه والتحقيق واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصاروا علماء مشاهير وكان له في الوعظ اليد الطولى . توفي في شوال سنة ٥٨٥ هـ

(٥٦) الوافي بالوفيات ٤/١١ـ١٦ نكت الهميان ص ٢٥٩ .

(٥٧) الديوان ص ٤٣٩ـ٤٤١ .

(٥٨) الديوان ص ٢٧٣ .

ومثل هذا ما قاله يخاطب الوزير عضدالدين :

فسوّ على قدر القرائح بيننا
ومن عجبٍ أن يستوي الرأس والعجب(٥٩)

وقد قال في مدح الامام المستنجد يهنئه بدار أنشأها بالريحانيين سنة أربع وستين وخمسمائة الهجرية :

تهَنّ بها أشرف الارض داراً جمعت العلاء لها والفخارا
وألبستها هيبة من علاك ملأت النواظر منها وقارا
تتيه على البدر بدر السماء بساكنها شرفاً وافتخارا
ترى لوفود الندى حولها طوافاً بأركانها واعتمارا(٦٠)

وكان من المقربين للامام المستضيء ومدائحه له تمتاز بحلاوة الرنين فلنستمع اليه يهنئه بدار أنشأها بالرواشين سنة ثمان وستين وخمسمائة الهجرية :

أحق دارٍ وأولى أن نهنيها
دار على السعد قد شيدت مبانيها
لها الهناء وللدنيا بملككم
يا من بهم تفخر الدنيا ومن فيها
حللتموها فحل الجود ساحتها
وجاش بحر العطايا في نواحيها(٦١)

ولم تفته مناسبة الا ظهرت الصلة الوثيقة به فقد اعتاد الإمام المستضيء أن يولم في داره بالرواشين وليمة كل سنة في مستهل رجب يحضرها أرباب الدولة والامراء والقضاة والاماثل والفقهاء وشيوخ الربط والصوفية وأهل الدين وأرباب الفضل والمشهورون من التجار ويخلع عليهم كلا حسب حاله ويبرز لهم الجوائز في آخر الليل دونت عليها اسماؤهم ويبذل من المال في هذه الوليمة كثيرا فتقدم شاعرنا

(٥٩) الديوان ص ٣٤ . العَجْب : مؤخر كل شيء .
(٦٠) الديوان ص ١٧٧ .
(٦١) الديوان ص ٤٥٢ .

بقصيدة أعدها لهذه المناسبة يمدحه ويهنئه وذلك سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة الهجرية مطلعها :

غاداكِ من بحر الرواعدِ مُسْهِلُ   وسقتكِ أخلافُ الغيومِ الحُفَّلُ
وجرت بليلَ الذيلِ وانيةَ الخُطا   مسكيَّةَ النفحاتِ فيكِ الشمالُ(٦٢)
للهِ ما حُملتُ من ثقلِ الهوى   يومَ استقلَّ قطينُكِ المُتحَمِّلُ

ويطوف مع خيال جامح وعاطفة طروب بين بوادي الغزل وسهوله ويقول :

كُفي الملامَ فكل حظٍ مُعرِضٍ   عنّي باقبالِ الخليفةِ مُقْبِلُ
المُستضيءُ المُستَضاءُ بهَدْيهِ   والساجدُ المُتهجِّدُ المُتبتِّلُ(٦٣)

وحين جلس الامام الناصر لدين الله على كرسي الخلافة سنة خمس وسبعين وخمسمائة الهجرية ، مدحه وهنأه بقصيدة مطلعها :

طافَ يَسعَى بها على الجُلاسِ   كَقَضيبِ الأراكةِ الميّاسِ(٦٤)

ويروح في غزل عذب مع ذكرياته لأيام الصبا ويئن مما فعله به المشيب ويمدح بني العباس ويقول :

فَهُمُ الآمرون بالعَدلِ والإحسانِ والحاكمونَ بالقسطاسِ
مَلِكٌ جَلَّ قُدسُهُ عن مِثالٍ   وتعالتْ آلاؤهُ عن قياسِ(٦٥)

وصلته لا تقتصر على خلفاء بغداد انما كان على صلة برجال مصر والشام ، فقد واكب أعمال صلاح الدين الايوبي فمدحه بعدة قصائد مدحا لا يقف عليه عربي مسلم إلا آمن بما يفعله الشعر العربي في النفوس وما يحدثه من سحر ، بعدة قصائد أولها تلك التي أنفذها إليه مع رسوله ابن أبي المضاء سنة سبعين وخمسمائة الهجرية ومطلعها :

---

(٦٢) البليل : الريح الباردة مع الندى .
(٦٣) الديوان ص ٣٢٦-٣٣٠ .
(٦٤) الاراكة شجر طويل الساق كثير الاوراق والاغصان .
(٦٥) الديوان ص ٢٣٦-٢٣٩ .

قلبـيَ في حُبِّـكِ مَعْمُـودُ وحَـظُّ عيني منـكِ تَسْهِيدُ
مـا لِديُوني فيـكِ ممطولـةٌ أقْضي ولا تُقْضَى المواعيـدُ

وبعد غزل فيه وصف لما يجنبه من غدر الحسان ومينهن يلوى على الدهر ويقـول :

حتّـامَ دَهْري بِتَصـاريفه يَقْصِـدُني والحُـرُّ مَقْصودُ(٦٦)

ثم ينفذ الى غرضه في اسلوب جميل :

ولا أرى الأيـامَ مذمومـةً ويوسـفُ السلطانُ محمـودُ
عَـدْلٌ وجـودٌ وكـذا المُلْك لا يُنْمِيهِ إلاّ العَدْلُ والجُـودُ(٦٧)

ومما يدل على متانة مكانته وقوة علاقته به مخاطبته له وتحذيره إياه من ابن الحصين الذي استدان منه ومن أهل بغداد ديوناً كثيرة وهـرب الى الشام بقصيدة مطلعها :

يا صـلاحَ الـدينِ خُـذْ حِـذرَكَ منْ صـلِّ العـراقِ
فلقـدْ وافـاكَ في ثـوْ بِ غِنـادٍ ونفـاقِ
لا يغـرَنَّكَ منْـهُ منْطِقٌ حُلْـوُ المَـذاقِ
نحتـهُ ما شئتَ منْ إفْـكٍ وَزُورٍ واختـلاقِ
لا تُقَرِبْـهُ فمـا يَصْلُحُ إلاّ لِلفـراقِ(٦٨)

وقد انقطع لآل المظفر من آل الرُفيل أهل نعمته والمتكأ الذي يتكيء عليه كلما اختلطت عليه الامور وله فيهم مدائح كثيرة نابعة عن وجدان أصيل ملأت فصلا من الفصول الاربعة التي رتب عليها ديوانه ، ومع قوة علاقته بهم ومع أنهم حاكمون فهو يخاطبهم بلهجة قوية واعتداد نستمع اليـه يخاطب الوزير عضدالدين ابن رئيس الرؤساء :

---

(٦٦)من أقصدَه : طعنه فلم يخطئه .
(٦٧) الديوان ص ١٠٨ـ١١٢ .
(٦٨) الديوان ص ٣٠٥ـ٣٠٧ .

فمالكَ أعداكَ طَبْعُ الزمانِ فَجُزْتَ عن السنَنِ اللاحبِ (٦٩)
فأنْ كنت تعرفُ حقَّ الجِوارِ والاّ فَحَبْلي عـلى غاربي (٧٠)

وهو يتهكم عليه وقد رده في طلب من طلباته الكثيرة :

يا مَعْشرَ الرؤساءِ والأصحابِ وجماعـةَ السُؤالِ والطلاّبِ
من كـان مولانا عليـه ساخطاً أو كان طالبَ نائـل وثـوابِ
فلْيتخـذني شافِعـاً فشفاعتي في حقـه من أوكَـدِ الأسـبابِ
وأنا الكفيلُ بأنهـا لا تنقَضي أبـداً مَـدَى الأيامِ والأحقاب (٧١)

ولعل قصيدته التي حاول بها أن يزيل ما علق بذهـن الـوزير عضدالدين هبةالله بن رئيس الرؤساء حين مدح خصومه ، تشعرنا بمتانة صلته بهذه الاسرة :

ومـا زلتُ في آلِ الرُفيـلِ بِمَعْـزلٍ
عن الضَيْمِ مبذولاً ليَ الأمن والخِصْبُ
هـُم علّمـوا نفسي الِإبـاءَ فكيف لي
بتـرك إباءِ النفْسِ وهولَهـا تِـرْبُ (٧٢)

وهو على صلة وطيدة بالوزير يحيى بن هبـيرة وكان أحـد الشعراء الـذين يقيمون المطاردات الشعرية في مجلسه ويتلقى جوائزه بل من المنقطعين اليه وقـد مدحه في سنة تسع وستين وخمسمائة الهجرية (٧٣) بمدائح رقيقة منها قصيدته التي مطلعها :

سَـقاها الحَيـا مـن أرْبُـعٍ وَطُلولِ
حَكَتْ دَنَفي مـن بَعْدِهم ونُحُولي

وبعد انسيابه في غزل حلو الصياغة يقول :

---

(٦٩) اللاحب ـ الطريق الواضح ٠
(٧٠) الديوان ص ٤٣ـ٤٤ ٠
(٧١) الديوان ص ٤٤ـ٤٥
(٧٢) الديوان ص ٣٠ـ٣٥ ٠ الترب يقال هـذه ترب فلانـة اذا كانت عـلى سـنها وأكثر ما يستعمل في المؤنث ٠
(٧٣) المخطوطة ورقة ٨٢ ٠ ولم يقرأها عليه لوفاته سنة ٥٦٠ هـ ٠

اشَمُّ هُبَيْرِيُّ المَناسِبَ يعتَـزي

الى خَيْرِ بَيْتٍ في أعـز قَبيـلِ

فمـا اعتَصمتْ منكَ الوُعُولُ بِقُلَّةٍ

ولا امتَنَعتْ منـكَ الأُسُـودُ بِغيـلِ(٧٤)

ورثاه بعد موته سنة ستين وخمسمائة الهجرية ببيتين لا وجود لهما في ديوانه المطبوع حيث وجدا في المخطوطة (٧٥) وقد ذكرا أيضا في خريدة القصر (٧٦) قالهما وهو في حضرة الوزير عضدالدين ابن رئيس الرؤساء وقد اُخبِرَ بموت ابن هبيرة ارتجالا :

قال لي والوزير قد ماتَ قَوْمٌ   قُـم نُبكي أبـا المظفـر يَحيَى

قُلتُ أهونْ بِذاك عندِيَ رزءاً   ومُصَـاباً وابنُ المظفـرِ يَحيَا

وكان على صلات متينة لا مع الخلفاء والوزراء في العراق فحسب بل خارج العراق فعلاقته بالقاضي الفاضل وزير السلطان صلاح‌الدين الأيوبي شـديدة الوثوق وكانت بينهما مودة وقد مدحه بروائع أزجاها اليه في دمشق منها التي نظمها سنة سبعين وخمسمائة الهجرية :

أَمِـطِ اللثـام عن العِـذارِ السائل

ليقُـومَ عُذْري فيـكَ عنـد عَواذِني(٧٧)

واغمِدْ لِحاظَكَ قـد فَلَلْنَ تجلدي

وأكفُفْ سِهامَكَ قد أصَبْنَ مَقاتلي(٧٨)

ومن أصحابه العماد الاصبهاني فقد كان صديقه في العراق وبقيت المـودة

---

(٧٤) الديوان ص ٣٤٤ـ٣٤٧ • القُلة : جمع قلل وقلال : أعلا الجبل • والغيل : جمع أغيل وغيول : الشجر الكثيف الملتف أو موضع الاسد •

(٧٥) المخطوطة ورقة رقم ١٧٥ •

(٧٦) خريدة القصر ج ٣ •

(٧٧) العِذار ــ جمع عذر : ما سال من اللجام على خد الفرس أو جانب اللحية أي الشعر الذي يحاذي الاذن •

(٧٨) الديوان ص ٣٣٣ •

بينهما بعد رحيله الى الشام في خدمة السلطان صلاح الدين فقد طلب اليه وهو في الشام فروة وكتب مع رسالته قصيدة مطلعها :

بِأبي مَن ذُبْتُ في الحُبِ لَهُ شَوقاً وَصَبْوَه
كُلَّما زادَ جَفاءً زادَ مِن قَلبِيَ حظْوَه(٧٩)

فأجابه العماد على الوزن نفسه والقافية بقصيدة وقد أرسل معها الفروة مطلعها :

بأبي مُعتَدِلُ القامةِ في عِطفيه نشوه
حاكم في مُهَجِ العشاقِ لا يَقبَلُ رِشوه(٨٠)

وله مع الامير مجاهدالدين قيماز صاحب إربل علاقات ود وصداقة فمدحه بقصيدة مطلعها :

عليلُ الشوقِ فيكِ متى يَصِحُّ وسكرانٌ بِحبِّكِ كيف يَصحو
وأبعدُ ما يُرامُ لَهُ شِفاءٌ فؤادٌ فيهِ من عينيكِ جُرْحُ(٨١)

وكانت صلته بالموفق الدوامي كبيرة ، وآل الدوامي من الاسر العريقة في المجد والصدارة وقد مرض شاعرنا فتأخر ابن الدوامي عن زيارته فعاتبه بقوله :

يا ابنَ الدَّواميَّ الذي هو بالمكارمِ ذو لَهَجِ(٨٢)

وحين سجنه ابن العطار صاحب المخزن في داره وضيق عليه وقطع خبره عن أهله استوحش سبط ابن التعاويذي منه وتأثر لذلك وقال :

بِأبي وَجْهُ هِلالٍ طالَ في السجنِ سَرارُهْ(٨٣)

والوقوف على صلاته كلها يحتاج الى ملء صفحات كثر لانه على اتصال وثيق بكثيرين من معاصريه من الحاكمين والشعراء والادباء والعلماء ولكنا اكتفينا بذكر المهم ممن كان اثر صلته بهم ظاهراً في شعره ٠

---

(٧٩) الديوان ص ٤٥٣ ٠
(٨٠) خريدة القصر ج ٣ ٠
(٨١) الديوان ص ١٠٢ ٠
(٨٢) الديوان ص ٧٣ ٠
(٨٣) الديوان ص ٢١١ ٠ السَرار : الإختفاء أو المبالغة في الأخفاء يقال (اختفى القمر ليلة أو ليلتين فهو في السَرار) ٠

فقد بصره :

فقد بصره سنة تسع وسبعين وخمسمائة الهجرية (٨٤) وأثرت فيه نكبة العمى تأثيراً عميقاً وقال فيها شعرا كثيرا يندب شبابه ويبكي حياته التي أصبحت مظلمة قاسية ويحمل على الدهر الذي عضه بنابه حملة حقد وهزء :

أَلا مَنْ لِمسجُونٍ بغيرِ جنايةٍ يُعَدُّ من الموتى وما حانَ يومُه

وتتوالى حسراته على أيام لهوه وصباه وينظر بهلع الى المشيب الذي هجم على شبابه ويقذف بآهاته من صدر يضيق بما فيه وقد أصبح حبيس بيته وعماه في قصيدة مطلعها :

أَتُرى تعودُ لنا كما كانتْ ليالِي الأَبرقَيْنِ (٨٥)
وأُصِيبتُ في عَيْنِي التي كانت هي الدُّنيا بعَيْنِ (٨٦)

وراح يتلمس بعد هذه النكبة التي حلت به المساعدة من أصدقائه ويستعين بهم على حاله المزرية ، شيباً وفقدان بصر وعوزاً ، نقرأ ذلك في قصيدته التي يخاطب بها صديقه الصاحب الكبير مجدالدين هبةالله بن الصاحب ويستعين به على عرضها على الخليفة الناصر لدين الله سنة تسع وسبعين وخمسمائة الهجرية ومطلعها :

---

(٨٤) أجمعت المصادر على أنه ضرّ في هذه السنة • وفيات الاعيان ٤/٩١ ونكت الهميان ص ٢٥٩ •

(٨٥) الإبرقان : اذا جاؤا بالابرقين في شعرهم فأكثر ما يريدون به (ابرق) : حجر اليمامة منزل على طريق ميل من البصرة بعد رميلة اللوى للقاصد مكة قال بعضهم يذكرها :

ألمُّو بأهل الأبرقين فسلموا فذاك لأهل الأبرقين قليلُ
بأهلي أُفدي الابرقين وجيرةً سأهجرُهم لا عَنْ قِلى فأطيلُ

وقال الزمخشري : الابرقان : ماء لبني جعفر ، وقال اعرابي من طيء :

فسقياً لأيامٍ مَضَيْنَ من الصبا وعيشٍ لنا بالأبرقين قصيرِ

(معجم البلدان ١/٧٥ ، ٧٦) •

(٨٦) الديوان ص ٤٣٥ •

أبثُّكَ مجدَ الدينِ حالاً سماعُها يَشُقُّ على الأمجادِ والكُبراءِ(٨٧)

رُزِئْتُ بعينٍ طالما سَهِرَتْ معي لِنَظمِ مديحٍ أو لِرَصفِ ثَناءِ

أُناديكَ مرجُوّاً لسدِّ خصاصتي ومِثلُكَ مَن لبّى نداهُ نِدائي

وكن لي الى جُودِ الخليفةِ شافعاً أنل حاجتي ما كنتَ من شُفعائي(٨٨)

وقد دفعته حاله الى مناداة الامام الناصر والتوسل اليه أن يدر عليه ادراراً يُعينه على بطالته وعماه وشيخوخته وانقطاعه في منزله بقصيدة مطلعها :

يا نائبَ اللهِ في الأرْ ضِ والخليفةُ عَنْهُ

فَنحنُ نَلْتَبِسُ الرِزْ قَ والمعونَةَ مِنْهُ

فَراعِ مَن راعَهُ الآنَ صَرْفُ دَهْرٍ واعنهُ

أَخْنَتْ عليهِ الليالي وعَزْمُهُ لم يَخُنْهُ

واستُرْ مُحيّاهُ عن بذْ لَةِ السُّؤالِ وصُنْهُ(٨٩)

وفاته :

بقى أبو الفتح في مفاوز العصر يتغزل ويمدح ويشكو ويهجو ويعظ ويئن الى أن وافاه الاجل ببغداد في الثاني من شوال سنة أربع وثمانين وخمسمائة الهجرية أي سنة ثمان وثمانين ومائة وألف الميلادية ودفن في باب أبرز أو بيبرز (٩٠) وقد اختلف المؤرخون في تأريخ وفاته فبعضهم قال سنة ٥٨٣ هـ أو سنة ٥٨٤ هـ (٩١)، وآخرون سنة ٥٨٣ هـ (٩٢) والبعض الآخر سنة ٥٨٤ هـ (٩٣) وقد ذهب اليافعي الى

---

(٨٧) بثّ ، باثّ وأبثَّ فلاناً الخبرَ : أطلعه عليه .

(٨٨) الديوان ص ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٨٩) الديوان ص ٤١١ ـ ٤١٢ .

(٩٠) باب ابرز ـ ذكره ياقوت في معجم البلدان في مادة بيبرز . محلة ببغداد وهي اليوم مقبرة بين عمارات البلد وبها جماعة من الائمة منهم ابو اسحاق ابراهيم ابن علي الفيروز ابادى الفقيه الامام .

(٩١) وفيات الإعيان ٤/٩٠ . الذيل والانساب ٣/٥٦ .

(٩٢) النجوم الزاهرة ٦/١٠٥ . البداية والنهاية ١٢/٣٢٩ . كشف الظنون ١/٦٣٠ .

(٩٣) شذرات الذهب ٤/٢٨١ . نكت الهميان ٢٥٩ . تذكرة الحفاظ ٤/١٣٥٥ .

أن وفاته كانت سنة ٥٥٣ هـ وهذا خطأ واضح لان هذه السنة التي أثبتها توفي فيها جده أبو محمد المبارك التعاويذي (٩٤) • والثابت أنه توفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة الهجرية فله قصيدة يرثي بها سلجوقي خاتون بنت قلج أرسلان بن مسعود زوج الناصر لدين الله التي توفيت ليلة الاثنين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وخمسمائة الهجرية ومطلعها :

قفوا تعجبوا من سوء حالي ومن ضُري
فمن زفرةٍ تَرقَا ومن دمعةٍ تجري(٩٥)

وقد جاء في العبر « توفي في شوال عن خمس وثمانين سنة ٥٨٤ هـ (٩٦) » ولا أدري كيف أعتبر عمره عند وفاته خمسا وثمانين سنة في حين أن المصادر أجمعت على ولادته سنة تسع عشرة وخمسمائة الهجرية •

---

(٩٤) المختصر في أخبار البشر ٢/١٠١ •
(٩٥) الديوان ص ٢٢٢ • أي انه رثاها قبل وفاته بحوالي ستة أشهر •
(٩٦) ينظر كتاب (العبر ـ للحافظ الذهبي) ٤/٢٥٣ •

الفصل الثاني

صفاته واخلاقه وطباعه

من العسير أن نقف على صفاته الجسمية من طول أو قصر ومن نحافة أو سمنة ، أو معرفة لباسه أو هندامه ، اذ لم يذكر لنا أحد شيئا من هذا غير أننا نضع صورة لنفسيته فننتزعها من شعره الذي تنطلق من ثناياه صفاته وتظهر واضحة أخلاقه ، لان شعره مرآة مجلوة ترينا ما لم نجده مسطرا بأقلام المؤرخين ، فهو شجاع جريء لا يهاب ولا يخشى مع قول الحق لائما ، فنستمع اليه ينقد المظالم التي صبت على الرعية المستضعفة ويطالب الخليفة جهاراً بأن يدفع الأذى عن الناس في قوله :

اِليكَ أميرَ المؤمنين قضيةً　　اُعيذُك أن تلقى بها اللهَ آثما

ألستَ أمينَ الله في الخلق واجباً　　عليك لهم أن تسترد المظالما

ويضع أمام الخليفة صراحة المأساة ويصور له الظلم المترتب على سكوته :

أفي العدل أن يُمسي اسامةُ ظالما　　على أخذ أموال الرعية عازما

يشن عليهم كلَ يومٍ إغارةً　　ويَنزُرهُم مما اصطفَوه الكرائما

وأقسمُ أنْ أمسى وأصبحَ جَمَّةً　　ذخائره في النفس والمال سالما

وينعته بالضعف والتهاون عن اداء رسالته وهو راعي الامة ان لم يقتص من كل مستهتر وجائر :

بانك ما هذبت بغداد من أخي　　فسادٍ ولا استأصلت دهرك ظالما(١)

وبهذه الصراحة والشجاعة يخاطب الخليفة ويوجهه الى مواطن الاستياء والجور والفساد ويدله بنقده السياسي على الظلم الذي ذاقت منه الرعية أصنافاً وعلى الولاة الظالمين الذين أذلوا الشعب وفتكوا به يقول :

للدهرِ يا أبناءَ مَعْمَرْ　　لَكُمُ ذُنوبٌ ليس تُغفَرْ

---

(١) الديوان ص ٣٩٨ .

صرخة مدوية تفجرت بها قريحته وكلمات قوية موجعة تداعت بها نبراتـه وكأنها سهام صوبت الى وجه الخليفة « لكم ذنوب ليس تغفر » وقليل اولئك الذين يجمعون شجاعتهم ويستطيعون بجنان ثابت أن يوجهوا مثل هذه الضربات بوجوه الحاكمين ويستمر في ثورته وتعرية حكام الرعية المغلوبة على أمرها فيصفهم بالظلم والأنانية والجبروت :

أعطاكم الجَمَّ الجزيلَ وكنتمُ بالمَنْعِ أجْدَرْ
وَوَلِيتمُ الدُنيا فالفيتمْ مـن الحَجّاجِ أجْـورْ

ويوغل في ابراز المظالم ويهدد أولئك الذين ولوا أمر الرعية فاستباحوا كيدها:

في كُلِّ صُقْعٍ منكمُ والِ ظَلومٌ قد تعَمَّرْ
مُتَجبِّراً ما خَوَّفُوهُ بربه الا تجَبَّرْ
وغدوتُموا ذا قدْرَةٍ فَفَتَكْتُمُ واللهُ أقْدَرْ(٢)

وفي أغلب قصائده تبرز شجاعته وجرأته حتى اذا خاطب خليفة أو وزيراً يطلب منه مساعدة أو مالا ، فهو هو ذلك الجريء الشجاع ، فقد طلب الى الناصر أنْ يخصص له راتباً باسمه طيلة حياته بعد أن نقل راتبه باسم أولاده فهو يخاطبه قائلا :

فوقعوا لي بما سألتُ فقدْ
أطمعتْ نفسي واستَحكَمَ الطمَعُ
ولا تُطيلوا مَعي فلستُ وَلَوْ
دَفَعْتُموني بالراحِ أنْدَفِعُ(٣)

وتظهر شجاعته في موقفه مع ابن البلدي وزير المستنجد فقد كان ظالما فقد حاسب الكتاب وحبسهم ونكل بهم وكانت هناك حالة من الشعور بالظلم قد عمت المجتمع واجتاحت الاضطرابات والفوضى بغداد وقد وجد شاعرنا أن أعمال ابن البلدي من أسباب هذه الفوضى وتلك النكبات التي حلت بالرعية فوجه اليه

---

(٢) الديوان ص ٢٣١ .
(٣) الديوان ص ٢٧٣ .

لسانه الذرب بهجاء وحساب مصورا أعماله المعادية للشعب ومصورا نفسيته الظالمة وبطشه الصادر عن إنسان افتقد الروح الانسانية وانتزعت منه أحاسيسه تجاه شعب منكوب مظلوم لا حول له ولا قوة وراح يشهر بأعماله ويوغر صدور الحاكمين وينبه خصومه ويحثهم على التحفز لانقاذ البلد من هذا العاتي قال :

يا قاصداً بغدادَ حُدْ عن بَلْدَةٍ
لِلجَوْرِ فيها زَخْرَةٌ وعُبابُ(٤)
إن كنتَ طالبَ حاجةٍ فارجِعْ فَقَدْ
سُدَّتْ على الراجِي بها الأبوابُ
والناسُ قد قامت قيامتُهم ولا
ولا أنسابَ بينهم ولا أسبابُ
حَشْرٌ وميزانٌ وعَرْضُ جرائِدٍ
وَصَحائِفٌ مَنشورةٌ وحسابُ
وبها زَبانيةٌ تُبَثُّ على الوَرَى
وسَلاسِلٌ ومقامِعٌ وعَذَابُ(٥)

وكان لصيحاته هذه صدى في النفوس فأثرت تأثيراً قوياً ومن هذا التأثير قيام عضدالدين ابن رئيس الرؤساء استاذ الدار ، وقيماز رئيس المماليك بادخال الخليفة المستنجد حماما حارا بالاكراه وبقي فيه وهو يستغيث حتى مات من الحرارة ، وولي الخلافة ابنه المستضيء بشروط وافق عليها وقد أصبح عضدالدين وزيراً فأمر بابن البلدي فجيء به وضربت عنقه ، سنة ست وستين وخمسمائة الهجرية (٦) ·

ومما يدل على جرأة شاعرنا انه مع علاقته بآل الرُفيل أهل نعمته ومؤمّله ومن يعوذ بهم حين تختلط عليه الامور فانه يخاطب الوزير عضدالدين بلهجة قوية

(٤) في رواية ابن خلكان : حد عن بلدة وفي الديوان والمخطوطتين : (جز) عن بلدة ·
(٥) الديوان ص ٤٧ ·
(٦) الفخري ص ٢٨٠ – ٢٨٢ ·

واسلوب فيه من الخشونة والصراحة ما يدل على أنه لا يخاف ولا يهاب :

فما لكَ أعداكَ طَبْعُ الزمان فَجُزتَ عن السَنَن اللاحِبِ(٧)

وهو ذو نفس مضطربة لجوجة لا تقف بصاحبها عند حد ، كثير الشكوى وكثير الطلب كثير التذمر فتارة يشكو من ضنك العيش وقلة المورد نقرأ ذلك في قصيدته التي يخاطب بها الامير أبا محمد علي بن الإمام المستظهر بالله حيث يشكو اليه قلة حظه مع كثرة ما ينعم به الخليفة وكثرة العطاء :

فَسائلُ أمري متى يَستقيمُ وفاسِد حالي متى يَصلُحُ(٨)

وله من قصيدة اخرى يخاطب بها القاضي الفاضل سنة سبعين وخمسمائة الهجرية :

قد أخصَبَتْ أرضُ العِراقِ وأنني
لأرُودُ منها في جَديبٍ ماحلِ
وصَفَتْ موارِدُها الغِزارُ ومَوْرِدي
منها ثمادُ بقانِعٍ وَوَشائلِ(٩)

ونقرأ قوله يخاطب الإمام المستضيء :

رُدُّوا بنفْحةِ جُودٍ من عَطائِكُمُ
حَياةَ نفْسي فقد ماتَتْ أمانيها(١٠)

ومع هذه الشكوى المستمرة نجده ذا أنفة وكبرياء يفضل الجوع شريفا على الشبع بذل :

ويا أسفي على فضلات عيش سروري لا يفي فيها بحزني
إذا نال الفتى شِبَعاً بِبذْلٍ أجعْني واقياً عِرضي أجعْني(١١)

---

(٧) الديوان ص ٤٤ .
(٨) الديوان ص ٩٦ .
(٩) الديوان ص ٣٣٦ .
(١٠) الديوان ص ٤٥٣ .
(١١) الديوان ص ٤٤١ .

وقوله في قصيدته التي يمدح بها شمس الدين محمد بن أبي المضاء رسول صلاح الدين الى بغداد سنة سبعين وخمسمائة الهجرية وكانت بينهما مودة :

والموت خير من سؤال الناس   بقيت لي وللندى والباس(١٢)

ولعل ما جاء في خطبته التي قدم بها ديوانه (على أنني كنت أقل غشيان الأبواب وأنزه نفسي عن موقف كل خزي وعاب) (١٣) خير دليل على إبائه ٠

ونراه مرة اخرى كثير السؤال والنزول الى هاوية الاستجداء وهو يقول :

أترضَوْن يا أهلَ بغدادَ لي   وعنكم حَديثُ النَدَى يُسنَدُ
بأني أرحل َعن أرضكم   أجوبُ البلادَ واسترفِدُ
يُقلدُني مِنةً يَسترِقُ   بها حُرٌ شكري ويَستعبِدُ(١٤)

ثم نراه يتصنع القناعة حيث يقول :

وأمسي للقناعةِ حِلْسَ بَيتي   اذا لم يُغْنِني كَدٌ وكَدْحُ(١٥)

وحيث يقول :

ولائمةٍ تَعيبُ عليّ فَقْري   إليكِ فما لِباسُ الفَقْرِ عارُ(١٦)

وتارة اخرى يضعف إباؤه وتخور عزيمته فيشكو من الحظ ودولابه غريب الدوران ومن الدهر وغدره في قصيدته التي يمدح بها القاضي الفاضل ويشعره بالحادثة التي نزلت ببصره :

ورُبَّ هاوٍ في حضيضِ الثرَى   طارَ بهِ الجَدُّ مع النَسْرِ(١٧)

وفي مدحه الامام الناصر لدين الله يظهر متهاويا ويائسا خائر العزيمة :

---

(١٢) الديوان ص ٤٨٦ ٠
(١٣) خطبة الديوان ص ١٢ ٠
(١٤) الديوان ص ١٣٩ ٠
(١٥) الديوان ص ١٠٤ ٠ الحِلْس : ما يبسط في البيت على الأرض ٠
(١٦) الديوان ص ٣٠٢ ٠
(١٧) الديوان ص ١٩٢ ٠

أقصَدَني الدهرُ بسَهْمِ صرفه المفوق(١٨)
أرسَلَ لي من غَدْرِهِ ثَلاثةً في طَلَقِ
فقدانَ عينٍ وحَبيبٍ ومَشيبَ مَفْرِقِ(١٩)

أو قوله وهو يمدح ابن الصاحب :

ما لأحداثِ خُطوبٍ كَيْدُها يَمشي الضراء(٢٠)

وهو مع هذه المتناقضات التي لمسناها في شعره وقادتنا الى الوقوف على نفسيته القلقة له من التزامه خطا معينا سار عليه طول حياته خير شفيع لأنْ يوصف بجميل الصفات وعلو الاخلاق ، فقد مدح اناسا لهم مكانتهم وسطوتهم وبقي يمدحهم الى ان رحل الى دار البقاء وما ذمهم قط مع أنه لقي منهم بعض الجفاء والصدود بل الايذاء كما حصل له حين فصله الوزير عضدالدين ابن رئيس الرؤساء من وظيفته وقد عزي السبب الى تغير الخليفة المستضيء عليه ــ ومع هذا فلم يعرض به ولم يهجه بل التاع وبكى حين نكل بالوزير بعد ذلك فقد قال فيه بعد نكبته (٢١) :

وقائلةٍ مالي رأيتُكَ مُعْدِماً
وَمِثلُكَ لا تَخْشَى الكَسادَ بَضائعُهْ
فقلتُ الذي كنا نَعيشُ بفَضلِهِ
ونحنُ مَوالي جُودهِ وصَنائعُهْ
رَمتهُ الليالي عن ذَخائرِ مالهِ
بفادحِ خَطْبٍ مُسْلَمٍ مَنْ يُقارِعُهْ

---

(١٨) أقصده : طعنه فلم يخطئه ٠

(١٩) الديوان ص ٣١٥ ٠

(٢٠) الديوان ص ١٢ ٠ الضَّراء ـ الاستخفاء يقال هو يمشي الضَّراء اذا مشى مستخفياً فيما يواريه من الاشجار ٠

(٢١) أشرنا الى عزله من قبل المستضيء حيث نهبت أمواله واعتدى على حرمة داره من قبل الاتراك ثم اعيد الى دست الوزارة وصفت له الدنيا ثم عزم على الحج فقتل ودفن في قطفتا ٠

فلا تعجبي من سوء حالي فانه
اذا غاض ماء البحر ماتت ضفادعه (٢٢)

وأحسب ان هذا هو الوفاء بعينه فهو مخلص لاصدقائه وفي ، وليس بالسهل أن نرد هذا الى جبن أو خوف ، ولم يكن من طباعه ايذاء الغير ، حتى ولو اساؤا اليه فهو يحمل نفسه المهذبة على الصبر :

سأنفُضُ من جنى البُخلاءِ كفي   وإنْ لم يُلْفَ منه لديَ شَحُ (٢٣)

ويتجلى ذلك في قوله :

كَفَفْتُ أطماعي عن الناسِ فما   كَفَهُمُ نَوالُهم بِضائري
كم أحمل الضَيْمَ وكم أنفقُ من   صَبْري ولا أنالُ أجرَ الصابِرِ
هذبْتُ نَفْسِي جاهداً ولم أكن   على اجتذابِ حظها بقادرِ (٢٤)

وقال في خطبة ديوانه :

(انني تحرجت أن أخلف بعدي هَجْواً انتهكت به عرض رجل مسلم) (٢٥)

ويصف نفسه بالصبر ولكنه كما تبين لنا ليس بصبور أبدا فقد لج كثيرا واعتراه الشك بعد ان فقد بصره ، وما عساه أن يفعل ، يقول :

فيالها طارقة هدني   طروقها في آخر العمر
طارقةً مَثَلَ بي مَسُها   يَعْجَزُ عن أمثالِها صَبْري
فلا رعاها الله من حالة   ثالثةٍ للشَيْبِ والفَقْرِ (٢٦)

وفي قصيدته التي يمدح بها أبا نصر علي بن الوزير عضدالدين يقول :

الى كم تمضَغُ الأيامُ لَحْمِي   ويَعْرُقُني لها ظفرٌ ونابُ (٢٧)
تَنوعتِ المصائبُ والرَزايَا   وأمري في تقلبها عُجَابُ (٢٨)

---

(٢٢) الديوان ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .
(٢٣) الديوان ص ١٠٤ .
(٢٤) الديوان ص ٢٠٧ .
(٢٥) خطبة الديوان ص ١١ .
(٢٦) الديوان ص ١٩٢ .
(٢٧) عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم . ويقال عرقته الخطوب أي أخذت منه .
(٢٨) الديوان ص ٣٧ .

وهو لا يرائي ولا يداهن :

أرى من لا تشتاقُ إليهِ عيْنِي ... واسمعُ ما تصمّ عليه أذني[٢٩]

وهو أبي لا يقبل الخنوع :

فما ضرعي وليس بي انقياد ... لاحسان ولا شغف بحسن[٣٠]

وحسبه أن همه الاكبر أن يحيا لأنه مهيأ النفس للاحساس بالحياة ولو كان همه على ما به من الحاجة واللهفة يطلب القوت وينصرف الى أسباب العيش ما كان بملوم ، بيد أننا نجده يرتفع بنفسه من أن توضع مع الشعراء ذوى النفوس الضعيفة الذين مسخوا الشعر وأنزلوه الى الهاوية وعلق به من أفعالهم كل مشين :

يا قالةَ الشعرِ أما ... فيكم فتىً ذو محميّه

يأنفُ أنْ يغشى مقا ... ماتِ السؤالِ المخزيّه

الى متى جفونكم ... على قذاها مغضيّه[٣١]

وهو مع همومه والتواء أيامه وتقلب زمانه وترنح الايام به ذات اليمين وذات الشمال قد يحضر مجالس اللهو والمجون والشراب فهو يخاطب صديقه علي بن اسماعيل ويستحثه على حضور مقصف لهو وراح ويصف المكان الشاعري والجو الساحر والمنظر الرائع الجميل وفي المكان من شيوخ الكرخ شيخ حنكته امه بالخمر مذ كان في المهد طفلا مشدوداً بقماطه ٠

وفي المجلس غلام تفنن في وصفه يقول :

يا عليٌّ يومُنا أولُ يومٍ من شباطِ

ونديمٍ من شيوخ الكرخ محلولِ الرباطِ

حنكته أمه بالخمرِ طفلاً في القماطِ

وغلامٍ من بني الأصفرِ كالثوبِ القباطي

ردفُهُ عالٍ ولكنْ خصرُهُ الناحلِ لاطي[٣٢]

---

(٢٩) الديوان ص ٤٤١ ٠

(٣٠) الديوان ص ٤٤١ ٠

(٣١) الديوان ص ٤٦١ ٠

(٣٢) الديوان ص ٢٥٨_٢٥٩ ٠

وقد زهد في اخريات أيامه بعد أن عصره الدهر بكلكه وقلبت الايام له ظهر المجن ورمى بثلاث نكبات بقي يئن منهن حتى قضى نحبه ، نكبة العمى والشيب ، والانزواء في داره ليل نهار ، فراح يتلمس حصيلة حياته ، فأعرض عن الدنيا واتجه الى اخراه يقول :

أعرضْ عن الدُنيا المَشُوبَةِ بالنوائبِ والغَصَصْ
وانظرْ لطائرِ نَفسكَ المَحبوسِ في هذا القَفَصْ(٣٣)

وخير ما نختتم به فصلنا هذا قول صديقه العماد الاصبهاني في حقه « فيه فضل وآداب ورياسة وكياسة ومروءة وفتوة » (٣٤) فهو يشهد له بعلو مكانته وعظيم ادبه ومن الاماثل في العقل والحلم والاعتداد بالنفس .

---

(٣٣) الديوان ص ٢٤٨ .

(٣٤) خريدة القصر ج ٣ .

الفصل الثالث

ثقافته ونزعته الاسـلامية

ثقافتـه :

كان ابن التعاويذي على درجة عالية من الثقافة وسعة الاطلاع موغلا في معاجم اللغة محيطا بمفرداتها ، ولا أدل على ذلك من تراثه الشعري الذي يجلوه لنا شاعرا فريد زمانه ووحيد عصره ، وقد أجمع الباحثون والمؤرخون على ذلك ، بل لم يظهر في القرنين الخامس والسادس من يضاهيه (١) ، وان تمكنه من ناحية الآداب واحاطته بأخبار الشعر والشعراء وايغاله بين فيافي اللغة ووهادها وسهولها ليدفع الباحث دفعا الى تقصي مصادرعلمه ومعرفة المنابع التي ارتوى منها ٠ والمراجع التي بين أيدينا لا تعني بحياة الشعراء وطرائق ثقافتهم وينابيعهـا مفصلـة فهي موجـزة مقتضبة ، بيد اننا لا نشك في انه أخـذ عن فحـول الشعراء الاقـدمين جاهليين واسلاميين وعباسيين مثل ابي نواس في خمرياته وأبي الطيب في حكمه والشريف الرضي في غزله وترفعه ، ومهيار (٢) الديلمي في حسن الوصف وقوة السبك والغريب من الالفاظ ٠

ويلوح لنا ان ذلك قد اختمر في ذهنه وتفاعل في قلبه فظهر على لسانه بهذا الاطار القشيب وهذا الوشي الذي أخذه الى هذا التفرد في فنون شعره كافة والذي نلمح من ثناياه ملامح حذوه حذوهم (٣) ٠

وقد كانت بغداد تتمتع بحياة ثقافيـة واسـعة حيث كثرت عوامل اتساعها وانمائها في كل مكان من مدارس وربط ودور كتب في أرجاء البلاد كافة (٤) مع حلقات الذكر والوعظ والإرشاد ٠ ولابد انه ألم بما ضمته تلك المكتبات من شعر

---

(١) وفيات الإعيان ٤/٩١ ٠ تذكرة الحفاظ ٤/١٣٥٥ ٠

(٢) مهيار بن مرزويه : كان مجوسـيا وأسـلم على يـد الشريف الرضي شيخه واستاذه وعنه أخذ الشعر توفي سنة ٤٢٨ هـ ٠

(٣) مقدمة ديوان سبط ابن التعاويذي ـ لمحمود سامي البارودي الذي أخرجـه سنة ١٢٩٩ هـ ٠

(٤) الإتابكي ص ١٩ ـ ابن الاثير ٠

وأدب ولابد له وقد نشأ وعاش في بيت له مكانته العلمية والدينية والأدبية وفي فيء بيئة غصت بالعلم والإدب من مجالسة المجيدين من الشعراء وأهل اللغة وأخذه أدبه وشعره عن أعاظمهم ·

وما انقطاعه مع المجيدين من الشعراء كالحيص بيص والابله (٥) البغدادي الى الوزير يحيي بن هبيرة الا دليل على سعة اطلاعه وغزير علمه وتفرده في الشعر ، وكان مجلس الوزير ابن هبيرة تقام فيه مطاردات الشعر وتلك مما يجلو صدا القلوب وينير الدرب أمام كل من يطلب الاستزادة من الإجادة · وقد وقفنا على مدى علاقته وصلته بالعماد الإصبراني الذي كان صاحبه وصديقه في بغداد (٦) وعرفنا شيوخ العماد الذين درس على أيديهم وأخذ عنهم في بغداد ، فقد كان يحضر مجالس منصور المظفر العبادي الواعظ المشهور (٧) ، ولعله وهو صديقه ومن المعجبين به زامله في دراسته ، يقول العماد ، « جمعني واياه صدق العقيدة في عقد الصداقة » (٨) فثقافته اذن وليدة الاطلاع الواسع والبيئة التي هذبت طباعه وغرست في قلبه حب الإدب وما أخذه عن مشاهير الفقهاء والادباء والشعراء · وكان موغلاً في معاجم اللغة محيطا بمفرداتها ولم تفلت منها كلمة الا وعاها ولا تعبير الاّ أجاد صياغته كأنه مالك لزمام العربية وقد جاء بكثير من الاشتقاقات التي أكسبت شعره مرونة وحيوية واتساعا وما خرج بكل ذلك عن اطار اللغة الفصحى :

جاءتكَ لا مرذولـةَ المَعْنَى ولا دَنِساً مَلابِسُها بِمَدْحِ أراذلِ (٩)

وقولـه :

فاستَمِعْها عَـذراءَ تَحْمِـلُ أبـكارَ المعـاني منهـا قوافٍ عُـونُ (١٠)

---

(٥) الابله البغدادي : محمد بن بختيار توفي سنة ٥٧٩ هـ (النجوم الزاهرة ٦/٩٥) ·

(٦) خريدة القصر ج ٣ تحقيق الاستاذ محمد بهجة الاثري وقد وقفت عليها في داره ·

(٧) الكامل : ٢١٣/١١ ·

(٨) خريدة القصر ج ٣ ·

(٩) الديوان ص ٣٣٥ ·

(١٠) الديوان ص ٤٣٤ · العُون : ما كان في منتصف السن من كل شيء ·

وله أقوال كثيرة في شعره تدل على اطلاعه في علم العروض :

عُـرْباً أنســابُها تَعرِفُهــا مِنْ قَوافِيهــا ومِن أوزانهــا(١١)

ومنها قولـه :

عَروضُها سَـالِمةٌ مِنْ كَسْرِ تَسَلُّ منها بالحَصَانِ البِـكرِ(١٢)

ومنهـا :

أيَطمَـعُ في إدراكِ شَأوِي مُفْحَـم

وأينَ الدَّنِيُّ النِكسُ والفاضِلُ النَدبُ(١٣)

ينازعُني عِلـمَ القَـوافِي وأنَّـهُ

لَيجهَلُ مِنها ما العروضُ وما الضَرْبُ(١٤)

ولم يتجوز الاشتقاق من جامد كشعراء القرن الخامس الذين أجازوا قول : أقمر من قمر ـ يقمر وما الى ذلك من التجوزات ·

وهو واسع الاطلاع تشبع قلبه وعقله بنتـاج من سـبقه من فحول الشعراء في استيعابه نتاج الإمام المبرد وهو الذي بز أهل زمانه في علوم اللغـة والخيل بن كبشار بن برد وابي تمام حتى مثلا فيما تبدى على لسانه ، ووقف على دقائق العربية في استيعابه نتاج الامام المبرد وهو الذي بزّ أهل زمانه في علوم اللغة والخليل ابن أحمد الفراهيدي واضع بحور الشعر واسس علم النحو ، نستمع اليه يقول :

لهـا في قومهـا نسب عـريق

اذا انتسبت وبيت حجي أصيـل(١٥)

---

(١١) الديوان ص ٤٤٨ ·

(١٢) الديوان ص ١٨١ ·

(١٣) النِكس : الجبان الضعيف :

(١٤) الديوان ص ٣٤ ·

(١٥) الديوان ص ٣٤٣ ·

فعمّـــاها المرعث (١٦) وابـن أوس (١٧)
وجـــدّاها المبـرد (١٨) والخليــــل (١٩)

وطابع شعره الفصاحة حتى يخيل للقارىء أو السامع انه بمقدوره ان يأتي بمثله لسهولته وانكشافه وبعده عن التعجيز ، مع خلوه مما يعيب تزينه توشية العصر وروحـه :

رعـت الآداب حينـــا نجتنـي من خزاماهـا ومن سـعْدانها
طلب النـاسُ لهـا عيبـاً فمـا عابهـا شـيء سـوى حدثانها
أخرست كـلَّ فصيـح فغـدا يُفصِحُ الحاسـدُ باستحسانها (٢٠)

نزعته الاسلامية :

كان مسلما حقا مؤمنا قوي الايمان ، نافح عن الاسلام يتعصب له وسلَّ لسانه بوجوه أعدائه وبوجه كل حاقد ومسيء .

ولم تخل نفثة من نفثاته في مدح أو حماسة الا وعرج على الاسلام شغفا وحبا وهياما ، وما ذاك الا لمتانة ايمانه وسريان روح هذا الدين الحنيف في دمه وسلطانه على أحاسيسه ومشاعره فنستمع اليه يخاطب صلاح الدين الايوبي مثمنا بطولته

---

(١٦) المرعث : هو بشار بن برد بن برجوخ العقيلي بالولاء كنيته أبو معـاذ ولقبه « المرعث » لانه كان في اذنيه رعثة وهي « القرط » وأصل أبيه من فرس طخارستان . فصيح اللسان . صحيح البيان من اللكنة والخطـا توفي سنة ١٦٧ هـ .

(١٧) ابن أوس : هو حبيب بن أوس الطائي وكنيته « أبو تمـام » توفي سـنة ٢٣١ هـ .

(١٨) المبرد : هو محمد بن يزيد بن عبدالأكبر بن غوث الازدي الثمالي الازدي البصري الامام أبو العباس المبرد امام العربية ببغداد في زمانه وصاحب التصانيف . توفي سنة ٢٨٥ هـ (طبقات النحاة واللغويين) ابن قاضي شهبه ص ٢٨٥ .

(١٩) الخليل ابن أحمد : هو أبو عبدالرحمن ابن أحمد عمرو بن تميم الفراعيدي مبتكر بحور الشعر وواضع اسس علم النحو . توفي سنة ١٧٠ هـ وقيل سـنة ١٧٥ . (طبقات النحويين واللغويين ـ لابي بكر محمد بن الحسن الزبيري ص ٤٣ـ٤٧) .

(٢٠) الديوان ص ٤٤٨ .

متغنياً بإقدامه :

ونهضتَ للاسلام نهضةَ صادقِ العزمات ِ تسرآبُ من نـأته وتشعشَب(٢١)
وغضبتَ للدين الحنيف ولم تزل في الله ترضى منـذ كنت وتغضَب
غادرت أهلَ البغي بين مجدّلٍ لقي الحِمامَ وخائف ٍ يتـرقـب

وهو يوقد في قلبه جذوة الحماسة لمتابعة أعداء الدين والقضاء على كفرهم واستئصال شأفتهم واعلاء كلمة الله وتتلاحق مشاعره دافقة بحرارة وصدق :

فاصبحْ بـلادَ الروم منك بغارة للنصـر فيهـا رائـد لا يـكذب
وانكـحْ صوارمك الثغورَ يزورها في كل يوم من جيوشك مقنب(٢٢)
واحسِم بحدِ ظُباك داءً حَسْمُه ودواؤه بعـد التفاقـم يَصعُب(٢٣)

وهو يرى ان الجهاد في نشر الاسلام وقهر خصومه وأعدائه واجب مقدس لا يفرط فيه ولا يتهاون به :

جهادُ من لم يَبْقَ يومـاً لــه في نصـر ديـن الله مجهـــود(٢٤)

ونتلمس هذه الروح الاسلامية عنيفة وهو يشيد بالخلفاء العباسيين ويشدهم نسباً الرسول الكريم فهم حماة الدين وأئمة المسلمين والإمنـاء على رسـالة الله جل جلاله بين الخليقة الساهرون على صونها من كل طاغية وحاقد ، يقول مخاطباً الامام المستضيء :

ملّكتهـــا يـــداك والله يؤتــي ملكـه من عبـــاده من يشـــاء
يا امـــاما أسنت عـــلاه عـــن الإشــــعار طـه والنمـل والشعـراء

ويزداد حماسة في تقديسه لهم وحماسته تكاد تدفعه الى المبالغة :

---

(٢١) نأى : فتق وخرم ٠
(٢٢) قنب : دخل ومقنب : داخل ٠
(٢٣) الديوان ص ٢٥ ٠ الظُبَه : جمع ظبات وظُبى وظُبون : حد السيف او السنان ونحوهما ٠
(٢٤) الديوان ص ١١١ ٠

أنت فليرغم العدى حنجتُه الله وأنت المحجة البيضاء(٢٥)
وأبوك الذي بدعوته في المحل درت على البلاد السماء(٢٦)
هم خير الانام بعد رسول الله أفتت بذلك الفقهاء(٢٧)

بهذا الإجلال وبهذا التعظيم ينظر الى الخلفاء العباسين الذين يرجعون بنسبهم الى العباس عم النبي الكريم ، فهم خير الانام بعد رسول الله ويكثر من الاعلان عن حبه لهم اعجاباً بطيب محتدهم وعراقة نسبهم ولذودهم عن الاسلام بصلابة بالغة امام أطماع الصليبيين :

فاستدفعوا ما رابكم بدعائه   ان الامام مجابة دعواته
أوضحتم يا آل عباس لنا   نهجَ الهُدى حتى انجلت شبهاته
أيدتم الدين الحنيف فأصبحت   مجموعةً لسيوفكم أشتاته

(٢٥) يقول للامام المستضيء : انت المرجع فيما تقوله وتفعله عن الله في الارض ٠
(٢٦) يستند قوله : وأبوك الذي بدعوته في المحل درت على البلاد السماء ومثله قول الشريف الرضي :

وأبوكم العباس ما استسقى به   بعد القنوط قبائل الا سقوا
بَعَجَ الغمام بدعوة مسموعة   فأجابه شرق البوارق مغدق

على ما جاء في الحديث الشريف : عن أنس رضي الله عنه : ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال : (اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا ٠ فيسقون) رواه البخاري ٠

ومعنى استسقى بالعباس أي متوسلا بالعباس للرحم التي بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فأراد عمر أن يصلها ليكون ذلك وسيلة الى رحمة الله ٠ وكان ذلك في عام الرمادة سنة ثماني عشرة ، فعن ابن عمر قال (استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبدالمطلب) الى ان قال : فخطب عمر فقال : (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد ، فاقتدوا ايها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله) ٠ وسمي العام بالرمادة لما حصل فيه من شدة الحدب حتى اغبرت الارض جداً من عدم المطر (المنتخب من السنة المجلد الرابع) ٠
(٢٧) الديوان ص ٢ ٠

آو يطمع الاعداء فيه وانتم أبطاله وليوثه وحماته

فلينصرن الله دينا أنتم أنصاره من دونه وحماته(٢٨)

ولا عجب في تعصبه لدينه وقد شهد التيارات الدينية وتفكك المجتمع وعاش في عصر شهد أحداثاً بارزة في تأريخ العرب والمسلمين ، وقد أحسّ بالاستعباد وذاق طعمه المر القاتل وما تركه في الامة من آثار محزنة ، ورأى زوال عهد السلاجقة وانفلات العراق من حكمهم في طريق الاستقلال والتحرر ، وقد رأى تعصب الصليبيين واصرارهم على محو الاسلام والمسلمين واستئصاله من الوجود (٢٩) ·

وكما كان يعظم في شعره الخلفاء العباسيين كان يعظم سلف الامة عامة وأقرباء الرسول خاصة · وقد ورد في ديوانه المطبوع قصيدة يرثي بها ذوى قرابة الرسول وفيها أبيات تومىء الى انه امامي العقيدة ومطلعها :

ارقتُ للمع برقٍ حاجريّ تألق كاليماني المشرَفي(٣٠)

ولكنها موضع شك لأنها لم ترد في أصح نسخ ديوانه المخطوط وهي النسخة المكية المكتوبة سنة خمس وثمانين وخمسمائة الهجرية أي بعد وفاته بستة أشهر ، ولأنها غريبة في اسلوبه في الرثاء ، ذلك انها استهلت بالنسيب والغزل ، وهي بداية غير مألوفة بين المراثي تدعو الى التأمل « لان الآخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولا عن النسيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة » (٣١) ولانه « على شدة الجزع يبني الرثاء » (٣٢) وليس من عادة الشعراء العرب بدء تفجعهم ورثائهم بالغزل فذلك جد نادر ، وقد وردت قصيدة لدريد بن الصمة قد رثى بها أخاه بعد سنة من قتله وقد بدأها بالنسيب بعد ان أخذ بثاره ومطلعها :

---

(٢٨) الديوان ص ٦٣ـ٦٨ ·

(٢٩) دراسات الشعر في عصر الايوبيين ـ محمد كامل حسين ص ٨٦ ·

(٣٠) الديوان ص ٤٥٦ ·

(٣١) العمدة ٢/١٥١ـ١٥٢ ·

(٣٢) المصدر نفسه ٢/١٥٣ ·

آرثٌ جديدُ الحبل من لم معبد   بعافيــة ولخلفت كل موعـــــد

وهناك ما يومىء الى بعض أبيات في القصيدة ايماءة شك هو حبه الطائي للعباسيين وتقديسه لهم ومناداته لهم بأحقيتهم بالخلافة التي ازدانت بهم واضفاؤه عليهم نعوت الامامة حصراً بهم ، نستمع الى مثـل ذلك في قولـه يخاطب الامـام المستضيء :

فابق يا صاحب الزمـان بقـاء   أبديــاً يفني بقــاه الدهـــور(٣٣)

وفي قوله :

وبكم سـقى الله البـلاد وانتـم   امنــاؤه في خلقـــه وثقاتـــه
وعليـكم نزل الـكتاب مثـــانياً   وبفضلـكم نطقت لنـــا آياتـــه(٣٤)

وقد ورد في نسمة السحر (٣٥) : انه شيعي امامي ، واســتند صاحبها على حكمه بقصيدة للشاعر خاطب بها محمد بن المختار العلوي نقيب مشـهد الكوفـة ومطلعهـا :

يا ســمي النبـي يا ابـن علـي   قامع الشـرك والبتول الطهـور

وفيها بعض الابيات التي اتخذت دليلا على تشيعه منها :

ومتى مـا اسـتمر خُلْفُكَ بالموعـد ولـم تعتـذر عن التـــأخير
صـرت من جملـــة النواصب لا آكـل غـير الجـــري والجرجير
وتبـــدلت من مبيتي في مشـهد موسـى بجـــامع المنصــــور(٣٦)

وأكبر الظن ان هذه الابيات ساقها مساق التندر والمشاكسة لغرض كان يبغيه عند المخاطب ، وهي لا تقف امام مثل قوله في المستضيء :

---

(٣٣) الديوان ص ١٦٦ . وتعبير « صاحب الزمان » : تلميح يقصد به المهدي المنتظر عند الشيعة .

(٣٤) الديوان ص ٦٧ .

(٣٥) نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ـ ليوسف الصنعاني ـ مخطوطة بمجلدين بمكتبة الشيخ كاشف الغطاء في النجف الاشرف .

(٣٦) الديوان ص ٢١٤ـ٢١٥ .

فابق يـا صاحب الزمـان فأيا مك في مثلهـا يطيب البقـاء
لمرآً يقتضي لوامرك الدهـر ويجـري بمـا تشـاء القضـاء(٣٧)

وأمام مثل قوله يخاطب الإمام الناصر لدين الله :

سست الرعـايا بسيرة لم يسر في الناس الا بمثلهـا عمـر
انت الامام المهـدي ليس لنـا امـام حـق سـواك يُنتَظَرُ
تبـدو لأبصـارنا خـلافاً لأنْ يزعـم أن الامـام منتظـر(٣٨)

وقوله هذا ينفي كونه امامي العقيدة ، فلو كان شيعياً اماميا والمهدي المنتظر هو آخر أئمتهم الاثنى عشر لما جرؤ أن ينفي امامته ويثبتها قطعا للامام العباسي ٠

وحين دالت دولة الفاطميين في مصر سنة سبع وستين وخمسمائة الهجرية تحت ضربات صلاح الدين الايوبي وهي دولة شيعية تشفى بزوالها وانقراضهـا وتبدت لواعجه هيمانة طروبة فتبين ذلك في مدحه الإمام المستضيء وتهنئته له بالنصر المبين باعادة مصر الى الخلافة العباسية ومطلعها :

لك النهي بعد الله في الخلق والامر وفي يـدك المبسوطة النفع والضر
وطاعتك الايمان بالله والهـــدى وعصيانك الإلحاد في الدين والكفر
ولولاك مـا صحت عقيـدة مؤمن تقي ولم يقبـل دعـاء ولا نـذر
وأنت أمين الله فينـا ووارثُ النبـي ومـن أمسى يحـق لـه الامـر

ومنهـا :

فمن مُبلغٍ تحت التراب ابن هاني‏ء(٣٩)
وقبر المُعز (٤٠) إنْ أصاخ لـه القبـر

---

(٣٧) الديوان ص ٥ ٠
(٣٨) الديوان ص ١٥٨ ٠
(٣٩) هو ابن هاني‏ء الاندلسي الشاعر وكان مقربا الى الخلفاء الفاطمين وشاعرهم وله في مدح المعز قصائد كثيرة ٠ توفي سنة ٣٦٣ هـ ٠ وشاعرنا يعارض قول ابن هاني‏ء عند فتح مصر :

تقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضي الامر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر تطالعه البشرى ويقدمه النصر

(٤٠) وهو المعز لدين الله الخليفة الفاطمي ٠

بأنّ الحقوقَ استرجعت في زمانه
على رغم من ناواه وافتتحت مصر(٤١)

وفي قصيدة اخرى يظهر تشفيه بأسلاب الفاطميين وهزيمتهم ومطلعها :

قل للسحاب اذا مرتـه يد الجنائب فأرجحن
دانت لهيبتك الممالك والمعاقل والمدن
وأتتك أسلاب الملوك من الصعيد الى عدن
سَلَبُ الدَّعِي بأرض مصر والمضلل في اليمن(٤٢)

وفي هذا البيت الاخير يذهب مع صاحب كتاب الروضتين في ان نسب الخلفاء الفاطميين في مصر لم يكن صحيحا (٤٣) حيث رُدَّ ذلك النسب تارة الى اليهود وتارة اخرى الى المجوس وذلك لان عبيدالله الملقب بالمهدي الفاطمي والذي نعتوه بعداوته للاسلام واتخاذه التشيع ستاراً لازالة الملة الاسلامية لم يكن يسمى عبيدالله وان اسمه الصحيح « سعيد بن أحمد بن عبدالله القداح بن ميمون بن ديصان » (٤٤) وقد شاع ذلك وانتشر بعد أن أنكر الشريفُ الرضي قوله :

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وأنت حميّ
ألبس الذلّ في بلاد الاعادي وبمصر الخليفةُ العلوي
مَنْ أبوهُ أبي ومولاه مولا ي اذا ضامني البعيدُ القصي(٤٥)

وكتب إنكاره في محضر الافكار بخطه . وقد قيل في ذلك ان والده بعتاب من الخليفة العباسي أحضر ولده الرضي فانكر الشعر فامره أن يكتب بخطه الى القادر بالاعتذار وانكار نسب الحاكم بأمر الله الفاطمي فأبى فقال له أبوه (أتكذبني

---

(٤١) الديوان ص ١٧٦ .
(٤٢) المخطوطة ورقة ٢٧ .
(٤٣) يلاحظ كتاب الروضتين لابي شامة ١٥/٢٠١ فأبو شامة يقود فريق التشكيك بصحة نسب الفاطميين ويقول (انهم بنو عبيد من نسل ابن قداح الملحد المجوسي وكان من قبل يهودياً) .
(٤٤) فاطمة الزهراء والفاطميون ص ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .
(٤٥) المصدر نفسه .

في قولي ؟ » فقال : كلا · ما اكذبك ولكني أخاف من الديلم ومن الدعاة في البلاد · فقال له أبوه : اتخاف من هو بعيد عنك وتسخط ممن هو قريب منك وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك ؟ وغضب أبوه وحلف لا يقيم معه في بلد ، فلما بلغ الامـــر بينهما هذا المبلغ حلف الرضي أنه لم يقل تلك الابيات ، وكتب انكاره في محضر الافكار · وهناك مؤرخون معتدلون وقفوا عند تأييد التهمة الواردة بالقصص التي تثبتها منهم ابن خلكان وان طباطبا وقد سأل هذا الاخير عند وصوله مصر المعز الخليفة الفاطمي عن نسبه وان يذكر له جده الرابع ، فسل المعز سيفه فقال « هذا نسبي » ثم نثر على من في مجلسه الذهب وقال « وهذا حسبي » وقنع منه الحاضرون بما سمعوه وما شهدوه ·

الباب الثاني

سبط ابن التعاويذي الشاعر

وأنصتْ لها حضريةً بدويةَ الـ   ـأنسابِ لم يفتحْ بشرواها فمُ
عرباً فصاحاً يستعيرُ فطانةً   وفصاحةً منها البليدُ الأعجمُ
تُروى فتُحدِثُ في المعاطفِ نشوةً   فمديرُها طرباً بها يترنّمُ
خلطَ الحماسةَ بالنسيبِ فقلْ له   أسلافُ خمرٍ في كؤوسِكَ أمْ دمُ

الفصل الاول

شـــعره

١ ـ الديوان :

جمع سبط ابن التعاويذي شعره بنفسه قبل أن يفقد بصره سنة تسع وسبعين وخمسمائة الهجرية ورتبه أربعة فصول وافتتحه بخطبة ظريفة لطيفة (١) ·

يضم الفصل الاول قصائده التي مدح بها الخلفاء العباسيين ، ويضم الفصل الثاني مجموعة قصائده في مدح الوزراء وعلية القوم ، وخصص الفصل الثالث لمدائحه لبني المظفر المعروفين قديماً بـ « آل الرفيل » لانهم مواليه وأصحاب نعمته ، أما الفصل الرابع فيضم مجموعة من قصائد الرثاء والزهد والهجاء والعتاب والغزل وأغراضاً اخرى · وما نظمه بعد ذلك سماه « الزيادات » وقد الحقت بالديوان في بعض النسخ وبعضها يخلو منها (٢) ·

وقد رتب محمود سامي البارودي (٣) سنة تسع وتسعين ومائتين وألف الهجرية ـ احدى وثمانين وثمانمائة والف الميلادية ـ ديوان سبط ابن التعاويذي على الحروف وعمل له ديباجة (٤) تتناسب ومكانته بين دواوين الشعر العربي ·

وقد قام د · مرجليوث المستشرق المعروف باخراج الديوان وقد رتبه حسب القوافي على الحروف الهجائية حيث أخذ ذلك عن نسختين ـ كما ذكر ـ احداهما موجودة في المكتبة « البدليانية » (٥) وهذه النسخة مبوبة حسب تبويب الشاعر · والثانية التي اعتنى بها وأخرجها محمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد المشهور بابن دجاجة الاموي سنة تسع وسبعين وتسعمائة الهجرية ـ احدى وسبعين

---

(١) كشف الظنون ١/٧٦٤ ·

(٢) معجم الادباء ١٨/٢٣٥ ·

(٣) مقدمته لديوان سبط ابن التعاويذي ·

(٤) تأريخ الادب العربي ـ عمر فروخ ٣/٣٩٠ ·

(٥) بدليان ضمن مكتبة جامعة اكسفورد · تحتوي على مخطوطات عربية ولهذه المخطوطات فهرس مطبوع ·

وخمسمائة والف الميلادية ـ وهي مبوبة حسب القافية على الحروف الهجائية وعلى نمطها رتب مرجليوت الديوان الذي أخرجه سنة احدى وعشرين وثلثمائة وألف الهجرية ـ سنة ثلاث وتسعمائة والف الميلادية ـ وقد ألحق به الزيادات ·

وقد وجدت شعرا كثيرا على قدر من الجودة والنفاسة لم يضمه مرجليوت الى الديوان اما لأنه لم يعثر عليه أو لانه أغفله متعمداً لسبب من الاسباب ، وقد دفعني ما وجدت متناثرا بين بطون المراجع الى التقصي عن الحقيقة فعثرت على مخطوطة من ديوانه في مكتبة كلية البنات الملغاة وهي مبوبة حسب تبويب الشاعر وتتكون من أربعة فصول في جزءين في مجلد واحد ·

ورأيت من الإمانة ان ادون معلومات عن هذه النسخة .

خطها جيد ولا اشكال فيه ، وقد كتبت بمداد أسود وعنوان كل قصيدة أو قطعة بالمداد الاحمر على ورق أصفر سميك وطول الورقة تسعة وعشرون سنتمترا ونصف السانتمتر وعرضها تسعة عشر سنتيمترا وتسعة أعشار السانتيمتر · وعدد ورقاتها أربع وتسعون ومائة ورقة ، تضم بعضها واحداً وعشرين بيتا من الشعر وعدد القصائد والمقطوعات ثماني عشرة وثلثمائة قصيدة ومقطوعة ، اما عدد أبيات المخطوطة ف (٧٠٨٧) سبعة وثمانون وسبعة آلاف بيت (٦) · وكاتب الجزء الاول اسمه عبدالرحمن بن حسين الزبيدي ، وكاتب الجزء الثاني لم نعثر عليه حيث سقطت من آخرها ورقات وجاءت خطبة الديوان ناقصة لضياع ورقات من أول المخطوطة . وعلى هذا فعدد القصائد في هذه المخطوطة يزيد عن المطبوع لمرجليوت ب (أربع عشرة قصيدة ومقطوعة) ·

وقد لاحظت اختلافاً كبيراً بينها وبين ما أخرجه مرجليوت · واما الاخطاء الموجودة فيها فكثيرة لا حصر لها منها الإملائية ومنها العروضية ومنها النحوية ·

ومن الاخطاء الاملائية والتفاوت في مطالع الأبيات وبعض الكلمات المتباينة : فالبيت ·

---

(٦) وعدد الابيات في الديوان المطبوع هي ٦٦٥٥ بيتاً ·

عسى مر انفاس النسيم المردد ينحدث عن بان الغضا المتأود(٧)

جاء في المخطوطة :

عسى مر انفاس النسيم المرددى (٨)

والبيت :

كذا كل يوم دولة تتجدد وسلك على رغم الاعادي مخلد(٩)

جاء في المخطوطة :

كذى كل عام دولة تتجدد (١٠)

والبيت :

لم يبق فيك لمشتاق اذا وقفا الا ادكار رسوم تبعث الأسفا(١١)

جاء في المخطوطة :

لم يبق فيك لمشتاق اذا وقفا الا ادكار زمان يبعث الأسفا(١٢)

والبيت :

يا عمادَ الدينِ يا أكرم من تحت السماء(١٣)

جاء في المخطوطة :

يا عماد الدين يا أكرم من تحت السمائي (١٤)

والبيت :

كم أنفقَ الأيام في خدمةٍ أحرزتَ فيها صفقةَ المخسرِ(١٥)

جاء في المخطوطة ضمن قصيدة مطلعها :

---

(٧) تنظر القصيدة في ص ١١٢ من الديوان ٠

(٨) تنظر المخطوطة ورقة ٩١ ٠

(٩) ينظر الديوان ص ١١٨ ٠

(١٠) تنظر المخطوطة ورقة ٩٩ ٠

(١١) ينظر الديوان ص ٢٩١ ٠

(١٢) تنظر المخطوطة ورقة ١١٥ ٠

(١٣) ينظر الديوان ص ١٣ ٠

(١٤) تنظر المخطوطة ورقة ١٢٩/٢ ٠

(١٥) الديوان ص ٢٣٣ ٠

يا عضدَ الدين دعاء امرئ على الليالي بكَ مُستنصرِ[16]

والبيت :

يا قالةَ الشعرِ أما فيكم فتىً ذو محميه [17]

جاء في المخطوطة :

يا قالة الشعراء ما فيكم فتى ذو محميه[18]

والبيت :

ألا يا ابنَ الحَصينِ جمعت نفساً مذممة الى خُلُقٍ قبيحِ[19]

جاء في المخطوطة :

الا يا ابنَ الخطيبِ جمعتَ نفساً [20]

والبيت :

يا ربِ قد حجَّ الوزيرُ وما لهُ في الحجِ رَغبَه[21]

جاء في المخطوطة :

يا رب قد حج العفيف [22]

أما الأخطاء العروضية ففيها كثير ، وقد ثبت لي جهل الكاتب للجزء الثاني بعلم العروض في جمعه كل بيتين في بيت واحد في القصيدة [23] ·

أما القصائد والمقطوعات التي أغفلها مرجليوث فكثيرة منها على سبيل المثال : قصيدة يمدح بها الامام المستضيء سنة احدى وسبعين وخمسمائة الهجرية حين

---

(١٦) تنظر المخطوطة ورقة ١٥٦ ·
(١٧) ينظر الديوان ص ٤٦١ ·
(١٨) تنظر المخطوطة ورقة ١٦٦ ·
(١٩) ينظر الديوان ص ٩٦ ·
(٢٠) تنظر المخطوطة ورقة ١٦٨ ·
(٢١) ينظر الديوان ص ٦٠ ·
(٢٢) تنظر المخطوطة ورقة ١٧١ ·
(٢٣) المخطوطة البغدادية ورقة ٢/١١٠ وورقة ٢/١٩١ ·

وصله خبر اعادة الخطبة في مصر للعباسين وعدد أبياتها تسعة وستون بيتاً ولم يذكرها مرجليوث (٢٤) ومطلعها :

قـل للسـحاب اذا مَرَتْـه يدُ الجنائبِ فارجحن
دانت لهيبتيك المما ليك والمعاقلُ والمُدُنْ
وأتتك أسلابُ الملوك من الصعيد الى عدن (٢٥)

وقصيدة نظمها سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة الهجرية وعدد أبياتها ستة ومائة بيت ليس لها ذكر في نسخة مرجليوث ومطلعها :

شرّد عن عينيّ الكرى طيفٌ لظمياء سرى (٢٦)

وقصيدة تزيد أبياتها على ٥٦ بيتاً في مدح الامام الناصر لا وجود لها في الديوان مطلعها :

عُجْ برسوم اللوى تحييها وقف بها سائلاً مغانيها (٢٧)

ومقطوعة من عشرة أبيات مطلعها

أبا اليُمْن داؤكَ داءُ الملوكِ فما بالُ نفسك نفس الكلاب (٢٨)

ومقطوعة عدد أبياتها ثمانية مطلعها :

لأبي العلاء من العدول صديق صدق لا يموت (٢٩)

وقصيدة عدد أبياتها ثلاثة وعشرون بيتا مطلعها :

لا بارك الله في العذيل فكم أسلفنا من أذى ومن شر (٣٠)

ومقطوعة عدد أبياتها خمسة مطلعها :

---

(٢٤) لقد ذكر منها ابن خلكان في وفيات الاعيان أربعين بيتاً (١٥٩/٦) .
(٢٥) المخطوطة البغدادية ورقة ٢٧/١ .
(٢٦) المخطوطة البغدادية ورقة ١٠٨/١ ، ١٠٩ وفي المخطوطة المكية ثلاثة وعشرون ومائة بيت .
(٢٧) المخطوطة المكية ورقة ٣٨ .
(٢٨) المخطوطة البغدادية ورقة ١٦٢/٢ .
(٢٩) المخطوطة البغدادية ورقة ١٧٩/٢ .
(٣٠) المخطوطة البغدادية ورقة ١٨٠/٢ .

يامن بجسمي من حبها سقم ومن فؤادي منها على خطر(٣١)

ومقطوعة تعد ستة أبيات مطلعها :

يا ماجدا رؤيته مغنم والبعد عن حضرته مغرم(٣٢)

ومقطوعة أبياتها ثلاثة عشر بيتاً مطلعها :

جاء باترنج يفوق معجبا من أبصره(٣٣)

وقد عثرنا على شعر له في الإنساب :

بين السيوف وعينيك مشاركة من أجلها قيل للاغماد أجفانُ(٣٤)

وجاء له في النجوم الزاهرة في قلة كلام الامير طاشتكين بن عبدالله المقتفوي مجير الدين أمير الحاج :

وأمير على البلاد مولى لا يجيب الشاكي بغير السكوت

كلما زاد رفعة حطنا الله بتغفيله الى البهموت(٣٥)

اما عدد الابيات التي وجدناها في المخطوطة وقد أغفلها مرجليوث ولم يلحقها بالديوان فهي بالنسبة الى المخطوطة ــ التي ذهب منها كثير من القصائد والمطبوعات ــ اثنان وثلاثون وأربعمائة بيت (٤٣٢) ، هذا وقد وصلت اليَّ مخطوطة مصورة من ديوانه عن نسخة في مكتبة الشيخ محمد سرور الصبان الخاصة (٥٠٨ ، أدب ، في مكة المكرمة ووجدت تباينا بين المخطوطتين في عدد الاوراق وعدد القصائد والابيات ، وأثبت في أدناه معلومات عن النسخة المكية التي نسخت سنة خمس وثمانين وخمسمائة الهجرية ، وقد جاء في الصفحة الاولى نصاً :

---

(٣١) المخطوطة البغدادية ورقة ٢/١٨٢ .

(٣٢) المخطوطة البغدادية ورقة ٢/١٨٦ .

(٣٣) المخطوطة المكية ورقة ٣٠٢ .

(٣٤) الانساب ٢١٢ .

(٣٥) النجوم الزاهرة ٦/١٩٠ .

ديوان الشيخ الاديب البليغ

شمس الدين محمد بن عبدالله الكاتب

مكتبة الشيخ محمد سرور الصبان الخاصة بمكة المكرمة ٥٠٨ أدب ٠

ديوان ابن التعاويذي – وهو محمد بن عبيدالله بن عبدالله أبو الفتح المعروف بابن التعاويذي أو سبط ابن التعاويذي المتوفى سنة ٥٨٣ والديوان من صنع الشاعر نفسه وقد قسمه الى أربعة فصول وفق الاغراض أوله : قال الشيخ ٠٠٠ ابن التعاويذي ٠٠ اما بعد حمد الله على نعمه السابغة ، وأول ما فيه من الشعر من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين الناصر لدين الله ابا العباس احمد عند جلوسه في الخلافة سنة ٥٧٥ :ـ

طافَ يَسعى بها على الجُلاس   كَقضيبِ الأراكةِ المَياسِ

وآخره :

حتى تراها لنا عقالا   في اليد والرجل واللسان

تمَّ الفصل الرابع وبه تم ما جمعته الى آخر سنة ثمانين وخمسمائة وما انظمه بعد ذلك ان فسح الله في الاجل اورده مفرداً غير مفصل واسميه زيادات ، وقد أجزت لمن يروي هذا الشعر عني أن يضيف كل قطعة من الزيادات عند نسخه ونقله الى موضعها الذي يليق بها من الفصل الذي هي منه ، وأسأله العفو والتجاوز بمنّه وفضله ٠

نسخة بقلم نسخي نفيس سنة خمس وثمانين وخمسمائة (٥٨٥) وقد عمل الناسخ بما أشار به الشاعر في وضع الزيادات ٠ ورقة ١٥ سطراً ١٦ × ٢٤ سم ٠

وجاء في ختامه على نهاية الورقة ١٠٩ ما نصه :

هذا صورة لفظه المكتوب في ديوانه قبل الزيادات وعند نسخي لهذا الديوان من الاصل اعتمدت في نسخ الزيادات ونقلها الوجه الذي قصده وأشار اليه ووضعت كل قطعة منها موضعها اللايق بها من الفصل الذي هي منه وكلما هو من الزيادات عينته ليعلم انه من الزيادات وفرغت من نسخه بالموصل المحروسة في سابع ذى الحجة

سنة خمس وثمانين وخمسمائة والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وصحبه ·

والخط الذي نسخت به المخطوطة على درجة من الجودة لم تقع على مثله عين · وعدد أوراقها تسع وثلثمائة · وكل ورقة تتسع لخمسة عشر بيتا وبعضها كتب فيها ثلاثون بيتا ·

وعدد قصائد المخطوطة أربع وستون وثلثمائة قصيد (٣٦٤) أي بزيادة ست واربعين قصيدة عن المخطوطة البغدادية وبزيادة اثنتين وثلاثين قصيدة على القصائد الموجودة في الديوان المطبوع وعدد أبيات الشعر فيها خمسة وثلاثون وثلثمائة وثمانية آلاف بيت (٨٣٣٥) أي بزيادة احدى وثمانين وستمائة وألف بيت (١٦٨١) عن أبيات الديوان المطبوع ، وبزيادة ثمانية واربعين ومائتين وألف بيت (١٢٤٨) عن المخطوطة البغدادية ·

وجاءت قصيدة الغزل :

شرد عن عيني الكرى طيف لظمياء سرى

ب ثلاثة وعشرين ومائة بيت في حين انها في المخطوطة البغدادية ستة ومائة بيت ·

وهذه المخطوطة تحتوي على أربعة فصول وقد الحقت فيها الزيادات · وعثرت فيها على مجموعة قصائد ومقطوعات لا أثر لها في الديوان المطبوع ·

أقوال الباحثين في شعره :

يعتبر سبط ابن التعاويذي أشعر أهل العراق في زمانه بشهادة الادباء والمؤرخين · ولم نجد أحداً قد خرج على هذا الاجماع ، بل ذهب ابن خلكان الى تفضيله على شعراء قرنه والقرن الخامس بقوله :

« وعلى ما أعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه » (٣٦) وجاء في نكت الهميان « كان شاعراً منطيقاً سهل الألفاظ ، عذب الكلام منسجم التراكيب » (٣٧) وورد في العبر « سار نظمه في الآفاق وتقدم على شعراء العراق » (٣٨) وفي شذرات

---

(٣٦) وفيات الاعيان ٤/٩٠ ·

(٣٧) نكت الهميان ص ٢٥٩ ·

(٣٨) تأريخ دول الاسلام ـ للذهبي ٤/٢٥٣ ·

الذهب » كان شاعرا لطيفا عذب الكلام سار نظمه في الآفاق وتقدم على شعراء العراق »(٣٩) وورد في تذكرة الحفاظ « شاعر العراق » (٤٠) وقال عنه ياقوت « كان شاعر العراق في وقته » (٤١) وورد ذكره في مضمار الحقائق « بأنه من أفاضل الشعراء المقدمين » (٤٢) ووصفه يوسف بن يحيى الصنعاني « شاعر فاضل ختم به الشعر المنضد وخجل لبنات فكرته خد الادب المورد ، لو رآه المعري رجع الى جماعته وسنته بعد الاعتزال ولو سمع شعره الوليد رجع عن حبيبه الذي شغفه وهو أشيب القذال ولو أدركه لما باه عليه حبيب » (٤٣) .

وفي مكان آخر قال « ولأنه على رأيي أشعر أهل العراق » وقال محمود سامي البارودي في مقدمة الديوان الذي اخرجه (هو سريع البادرة مليح النادرة » وقال المرحوم دكتور مصطفى جواد « شعره روضة غناء من رياض الشعر العراقي بلغ فيه الفن الشعري الصناعي غايته القصوى » (٤٤) .

وقال المستشرق: مرجليوث في مقدمة الديوان (وكم في هذا الديوان من مدحة رافعة للقدر وارجوزة شارحة للصدر ومن أهجية جارحة للاعراض وشكاية مصيبة للاغراض ومرثية مبكية للعيون وقطعة مختلفة الفنون ، فأن القصائد كأنها مرايا تظهر أسرار القلوب وخفايا الخطوب وتكاد أن تعيد الاموات وتجعلهم ذوي حياة وتظهر من غبر وسلف نصب عين من خلف) (٤٥) وقال في موضع آخر (لما نظرت في ديوان أمين الدولة وجدته من أفصح شعراء العصر ، قريحته من أسمح قرائح نظام الشعر ، وجدت قصائده لا ينظمها سلك ولا يحرزها ملك) (٤٦) .

---

(٣٩) شذرات الذهب ـ للعماد الحنبلي ٤/ ٢٨١ .
(٤٠) تأريخ دول الاسلام ٤/ ١٣٥ .
(٤١) معجم الادباء ١٨/ ٢٣٥ .
(٤٢) مضمارر الحقائق لمحمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي ص ٦ ، ٣٢ .
(٤٣) نسمة السحر ٢/ ٣٤٥ مخطوطة في مكتبة كاشف الغطاء العامة ـ النجف تسلسل ٧٤٨ جـ ٢ .
(٤٤) مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٥ مجلد ٣ جـ ٢ .
(٤٥) مقدمة الديوان ص ٤ .
(٤٦) مقدمة الديوان ص ١٣ .

أما دكتور محمد زغلول سلام فيقول (وان ابن التعاويذي جمع بين الشعر والكتابة الا أنه احتفظ في شعره بمكانة رفيعة) (٤٧) ثم يبرز دوره المشرف في سبيل الدين الاسلامي وفي سبيل القومية العربية في ذلك العصر الذي تكالب فيه الصليبيون على الاسلام واندفعوا ممعنين لمحوه ، وتكاثر أعداء العروبة وظهروا بأزياء متعددة فقال زغلول (انه كان له دور في حركات البعث الاسلامي العربي وان شعره يفيض بالروح القومية وبروح النضال والكفاح والتصوير الحي لحركات صلاح‌الدين ضد الاستعمار الصليبي) (٤٨) ولو لم يقل سوى هذه الابيات الثلاثة في تحمسه لأمته لكفاه فخراً :

فاصبَح بــلادَ الروم منكَ بغارةٍ   للنصرِ فيهــا رائــدٌ لا يَكْذِبُ
وانكِحْ صوارِمكَ الثغورَ يزورها   في كلِ يومٍ من جيوشك مِقنَبُ
حتى يُرى للمَشْرَفيةِ مَطْعَمٌ   بالغَتكِ من تلك الدماءِ ومَشْرَبُ(٤٩)

ومما يدل على علو كعبه وتفرده بشعره استشهاد المؤرخين به حيث جميع الباحثين والمؤرخين الذين أشاروا الى القرن السادس لابد أنْ يستشهدوا بشعره ويعدونه الشاعر الذي يمثل العصر أجمل تمثيل (٥٠) ، وجميع المصادر التي رجعت اليها استشهدت بشعره ، اما شعره بنظره فهو اسمى ما يكون الشعر ولا يرى من يضارعه في ذلك ولا يدرك شأوه ٠ وهو القائل :

أيطمَعُ في إدراكِ شَـأوي مُفحَمٌ
وأين الدَنيُ النِكسُ والفاضِلُ النَدْبُ
يطاولُني في نَظْمِ كُلِ غريبةٍ
لِيَ الحفْلُ من أخلافِها وله العَصْبُ(٥١)

---

(٤٧) الادب في عصر صلاح‌الدين ص ٢٦٥ ٠
(٤٨) المصدر نفسه ص ١٩٢ ٠
(٤٩) الديوان ص ٢٥ ٠
(٥٠) معجم الادباء ٨/٢٣٥ ٠
(٥١) الديوان ص ٣٤ ٠

ويصور نفسه خاتم الشعراء :

أنا والصاحبُ شِعراً ونَدى نِلْنا السماءْ
خَتَمَ الأجوادَ طُرّا وختمتُ الشعراءْ(٥٢)

وشعره انشودة المقيم وغنوة الظاعن امتلأت به بطون الكتب وعمرت به صدور الرواة :

عرائسَ ما كنتُ في نظمِها بخابطِ لَيْلٍ ولا مُحتَطِبْ
من العربيّاتِ لما يَزنَّ والدُهنُّ ولما يَختضِبْ
فأضحتْ بِهِنّ صدورُ الرواةِ مملوءةً وبطونُ الكُتُبْ(٥٣)

وقوله :

قوافٍ تَستحِرُّ الألبابَ حتى يُخالَ بها فُتُورٌ واحْوِرارُ
هي البِكرُ الحَصانُ يَقِل مَهْراً لها غُرَرُ المطافيلِ البِكارُ(٥٤)

بهذه النظرة المليئة بالثقة والإطمئنان ينظر الى شعره الذي جاء قلائد يتزين بها الدهر وتتغنى بها الركبان ، وهو مع هذا حاضر البديهة سريع الخاطرة فنستمع اليه يرتجل حين دخل دير الثعالب (*) يوم عيد النصارى · والارتجال لا يستطيعه

---

(٥٢) الديوان ص ١٢ ·
(٥٣) الديوان ص ٣٠ ·
(٥٤) الديوان ص ٢٠٤ ·

(*) دير مشهور قرب مدينة الحارثية يلاصق قبر معروف الكرخي غربي بغداد · وقد قال أبو جعفر ابن الدهقان في هذا الدير :

ديرُ الثعالب مألف الضلال ومحل كل غزالة وغزال
كم ليلةٍ أحييتها ومنادمي فيها ابح مقطع الاوصال
مسيحٌ يجسود بروحه فاذا مضى وقضى سمحت له وجدت بمالي
ومنعم ديِن ابن مريمَ دينه غنجٌ يشوبُ مجونه بدلال
فسقيته وشربت فضلة كأسه فرويت من عذب المذاق زلال

معجم البلدان ٤/١٢٩ ·

إلا من وهب الملكة الخلاقة بأبيات أولها :

وغَزالٍ علقتُه يومَ دَيْرِ الثعالبِ(٥٥)
من ظِباءِ الصَّريمِ يَخطِرُ في زيِّ راهبِ(٥٦)
كالقضيبِ الرَّطيبِ يسمو هيبه حَمائلُ النوائبِ
شَدَّ زُنّارَهُ فحلَّ عقودَ المذاهبِ(٥٧)

وقال مرتجلا لعضدالدين ابن رئيس الرؤساء وقد خرج لملاقاته عند عودته من نهر الملك (٥٨) بصحبة الخليفة أبياتاً أولها :

بعلو جَدِّكَ يُسعَدُ الدَّهرُ والى فخارِكَ ينتهي الفخرُ(٥٩)

وقد ارتجل حين ادخله يوما عزالدين أبو منصور ابن الوزير عضدالدين حمام داره أبياتاً أولها :

حَمّامُ دارِكَ جنّةٌ لنزيلهِ ما شئت فيه من النعيم مُيَسَّرُ(٦٠)

وقال مرتجلا أبياتا يمدح أبا الفتوح ابن المظفر ابن الوزير عضدالدين

يا مَن اذا ضَنّت الايامُ جائرةً عم البرية إسعافا وانصافا(٦١)

والذي اوتي هذا الحظ من الموهبة وطبع بطابع حبه لأمته ووجه الى الخير وامتلأ صدره بالنظرة الانسانية الواسعة لابد أن ينكر ذاته ويلقي بنفسه في اللهب في سبيل غيره من الآدميين المعذبين المستضعفين المظلومين ، وهكذا وجدناه

---

(٥٥) علق : أحب وتولّه ٠
(٥٦) الصريم : الليل أو قطعة منه أوله أو آخره ٠
(٥٧) الديوان ص ٥٢ ٠ والزنار : الحزام ويكون طويلاً ما شد حول الخصر تدلت أطرافه مما يزيد الفتاة جمالاً ٠
(٥٨) نهر الملك : كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى يقال انه يشتمل على ثلثمائة وستين قرية على عدد أيام السنة وقيل ان أوله من حفره سليمان بن داود عليهما السلام ٠ وقيل حفره الاسكندر وقال أبو بكر محمد بن علي : حفر نهر الملك اقفور شاه بن بلاشي وهو الذي قتل اردشير بن بابك وقام مقامه وكان آخر ملوك النبط ـ معجم البلدان ٣٤٦/٨ ٠
(٥٩) الديوان ص ٢٠٥ ٠
(٦٠) الديوان ص ٢١٩ ٠
(٦١) الديوان ص ٢٩٤ ٠

يلج الشعر الاجتماعي فيواسي شعبه في محنه ومصائبه ويدافع عن حقوقهم بمقول كالحسام مذروب ويقف الى جانبهم غير هياب ويصيح بوجوه الحاكمين : أنكم ظالمون للشعب فقد غلبتموه علي أمره وولاتكم جائرون متجبرون ، ويطالب بمحاسبتهم وبدفع الأذى عن الناس :

للدهر يا ابناء معشر لكم ذنوب ليس تغفر
أعطاكم الجم الجزيل وكنتم بالمنع أجدر
ووليتم الدنيا فالفيتم من الحجاج أجور
في كل صقع منكم وال ظلوم قد تعمّر(٦٢)

ونستمع اليه ينقد المظالم التي صبت على الرعية من جور وفساد وجوع وخوف ويقول للخليفة صراحة بان ولاته فتكوا بالشعب المستضعف :

واقسم إن امسى وأصبح جمة
ذخائره في النفس والمال سالما
بانك ما عذبت بغداد من أخي
فساد ولا استأصلت دهرك ظالما(٦٣)

فأحاسيسه الاصيلة والخيال الدقيق المرهف أتيا بكل عجيب ، وهكذا أدى شعره رسالته في معركة الجهاد وفي اشادته بالبطولات التي حفظت مجدنا العربي من الانهيار وصانت تراثنا الاسلامي وهو يصور المجتمع الاسلامي واتجاهاته في عصره خير تصوير ٠

وهناك نفثات أخرى يقف فيها الي جانب الشعب وينصح الخليفة بأن يحتاط لشعبه من الظالمين والمخربين الذين استهتروا بالرعية واستجازوا كيدها ٠ منها قولـه :

---

(٦٢) الديوان ص ٢٣١ ٠
(٦٣) الديوان ص ٣٩٨ـ٣٩٩ ٠

فيا ملكَ الأملاكِ شَرقاً ومَغرِباً
وسَهلاً الى حَزْنٍ وبراً الى بَحْرِ

أُعيذُكَ من هَمٍ تَبيتُ لأجلِهِ
على سعةِ السُلطان مُقتَسمَ الفِكْرِ

فَجَرِّدْ لأهلِ البغْي عزماً مُؤيداً
وسَلطْ على أرضِ العدُوِ يَدَ القَهْرِ(٦٤)

ويخاطب صلاح الدين الأيوبي ناصحاً :

وٱحسِمْ بحدِّ ظُباكَ داءاً حَسْمُهُ
ودواؤُهُ بعدَ التفاقُمِ يَصعُبُ(٦٥)

ويحث الخليفة على الحزم والوقوف بوجوه المخربين :

فيا أميرَ المؤمنينَ اعتَمِدْ ما يَقتَضيهِ الحَزْمُ في أمرِهِ
طهِّرْ بلادَ العدْلِ من جَورِهِ وَنزِّهِ الأسلامَ مِنْ كُفْرِهِ(٦٦)

وقد ولج السياسة فهو متحمس لدينه ولشعبه ولأمته :

تَحْمِلُ آجامَ القَنا في الوغى له أُسودُ الغابةِ السُودُ(٦٧)
عَتادُهُ لِلرَوْعِ عَسالةٌ سُمرٌ وأبطالٌ مذاويدُ(٦٨)
ومُرْهفاتُ الحدِ مطْرُورَةٌ وَضُمَّرٌ أقرابُها قُودُ
لما سرتْ يَقْدُمُها حَتفُهَا عصائبُ التُركِ الرَعاديدُ(٦٩)
وَلّىَ على أعقابهِ كَلْبُهَا طَريدَةً والكلبُ مَطْرُودُ
فأصبحتْ بالدَوِ اشلاؤُهُم يَشْبَعُ مِنها النَسْرُ والسِيدُ(٧٠)
جُيُوشُهمْ بالرُعبِ مَفْلولَةٌ وَزَرْعَهُمْ بالسيفِ مَحْصُودُ(٧١)

---

(٦٤) الديوان ص ٢٢٥ ٠
(٦٥) الديوان ص ٢٥ ٠
(٦٦) الديوان ص ٤٨٠ ٠
(٦٧) الآجام مأوى الاسد وتأتي بمعنى الحصن ٠
(٦٨) العسالة : الذئب ٠
(٦٩) الرعديد : الجبان ٠
(٧٠) الدوّ : البرية ٠
(٧١) الديوان ص ١٠٨-١١٢ ٠

وقد ترجم لشعبه حبات قلبه ووقف يناضل بحماس دون عقيدته ومبدئه وامته :

طَرَقَتْ وَدُونَ طُروقِهَا   من قَوْمِها الأُسْدُ الغِضَابُ
وصوارمٌ أبقَى القِرا   عُ بها فُلُولا والضِّرابُ
يرمي العدُوُّ بسَهمِها   فلِكُلِ شَيْطانٍ شِهابُ(٧٢)

ونستمع اليه يثير الحماسة في قلب ابن الصاحب وهو ينشد :

رأته لها بغداذُ أمنعَ ذائدِ
فألقَتْ الى تَدْبيرهِ بالمقاليدِ
عَتَادُكَ للاعداءِ كُلُّ مُهنَّدِ
ومُطّردِ لَدْنِ الأنابيب أملُودِ
يُبيدُ العِدَى في كلِ جأواءَ فيْلَقٍ
وَيُجري النَّدَىفي كُلِ شَهْباءَ جارُودِ(٧٣)

---

(٧٢) الديوان ص ٥٤ــ٥٩ ٠

(٧٣) الديوان ص ١٠٥ــ١٠٨ ٠ وجأواء : أرض غليظة في سواد
وشهباء : شهباء سنة لا خضرة فيها ولا مطر
وسنة جارود : جرّدها القحط ٠

الفصل الثاني

خصائص شعره العامة :

بناء شعره طبقة واحدة تساوي في ذلك ما نظمه في صباه وما نظمه قبيل موته ، فليس بين هذا وذاك فرق ولا تباين أو كثرة اختلاف في الجودة ، وليس فيه ميزة سن على سن أو دور على دور ويلفه التشابه في روحه ونسجه فمن شعره في سنة ٥٦١ قوله :

أدِرْ كأسَ المُدامِ عليَّ صِرْفاً ولا تُفْسِدْ كُؤوسَكَ بالمِزاجِ
فقد حانَ الصَّبُوحُ وحَنَّ قلبي الى عذراءَ تَرْقُصُ في الزُّجاجِ
ودُونَكَ فاقتَبِسْ بالرِطْلِ منها سَنًا يُغْنيكَ عن ضوءِ السِّراجِ(١)

وكأننا نحس ونحن نتلوها بأننا سمعناها من قبل فأن هناك شعراء طرقوا هذا الضرب مثل الحسن بن هانيء بيد ان شيئا يميزها عما سبقها من شعر . فالثوب القشيب الموشى بتوشية العصر وروح العصر التي ظللته ما وقفنا معهما عند الحكم الفصل ، وأن شاعرنا عب مما جاء به الفحول من الشعراء فأخرجه بحلته التي واكبته وجاءت صورة ناطقة بما فيه من حضارة وازدهار ثقافة . ومن أوائل ما نظم شعره الذي مدح به أبا الفتوح عبدالله بن المظفر بن رئيس الرؤساء سنة سبع وأربعين وخمسمائة الهجرية بقصيدة رائعة أولها :

قُمْ قبلَ إسفارِ الصَّبَاحِ قُمْ فأكْسُ راحَكَ كأسَ راحِ
معْ فِتيةٍ باتُوا يَرَوْنَ بِها الخَسارَ من الرَّباحِ
من كُلِّ مُغْرى بالصَّبَا بةِ مُولَعٍ بِهوَى المِلاحِ(٢)

ونقرأ له مما نظم قبيل براحه هذه الحياة الدنيا يمدح مجدالدين بن الصاحب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة الهجرية :

---

(١) الديوان ص ٧٦ .
(٢) الديوان ص ٨٩ .

ما كنتُ أولَ حافظٍ لِمُضيعٍ   والغدرُ من حسناءَ غيرُ بديعِ

ماذا على الأيامِ أيامِ الصبا   لَوْ أنّها سَمَحَتْ لنا بِرُجُوعِ(٣)

والذي نؤخذ به أن لشعره كافة مزايا لها حقها من الإعجاب فالشعر عنده نقد للحياة وكشف عن القيم ، وقد تميز بالاحساس ، وهو عنده الذهب المودع في خزانة نفسه وقد حافظ عليه من أن يفقد أو يضعف ، فذلك يعني أن كل معانيه وتوليداته لغو لا يؤبه به ، والذي ينتزع منا اعجابنا هو هذا الخفوت في التنغيمة وهذا الجرس الموسيقي الذي يسحر بتوافق رائع بين عناصر ومقومات شعره ، وليس الشعر عنده لباسا يلبسه للزينة في مواسم تتطلب الزينة بل هو أهابه الموصول بعروق جسمه المنسوج من لحمه ودمه ، وتظهر الملكة الخلاقة التي تستمد قدرتها من عمق الشعور حينا ودقته حينا آخر ، وشعوره العميق الاصيل هو الذي استوعب كل ما يدور في خلده من المعاني ، ويتماثل امامه من الأجسام فاذا هي حيـة كلها .

وقد تميز شعره بطول النفس فأغلب قصائده تتجاوز سبعين بيتاً وله منها ما يتجاوز عدد أبياتها ثلاثين ومائة . ومع طولها قد لا نجد فيها ما يستهجن أو ينبو ولا تبدو عليه الركاكة أو الجنوح الى المبهمات أو الالفاظ العامية التي تخرج على دائرة الطابع العام الذي يميز الشعر الذي يوصف بالغرر ، وفي كل نظمه تبدو قريحته نشطة غير مكدودة متوقدة حادة الفطنة .

وقد جنح الى المبالغة حتى كان لها في شعره حظ ونصيب : نستمع اليـه يمدح الامام الناصر لدين الله :

ولَتَطْوِيَنَّ الأرضُ من أقطارِها   ولِواكُمُ مَنْشورَةٌ عَذَبَاتُهُ

آليتُ لا امتَدَّتْ يدي إلاّ الى   من تملأُ الأرضَ الفضاءَ هِبَاتُهُ(٤)

وقد عرفت المبالغة قديماً في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي والاسلامي

---

(٣) االديوان ص ٢٧٤ .

(٤) الديوان ص ٦٧ .

والأموي والعباسي حتى جاء المتنبي في القرن الرابع فافتنّ بها كثيرا فطغّمت شعره حتى لا تكاد قصيدة تسلم منها قال يمدح علي بن المنصور الحاجب :

كالبحرِ يَقذِفُ للقريب جَواهِراً　　جُوداً ويبْعَثُ للبَعيدِ سحائِبَا
كالشمس في كبدِ السماءِ وضوْؤها　　يَغشَى البلادَ مَشارِقا ومَغارِبا(٥)

وقد درج الشعراء بعده على أثره يقلدونه ، ولشاعرنا سهم وافر في هذا ، فتراه يبالغ أن مدح أو هجا أو تغزل ، قال يمدح الامام المستضيء :

خَجِلَتْ من عَطائِكَ الأنْوَاءُ　　وَتَجلَّتْ بِنُورِكَ الظَلْماءُ(٦)
ومَزايا ماثرٍ كالحَصا يَنْفَدُ من دونِ عدّها الاحْصاءُ(٧)

وفي مدحه صلاح الدين نجد المبالغة واضحة وهو يشبهه تارة بالبحر جوداً واخرى بالسحاب :

تَؤمُّ بَحْراً تلقى موارِدُهُ الوَافدَ باهْلٍ مِنها وَتَرْحيبِ
سَحابُ جُودٍ شِمْنا بَوارِقَهُ　　فأنهلَّ مُثْعَنْجِرَ الشآبيبِ(٨)

والمبالغة واضحة في قوله يمدح عضدالدين هبةالله بن المظفر :

وزيرٌ اذا اعتَلَّ الزمانُ فَرأيُهُ
هِناءٌ بِهِ تُشفى خلائِقُهُ الجُرْبُ(٩)
لـه خُلُقا بأسٍ وَجُودٍ اذا سَقَى
بِسَجْلَيْهِما لم يُخشَ جورٌ ولا جَدْبُ(١٠)

وهو في مدحه الناصر لدين الله يبالغ :

---

(٥) ديوان المتنبي ص ١١١ ٠
(٦) الديوان ص ١ ٠
(٧) الديوان ص ٣ ٠
(٨) الديوان ص ٢٢ ٠ والمثعنجر : فيضان الماء أو الدمع ٠
(٩) الهِناء : القطران ٠
(١٠) الديوان ص ٣٢ ٠ السَجْل : الدلو ٠

ومقَ السماءَ بطرْفه فتبَجّسَت
أنواره وتنزّلت بركاته (١١)

وقوله فيه :

فابْقَ يا صاحب الزمانِ بقاءً
أبَدياً يُفْني بقاءَ الدهور (١٢)

وأن رثى بالغ ٠ قال في رثاء أخ له :

على ذي يدٍ كالغيْثِ في المحْل ثرةٍ
ووجهٍ كضوءِ الصُبْحِ ابلج أبلخِ (١٣)

ونجد المبالغة في رثائه سلجوقي خاتون وهو يخاطب القبر

ثوى بك من لوْ جاوزَ النجمَ قدره
لزادتْ به الأفلاكُ فخراً الى فخر (١٤)

ولم يسلم حبه وغزله من المبالغة :

باتَتْ تُعاطيني جنا ريقةٍ رقَتْ فأغنَتْني عن الخمرِ (١٥)

أو قوله :

وأغنَّ معسولِ المراشِفْ كالبدْرِ مَصقُولِ السَوالِفْ (١٦)
يتظلّمُ الخصْرُ الضعيفُ اليه من ثِقلِ الرَوادِفْ (١٧)

وقوله :

ولمْ أدْرِ قبل البَيْنِ أنّ من الهوى
قدوداً ومن بيضِ الصَوارمِ أحداقا (١٨)

---

(١١) الديوان ص ٦٦ ٠
(١٢) الديوان ص ١٦٦ ٠
(١٣) الديوان ص ١٠٤ ٠ وأبلخ : تكبر وعلا وعظم ٠
(١٤) الديوان ص ٢٢٣ ٠
(١٥) الديوان ص ١٩٠ ٠
(١٦) السوالف : ما يلي الاذن تحت الشعر (صفحة العنق عند معلق القرط) ٠
(١٧) الديوان ص ٢٨١ ٠
(١٨) الديوان ٣٠١ ٠

ويبالغ في شاعريته :

منحُها الوحيُ إذا ما استَمْلَتِ الشُعراءُ الشعرَ من شيطانِها

تحتذيه قالةُ الشعْرِ فلَوْ أنصفَتْهُ كانَ من قرآنِها(١٩)

اسلوبه :

اهتم بموسيقى شعره وعذوبته فظهر بما يجعله لامعا بين شعر الشعراء الفحول ، وظهرت مع اسلوبه سمات وسم بها منها جزالة التركيب وانسجام بين الالفاظ المنتقاة مع جودة الرصف ، فطغت على شعره العذوبة واللطافة والاشراق :

وتَرَدْدَتْ بينَ الكلامِ الجَزلِ والمَعنى اللّطيفِ(٢٠)

وليس به مبالغة في التأنق واسراف في الصنعة التي نجدها في بعض الأحايين مبثوثة بين قصائده حيث غشاها المجاز والبديع وليس ملوماً على ذلك وهو يعيش في عصر أغرقته الثقافات الوافدة وأسرت الصنعة أقلام الكاتبين وعواطف الناظمين بيد اننا لا نحس بتكلف أو جهد ، وبانَ شعره كروضة غناء مصنوعة صناعة جميلة :

كالرَوضَةِ الغنَاءِ أو كغناءِ ساجعةٍ هَتُوفِ(٢١)

ونجد في شعره ترصيعا بديعا تهش له النفوس وتهتز له القلوب :

جاءتكَ خاليَةً ترائبها من التَجْنيسِ والتطبيق والترْصيعِ(٢٢)

وقال في جناس مرتب :

لَمْ انسَ قولَتَها يومَ الوداعِ وقد

أبْدَتْ أناملَ خِلْناها أساريعا(٢٣)

---

(١٩) الديوان ص ٤٤٨ .

(٢٠) الديوان ص ٢٩٠ .

(٢١) الديوان ص ٢٩٠ .

(٢٢) الديوان ص ٢٧٦ .

(٢٣) الديوان ص ٢٧١ . والأساريع : دود أبيض حمر الرؤوس يكون في الرمل .

إن كانَ راعَك حُـزنٌ يـومَ فُرْقَتِنا

فلَستَ أولَ صَـبٍّ بالأسى ويعـــا(٢٤)

ونتلمس الصناعة في قوله :

يا مُميتَ العُدْمِ أحيَيْتَـــــتَ بِجَـــدْواكَ الرَّجـــاءا

يــا أبـــا الفَضـــلِ فَضَلْتَ الغَيْثَ جُـوداً وسَــخاءا(٢٥)

وفي قولـــه :

مُجيرٌ لا يُضامُ لَديهِ جارٌ ... وراعٍ لا يُراعُ لَديْـهِ سَرْحُ

فَلِلْعافِينَ إعطـــاءٌ وبِشْرٌ ... وللجـانِينَ إغضـاءٌ وصَفْـــحُ(٢٦)

وقولـــه :

والنَّصلُ قد خَضَبَ النَّجيعُ بياضَهُ

والنَّقعُ قـد صَبَغَ النهارَ سوادُهُ(٢٧)

فقد رأيناه كيف جمع بين ضدين في طباق ايجاب : مميت ، أحييت ، ورأيناه في جمعه بين : مجير ، جار وراع ، يراع في جناس تام . وبين : اعطاء ، اغضـاء وبياض ، سواد في طباق : ايجاب . ونقف مع جناس تام له في قوله :

ذَهَبتْ يا هِبَـــةَ اللهِ أياديكَ هَبـاءا(٢٨)

ومع طباق ايجاب في قوله :

فبينَ القلبِ والسُلْوانِ حَرْبٌ ... وبين الجَفْنِ والعَبَراتِ صُلْحُ(٢٩)

ومع جناس تــام :

---

(٢٤) الديوان ص ٢٧١ .

(٢٥) الديوان ص ١١ . فَضَلَ : زاد .

(٢٦) الديوان ص ١٠٣ .

(٢٧) الديوان ص ١٣٠ .

(٢٨) الديوان ص ١٠ .

(٢٩) الديوان ص ١٠٢ .

ولستُ اذا كُنتُ جارَ الأميرِ ممنْ يـُراعُ اذا جارَ دَهـرُ(٣٠)

وما يرينا مبلغ تعلق الشعراء بالصنعة قوله يمدح شاعراً في شعره طباق وتجنيس :

شعر يعلم نظم الشعر سامعه فيه طباق وتجنيس وترصيع(٣١)

ويرينا ما في اسلوبه من الجمال والحلاوة والسهولة والسلاسة قوله :

فَاْجتَلِ البكرَ زهتْ حسْناً على البكرِ الردّاحِ(٣٢)
من قوافٍ محكماتٍ عربيّاتٍ فصاحِ
لا تدعْني في يدِ الأيام محصوصَ الجناحِ(٣٣)
بين أحداثٍ تواصَيْنَ بظُلْمي واجتياحي
يتراكضْنَ الى حربيَ من كُلِّ النَواحي(٣٤)

الفاظـه :

تميزت الفاظه بالسهولة والفصاحة إذْ أنه يقول فيها :

عُرْباً هجاناً إذا استعجمَ القريضُ فصائحُ(٣٥)

وبالعذوبة :

فدونكَ الفاظاً عِذاباً هي الرقى
اذا طرقتْ سمعاً ومعنىً هو السحرُ(٣٦)

وبالقوة والجزالة :

لها رقـةٌ في قوةٍ وجزالـةٍ
هيَ الماءُ مقطوبٌ بسلساله الخمرُ(٣٧)

---

(٣٠) الديوان ص ١٨٣ ٠
(٣١) الديوان ص ٢٧٠ ٠
(٣٢) الردّاح : الجمل المثقل حملاً ومن الكباش الضخم الالية ٠
(٣٣) محصوص : قليل الريش فأصبح غير قادر على الطيران ٠
(٣٤) الديوان ص ٨٤ ٠
(٣٥) الديوان ص ٩٤ ٠
(٣٦) الديوان ص ١٧٧ ٠
(٣٧) الديوان ص ١٧٧ ٠

وبالطراوة والرقة مع القوة :

شِعْرٌ كَرَوْضٍ خَضِيلٍ نَبْتُهُ بَاتَتْ الَاحِيهِ تَمُجُّ النَّدَى(٣٨)

فَهُوَ عَلَى قُوَّةِ الفاظِهِ أَرَقُّ مِن مَرِّ نَسِيمِ الصَّبَا(٣٩)

وبالبهاء والإنكشاف :

خُذْهَا إِلَيْكَ عَقَائِلاً مِثْلَ العَذَارَى البِيضِ نُهَّدْ

كَالمَاءِ إِلاَّ أَنَّهَا مِنْ قُوَّةِ الأَلفاظِ جَلْمَدْ(٤٠)

وتبدو في حديقته الشعرية ألفاظ غريبة بيد انها واضحة قريبة المأتى :

لَكَ إِنْ جَفَا خُلُقُ الصَدِيقِ خَلائِقٌ

زُهْرٌ أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ السَّجْسَجِ(٤١)

ومعنى سجسج : النسيم الرائع الاعتدال · ولا يحس السامع بغرابتها أو نبوها لأنها وضعت في مكانها ·

وفي قولـه :

لَهُمْ حُلُومٌ إِذا اتَّئَدُوا رَجَحَتْ بِهَا عَلَى الشُّمَّخِ الشَّنَاخِيبِ(٤٢)

وقد خلت ألفاظه من الهجر والنبو اللذين يفقدان شعره عذوبته :

نَزَّهْتُهَا عَنْ خَطَلٍ وهُجْرٍ تَبرأ إِلَيْكَ مِنْ عُيُوبِ الشِّعْرِ(٤٣)

وقولـه :

تَبَرَّأُ مِنَ اللَّفْظِ الرَّكِيكِ إِلَيْكَ وَالنَّظْمِ السَّخِيفِ(٤٤)

وقد جمع بين الألفاظ بتناسق يظهر ذلك بكل جلاء في قوله :

أَمِطِ اللِّثَامَ عَنِ العِذَارِ السَّائِلِ

لِيَقُومَ عُذْرِي فِيكَ عِنْدَ عَوَاذِلِي

---

(٣٨) الديوان ص ٤٦٣ ·

(٣٩) الديوان ص ٤٦٤ ·

(٤٠) الديوان ص ١٢٧ ·

(٤١) الديوان ص ٧٧ ·

(٤٢) الديوان ص ٢٠ · ومعنى شنخوب : أعلى الجبل ·

(٤٣) الديوان ص ١٨١ ·

(٤٤) الديوان ص ٢٩٠ ·

جمع بين عذار ، عذرى ، عواذل .

والبيـــت :

وَأغمِدْ لِحاظَكَ قد فَلَلْنَ تجلُّدي

واكفُفْ سِـهامَكَ قد أصَبْنَ مَقاتلي

والبيـــت :

وَهَنَـــاكَ انـي لا آديـنُ صَبابَـةٍ

لِهَوَى سِـواكَ ولا ألـيْنُ لِعــاذِلِ[45]

نجد أنفسنا أمام فنان ماهر حيث جمع بين الالفاظ : هناك ، سواك وجمع بين : أدين ، ألين ، وبين لحاظك ، سهامك .

وقد جاء بالألفاظ المبتكرة الحرة كما في قوله :

واستمِعْها عـذراءَ مـا مُدِحتْ قبلكَ يوماً بِمثْلِها الخُلفَـاءُ

حُـرَّةٌ مَحْضَة ومـا زالَتِ الأشـعارُ مِنها لقائِطٌ وإِمــاءُ[46] —

ويدل لفظه في شعره عامة على انه لفظ رجل عالم بالنحو مطلع على شـواهد العربية لاسيما القرآن الكريم حيث تشبع به شعره ، وجاءت الآيات نصاً ومعنىً متلألئة في بريقها بين أفانين حديقته الغناء زينة وجمالا لنفثاته :

مَلكتَهـا بِـيداكَ (واللهُ يُؤتِي مُلكَهُ من عبـادهِ مـن يشاءُ)[47]

فقد اختار للغزل والوصف الألفاظ الهادئة التي تحدث رنينا وهمسا منعشا :

يا مَـنْ يَهـُـزُّ قَوامَــهُ سُكْرُ الشَّـبابِ فَينثني

إرحَـمْ فَدَيْتُكَ من لَـهُ جَسَدٌ بِحُبِكَ قَـد ضَنِي[48]

---

(45) الديوان ص ٣٣٣ .

(46) الديوان ص ٦ .

(47) الديوان ص ٢ .

(48) الديوان ص ٤٤٢ .

وانتقى الألفاظ الفخمة ذات القوة في مدحه وحماسته ووصف المعارك :

قادَ الجِيادَ مَعاقِلاً وإن اكتفى بِمَعاقِلٍ من رَأيِهِ وحُصُونِ
مَهرت جُفون عِداهُ خيفةَ ماجدٍ خُلِقَت صوارِمُهُ بغيرِ جُفُونِ
لو أنَّ لليثِ الهزيزِ سُطاهُ لم يَلْجأ الى غابٍ لهُ وعرينِ

وهكذا نجده في مدحه وحماسته للبطل صلاح الدين يستعمل هذه الألفاظ الفخمة : الجياد · المعاقل · الحصون · عداه · صوارم · عرين ·

كما وجدناه في غزله قد استعمل الألفاظ الرقيقة : قوام · يهز · سكر · ينثني · فديتك · حب · ضني ·

معانيه :

معاني شعره واضحة منكشفة ولا تتطلب من القارىء أنّ يغوص وراءها باحثاً أو أن يكد الفكر في مفاوز التأملات والاستغراق ، فقد أتى بمعان قريبة المأخذ ، وما كان منها غريباً عبر عنه بلفظ مختصر قريب مع دقة الانتقاء وسلاسة الاختيار ومهارته :

فاجْتَلِ البِكرَ زَهتْ حُسْناً على البِكرِ الرّداحِ
ما أطاعتْ خاطِباً قَبْلكَ في عَقْدِ نِكاحِ(٥٠)

وقد جاءت معانيه على قد الفاظه سالمة من الإطالة والحشو :

أفحَمَني النَظْمُ البَديعُ الذي فاقتْ على الدرِ مَعانيهِ
شيِعْرٌ كنُوّارِ أقاحٍ نَدٍ سالت مِنَ الطَلِّ حواشيهِ(٥١)

ولم يتهاو في منحدر الركاكة والابتذال والسوقة ، وجاء بها مزدانة غير مرذولة :

(٤٩) الديوان ص ٤٢١–٤٢٢ ·
(٥٠) الديوان ص ٨٥ ·
(٥١) الديوان ص ٤٦٢ · النُوّار : جمع نواوير · النور للزهر · وبالفتح : الشديد النور ·

جاءتك لا مرذولة المعنى ولا

دَنيساً ملابسها بمدْحِ أراذل(٥٢)

وقد كثرت في شعره المعاني الفقهية والصوفية ومعاني آيات بينات من القرآن الكريم ولم تأسره زخرفة القول وبهرجته كما أسرت غيره من شعراء العصر حتى طغت على شعرهم طغيانا عاتيا أفقدته الحلى اللفظية المعنى الذي جاء ينوس متهالكا من ضعفه وهزاله بل وازن بحذر بين اللفظ ومعناه حتى طابق بينهما مطابقة" لا يؤتاها الا فنان ماهر وحكيم مقتدر ·

أوزانه وقوافيه :

نظم سبط ابن التعاويذي بثلاثة عشر وزناً من أوزان الخليل ولم أجد له نظما في ثلاثة بحور هي المتدارك والمضارع والمقتضب ، ووجدنا حظ الكامل عنده بالمرتبة الاولى فقد تصدر في عصره بقية البحور ، وبقي متصدرا حتى العصر الحديث ، واصبح لا غنى لكل شاعر عنه · وقد بلغت القصائد التي نظمها شاعرنا على هذا الوزن تسعاً وثمانين قصيدة ثم يأتي بعده الطويل في المرتبة الثانية وقد نظم فيه تسعاً وثلاثين قصيدة ثم المتقارب والبسيط والخفيف والسريع والوافر والرجز والرمل والمنسرح والمجتث والهزج والمديد · واختلاف أوزان البحور معناه أن أغراضاً مختلفة دعت الى ذلك ولا يمكن لشاعر أن ينظم كل ما تجيش به عواطفه في بحر واحد ووزن واحد ، ولا يمكن أن يصاغ قول الاخطل وهو من البسيط :

خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا

وأزعجَتْهُم نوى في صَرْفِها غِيَرُ

ببحر الرجز المجزوء المخبون كما في قول شوقي :

لا أدر تلكَ ضجة   حَضرتُها فيمن حَضَر

وقد طغت المجزوءات في العصر وازدادت كثرة تجاوزت الحد في أواخر العصر العباسي ، حتى أن شاعراً مثل بهاء الدين زهير في القرن السابع الهجري ينظم أكثر من ثلث شعره في المجزوءات ·

---

(٥٢) الديوان ص ٣٣٥ ·

ولتغير الأوزان وتصدر المجزوءات صلة بتغير الأفكار وفقاً لتغير البيئة وتغير الحضارة ٠

وأحسب ان سبب كثرة نظمه في الوزن الطويل بمقاطع طويلة يرجع الى مروره بصراع مع الحياة فتخير في حالة يأسه وقنوطه هذا الوزن الذي صب فيه شجونه وأحزانه ٠ ومر بانفعالات نفسية كثيرة فتخير لها البحور القصيرة التي تتلائم وسرعة نبضات قلبه الملتاع من حماسة أو فخر او هجاء أو طرب ٠

وسبب كثرة المجزوءات وانتشارها بشكل غير مألوف لما شاع من مجالس الطرب وأنواع الغناء فهي أوزان الانفعالات الشديدة ٠ قال في مجزوء الرمل :

حانَ إسفارُ الصَّباحِ ودَعا داعي الفَلاحِ
وسَرَت تحملُ نشرَ الروضِ أنفاسُ الصَّباحِ
وتغنَّتْ هاتفاتُ الوُرْقِ والعُجْمِ الفِصاحِ(٥٣)

وله في هجاء انسان يسمى (سيدا) في هزج :

أيا السَّيِّدُ ما ساعِد ايمانِكَ مُنشَتِدُ
ولا ماؤكَ مسكوبٌ ولا ظِلُّكَ مُمتَدُّ(٥٤)

وكتب الى الموفق بن علي بن الحسين بن الدوامي وقد قدم من سفره بعد مدة أطال فيها وكانت بينهما مودة « مجتث » :

لا أوحشَ اللهُ ممَّنْ بهِ يَتِمُّ السُّرُورُ
ومن تَخِيفُهُ حُلُومٌ الرِّجالِ وهوَ وَقُورُ(٥٥)

وهو في جميع ما نظم اقل الشعراء تجوزا في عروضه وأكثرهم حرصا على سلامة الوزن :

---

(٥٣) الديوان ص ٨٢ ٠
(٥٤) الديوان ص ١٥٦ ٠
(٥٥) الديوان ص ١٨٦ ٠

عَروضُها سالِمةٌ من كَسْرٍ تَمَثّلُ مِنها بالحُصانِ البِكرِ(٥٦)

ولم يطرق فنونا جديدة شاعت قبل عصره وتجاوزت عصره كالمواليا والكان كان والقوما والدوبيت والسلسلة والموشحات والرجز بل اقتصر على أوزان الشعر العمودي المتوارث ·

أما القافية فجزء مهم من موسيقى الشعر العربي الذي يتجلى في الايقاع الذي يرتكز على الكم والنبر اللذين يعتبران من الضرورة بمكان لقيام الوزن الشعري · وللقافية الى جانب وظيفتها الإيقاعية قيمة موسيقية لاشتمالها على حرف مد أو أكثر ، وهي ضرورية للبيت لطوله وتعقد وزنه ليكون وحدة ايقاعية لأن الايقاع كما يعرفه ريتشاردز : هو هذا النسيج من التوقعات والإشباعات والاختلافات والمفاجآت التي يحدثها تتابع المقاطع ·

فالايقاع اذن بامتزاجه مع القافية والوزن المختار مع عامل آخر هو العاطفة المتفجرة يكون الجرس الذي ينبعث بتنغيمة أخاذة تتغلغل في أعماق النفوس وتفعل فيها فعل السحر فيهز السامع هزاً ·

وقد التفت شاعرنا الى هذه القوة السحرية في القافية فاولاها عنايته وانتقاها بمهارة ، لانها المنبه للاحاسيس لطرقاتها للآذان برتابة منسجمة مع الوزن موسومة بالفصاحة لا مكرورة ولا معادة ·

فهو يقول في وصف قوافيه :

أتتكَ به قوافٍ مُحكَماتٌ عِرابٌ حين أنسِبُهنّ فُصُحُ(٥٧)

وفيها يقول :

مِن قوافٍ مُحكَماتٍ عَرَبيّاتٍ فِصاحِ(٥٨)

---

(٥٦) الديوان ص ١٨١ ·

(٥٧) الديوان ص ١٠٣ ·

(٥٨) الديوان ص ٨٤ ·

ويقــول :

عُونٌ قوافٍ أتتكَ تحملُ أبـكارَ معانٍ لم تُفْتَرعْ بِفَمٍ(٥٩)

وفي قولـه :

كالمـاءِ الفـاظة ولكنّـــهُ أقـوى مـن الصـخر قوافيـهِ(٦٠)

وقولــه :

ينتقـي غُـــرُّ القـــوافي لـكَ والمَــدْحِ انتقـــاءا(٦١)

وقد خلت قوافيه من عيوب الشعر من اقواء واصراف وغيرها :

نَزهتُها عن خَطَلٍ وهُجْرٍ تبرا اليكَ من عيوبِ الشعرِ(٦٢)

وهكذا فهو أبرز شعراء عصره ان مدح رفع وأنْ هجا وضعَ وانْ تغزل فتن وان وصف أطرب ، وان شكر وهنأ غنى وأنشد ، وان أنّ توجعت له القلوب ، وان رثى أبكى المآقي ، وبدون ريب ان ذيوع شعره وتعشق الناس له دلالة أكيدة على انسجام الشاعر مع بيئته اللغوية في الفاظه وأخيلته وأوزانه ، فجاء شعره نقدا للحياة وكشفا عن القيم التي يراها في مجتمعه وليس هو عنده الا النغم الذي تتفجر به الأحاسيس فذاع صيته وطبّقَ ذكره الآفاق .

---

(٥٩) الديوان ص ٣٧٦ . وافترع البكر : أزال بكارتها .

(٦٠) الديوان ص ٤٦٣ .

(٦١) الديوان ص ١٢ .

(٦٢) الديوان ص ١٨١ .

الفصل الثالث

الأغـراض

لقد طرق ابن التعاويذي معظم أغراض الشعر العربي المعروفة في عصره فقال في المدح والغزل والخمريات والهجـاء والعتـاب والشكوى والاعتذار والوصف والاخوانيات والرثاء ، كما طرق أغراضاً اخرى كالوعظ والارشاد والحكم والنصائح لامتلاء العصر بالمفاسد وسوء الحياة الاقتصادية ولكثرة المآسي التي حلت بالناس من جوع ومرض وجور وخوف ، فجاء شعره مصوراً لذلك المجتمع . وسنتناول أهم هذه الأغراض بالدراسة :

١ ـ المـديح :

وهو كثير في شعره كغيره من شعراء العرب أو أكثرهم ، والكثير من مدائحه موسوم بالجودة والجمال وصـدق الاحساس لأن ممـدوحيه إمّا من الخلفـاء العباسيين الذين ينظر اليهم بقدسية بالغة واحترام كبير لانهم يقتفون أثر الرسول الكريم ـ كما يرى ـ فيشد نسبهم به صلى الله عليه وسلم ، ولأنهم أئمة المسلمين والذائدون عن الدين الحنيف ، فيرى اطاعتهم فرضاً ، وأما أن يكون الممدوحون من علية القوم من الحاكمين الذين يرجعون الى اسر معروفة بالفضل والمكانة الرفيعة في المجتمع ، وتربطه بهم علاقات ود وحب ووفاء ، فمدائحه نابعـة عن وجـدان أصيل طافحة بالحب ، تفيض بالاعجاب دافقة عن عاطفة جياشة ، نفث بهـا صـدر يضيق بما فيه وهو بعيد بذلك عن الرياء ، ومع هذا فهو يأتي بالبيت أو البيتين أو الأبيات أحياناً مبثوثة في قصائده نشم منها رائحة المال أو تظهر المجاهرة بطلبه ، فلنستمع اليه يخاطب عضدالدين ابن رئيس الرؤساء متعجباً من هذا الذي أصابه لعدم تسويته بغيره من الشعراء مع أنه لا يرى أحداً يدانيـه في شـعره ، فكيف يستوي المجيد وغير المجيد في الجزاء ، ويخاطبه في البيت الثاني باسلوب يحمل في طياته الانسياب العاطفي ملتمساً أن تستمر ودقات سحائبه منهلّة ليدوم ندى أياديه البيضاء :

فَسَوْ على قدْرِ العزائمِ بيننا
ومن عَجَبٍ أن يَستوي الراس والعَجْبُ[1]

وَسقٌ غُرُوسَ المكرُماتِ فإنني
أعيذكَ أن تَذْوَيَ وأنت لها ربُّ[2]

وقد بلغت مدائحه خمساً وعشرين ومائة قصيدة ومقطوعة ، منها ما بداها بالغزل كعادة شعراء العرب كأنه يبغي من ذلك تهيئة أحاسيس الممدوح وانعاشه بتنغيمة هامسة حالمة ثم يدلف الى المديح ليكون على استعداد للتجاوب والقبول ، وعددها أربع وسبعون قصيدة ومقطوعة ، ومنها ما بدأها بالمدح مباشرة دون توطئة بالغزل ونحوه وعددها احدى وخمسون قصيدة ومقطوعة ويتميز مديحه ببراعة الاستهلال والديباجة القشيبة وبحسن الإنتقال منه الى غرضه دون أن يحس السامع بنبوة أو اضطراب ثم يعرض صفات الممدوح وأخلاقه من كرم وشجاعة واباء ورباطة جأش وحنو على الشعب وذود عن الدين الحنيف ويعرج الى نسبه فيشمده بعروة وثقى من المتانة والاصالة والشرف وكثيرا ما يختتم مديحه بالفخر بشاعريته وبشعره ليروج شعره أو لاستدرار عواطف الممدوح ليضاعف الهبات والجوائز ، وهو يمدح ويهنيء في مناسبات النصر والاعياد ومواسم الفرح من ختان أو انبساط أو تشييد دار ، ولا يجد السامع في مديحه تكلفاً ولا يحس بسأم ، وقد اولع بالتجنيس بيد أنه لم يسرف فيه الاسراف الذي يعاب عليه ، وظهر ازاء ذلك شعره مرصعا ترصيعا متينا وبراقا يخلب الالباب وزخرفا يسحر العقول بفنه ، وقد اختار لمديحه الفاظا فصيحة جزلة جمعت بين المرونة والصلابة والقوة والرقة :

كالماءِ إلا انها   من قوة الألفاظ جلمدُ[3]

ومن مدائحه المبدوءة بالغزل التي يمدح بها عبدالله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء سنة سبع واربعين وخمسمائة الهجرية وأولها :

---

(١) العجب مؤخر كل شيء .
(٢) الديوان ص ٣٤ .
(٣) الديوان ص ١٢٧ .

قُمْ قبلَ إسفارِ الصباحِ ... قُمْ فاكسُ راحَكَ كأسَ راحِ
من كَفِّ مهضومِ الحَشَا ... والكَشْحِ مِقلاقِ الوشاحِ
لعبتْ مِراضُ جفونه ... منا بأفئدةٍ صحاحِ(٤)

وله في آل الرفيل مدائح كثيرة ملأت فصلا من فصول ديوانه الأربعة وفاء منه لهذه الاسرة التي أعزته وأعانته على الأيام وشبل في نعمتها وانتفع بجاهها . ومن قصائده تلك التي قالها في مدح الوزير عضدالدين ابي الفرج هبةالله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء سنة احدى وسبعين وخمسمائة الهجرية ، وقد بداها بالغزل ومطلعها :

أبِيتُكُمْ أني مَشوقٌ بِكُمْ صَبُّ
وأنَّ فؤادي لِلأسَى بعدكُمْ نَهْبُ
فيا من لِقلبٍ لا يبلُّ غليلُه
واجفانِ عَيْنٍ لا يجفُّ لَها غَرْبُ(٥)
وبالقَصْرِ من بغداذَ خَوْدٌ اذا رَنَتْ
لَواحِظُها لم يَنْجُ من كيدِها قلبُ(٦)

ونستمع اليه يمدح ابن الصاحب ، وقد بداها بالغزل :

طرقتْ ودُونَ طُروقِها ... من قَوْمِها الأُسْدُ الغِضابُ
والليلُ في أذيالِهِ ... شَفَقٌ كما ذُبِحَ الغُرابُ
قامَتْ تَلَثُوثُ خِمارَها ... وبها ارتياعٌ واكتئابُ
ناشَدْتُها ولأدمُعِي ... في الخدِّ مَسْحٌ وانسكابُ(٧)

ومثل ذلك مطلع قصيدته التي قالها في مدح مجاهدالدين قيماز صاحب إربل وقد انفذها اليه سنة سبعين وخمسمائة الهجرية :

---

(٤) الديوان ص ٨٩ـ٩١ .
(٥) الغَرْبُ : جمع غروب : عرق في العين يسقي لا ينقطع سيل الدمع .
(٦) الديوان ص ٣٠ـ٣٥ .
(٧) الديوان ص ٥٤ـ٥٧ .

عليلُ الشوقِ فيكِ متى يَصِحُّ ... وسكرانٌ بِحُبِّكِ كيفَ يصحُو
وأبعدُ ما يُرامُ لَـهُ شفاءٌ ... فُؤادٌ فيهِ من عَيْنيكِ جُرْحُ
فبينَ القَلْبِ والسُّلوانِ حربٌ ... وبيْنَ الجَفْنِ والعبراتِ صُلْحُ(٨)

ومن قصائده المستهلة بالغزل قصيدته التي هنأ بها الامام الناصر ومدحه حين جلس على كرسي الخلافة سنة خمس وسبعين وخمسمائة الهجرية اذ قال :

طافَ يَسعىَ بها على الجُلاس ... كَقَضِيبِ الأراكةِ المَيّاسِ(٩)
بدرُ تِمٍ غازلت من لحظهِ ليلةَ نادمتُهُ غزال كِناسٍ(١٠)
ذللتْهُ ليَ المُدامُ فاضحَى ... ليِّنَ العِطف بعد طولِ شماسٍ(١١)
أمزجُ الكأسَ من جَناهُ وكم ليلةِ صدٍ مزجت بالدمع كاسي(١٢)

ومن قصائده المبدوءة بالغزل القصيدة التي مدح بها الصاحب الكبير سنة ثمانين وخمسمائة الهجرية :

آهٍ للبَرقِ أضاءا ... آيْمَنَ الغَوْرِ عِشاءا
مُسْتَطِيراً من قِرابِ المُزْنِ ... سَلاً وانتِضاءا
واصِفاً تلكَ الوُجُوهَ ... اليعربيات الوِضاءا
والثَنايا الغُرُّ يَبْسِمْنَ ... ومِيضاً وسَناءا(١٣)

وله مدائح يبدأها بغرضه مباشرة دون توطئة بالغزل منها التي قال يمدح عضدالدين ابن رئيس الرؤساء سنة سبعين وخمسمائة الهجرية :

---

(٨) الديوان ص ١٠٢ــ١٠٤ ٠
(٩) الديوان ٠ الاراكة : شجر طويل الساق كثير الاوراق والأغصان ٠ وماس يميس يتمايل ويتبختر ٠
(١٠) كنوساً الظبى : تغيب واستتر في كناسه والكناس : بيت الظبى ٠
(١١) شمس شموساً وشماساً : امتنع وابى ٠
(١٢) الديوان ص ٢٣٦ــ٢٣٩ ٠
(١٣) الديوان ص ٨ــ١٢ ٠

لكَ ذُرْوَةُ البَيتِ العَتيقِ عِمادُهُ
وَمُقَلَّدُ السيفِ الطويلِ نِجادُهُ
واليكَ ينتَسِبُ العَلاءُ قَديمُهُ
وحَديثُهُ وَطَريفُهُ وَتِلادُهُ(١٤)

ومنها القصيدة التي مدح بها الامام الناصر لدين‌الله سنة ست وسبعين وخمسمائة الهجرية :

مدحُكَ لا يستَطيعُهُ البَشَرُ   أنّى وقد اُنزِلَت بهِ السُوَرُ
أنتَ الامامُ المهديُ ليس لَنا   أمامُ حَقٍ سِواكَ يُنتَظَرُ(١٥)

ومنها التي قالها يمدح الامام المستضيء سنة سبعين وخمسمائة الهجرية :

لكَ النهيُ بعد اللهِ في الخلقِ والأمرُ
وفي يَدِكَ المبسوطةِ النفعُ والضُرُ
وطاعتُكَ الأيمانُ باللهِ والهُدى
وَعِصيانُكَ الألحادُ في الدين والكُفرُ
مُرِ الدهرَ يفعَلُ ما تشاءُ فانَّهُ
بأمرِكَ يَجْري في تَصَرُّفِهِ الدهرُ(١٦)

ومن مدائحه ما بدأها بالخمريات فقد قال يمدح عمادالدين ابن رئيس الرؤساء سنة احدى وستين وخمسمائة الهجرية :

حُثَّ كُؤوسَ الـراحِ   واشرَبْ على الأقاحي(١٧)
وَعاصِ في النَشْوَةِ   كـلَ الائِـمِ ولاحِ

(١٤) الديوان ص ١٢٨-١٣٠ .
(١٥) اليوان ص ١٥٨-١٦٢ .
(١٦) الديوان ص ١٧٣-١٧٧ .
(١٧) الأقاحي : أقاحي الامر . تباشيره : واقاحٍ واحدته اقحوانة وقحوانة : نبات أوراق زهرة مفلجة صغيرة يشبهون بها الاسنان .

وَقَادٍ في نَدْمانِهِا حَيٌّ علَى الفَلاحِ
مَشْمُولَةً تلعَبُ بالعقُولِ والأرواحِ(١٨)

ويمتاز مدحه بحسن الانتقال وروعة الوصل بين الغزل وغرض المدح دون أن يحس السامع باضطراب أو نتوء ، وكأنه فنان ماهر حيث ينساب من الغزل الى المديح فلنستمع الى ذلك في قوله يمدح صلاح الدين سنة أربع وسبعين وخمسمائة الهجرية :

قد هذَّبَتْني أيدي الخُطوبِ على شِماسِ عِطْفَيَّ أيَّ تَهْذيبِ
فلَيتها هذَّبتْ خلائِقَها وآخَذَتْ نَفْسَها بِتاديبِ
أولُقِنَتْ مُستَفيدَةً كرمَ الأخلاقِ من يوسفَ بن أيوبِ
الملكِ العادل الذي كشفَ اللهُ بهِ همَّ كلِ مكروبِ(١٩)

ونتلمس جمال الوصل وحسن الانتقال وهو يمدح عمادالدين بن رئيس الرؤساء :

يا طالبَ المعروفِ شَرقٌ في البلاد وغَرْبا
كلّفتَ نفسكَ منهُ ما أعيى الرجالَ وأنصَبا
مهلاً فانَّ النجمَ أقربُ من مراميكَ مَطْلَبا

وينتقل بانسياب الى غرضه :

أنْ شِمْتَ غير بني المظفرِ شِمتَ برقاً خُلَّبَا(٢٠)
ومتى انتجعْتَ سوى عمادالدينِ فارْتَعْ مُجْدِبا(٢١)

وله مثل هذا الجمال في حسن الانتقال في مدحه مجدالدين ابن الصاحب :

---

(١٨) الديوان ص ٨٦ـ٨٩ .
(١٩) الديوان ص ١٩ .
(٢٠) البرق الخلب : الذي يخدع ولا مطر فيه .
(٢١) الديوان ص ٤٠ .

جُودي بوعدٍ منكِ والظَمْآنُ يَخْدعُهُ السَرابُ
ولئِنْ بَخلْتِ وما على البيضِ الحِسانِ البُخْلُ عابُ
فالصاحِبُ الخِرْقُ الجَوادُ لهُ العَطايا والرغابُ(٢٢)
وَرَبابُهُ المُنهلُ يُلْهِي عن نَوالِكِ يا رَبابُ(٢٣)

ومع الانتقال الحسن في مدحه عمادالدين بن رئيس الرؤساء :

مُعرْبِدِ المُقْلَةِ نَشوانِ الجُفُونِ صاحِ
يَمْزِجُ كأسَ الراحِ من رُضابِهِ بِراحِ
ليس على عاشِقِهِ في الحُبِ من جُناحِ
أُحِبُّهُ حُبَّ عِمادِ الدينِ للسَماحِ
الماجِدِ القَرْمِ الجَوادِ الأَرْوَحِ الجَحْجاحِ(٢٤)

ومثله في جماله وسلاسته في مدحه صلاح‌الدين :

كأنهُ أقسَمَ ألاّ يُرى ذو أدَبٍ في الناسِ مَجْدُودُ
ولا أرى الأيامَ مذمومةً ويُوسفُ السلطانُ محمودُ(٢٥)

ويتناول في مدحه شجاعة الممدوح وقوة بأسه واقدامه وسطوته ومكانته السامية في مجتمعه ، يقول في مدح الامام الناصر لدين‌الله :

وقامَ يَرُدُّ الخَطْبَ عنها بِساعِدٍ
قَويٍ على دفْعِ العَظائِمِ مُسْتَدٌّ
يُقيمُ حُدُودَ اللهِ غيْرَ مُراقِبٍ
بِقائِمِ مَطْرُورِ الشَبَا باتِرِ الحَدِّ(٢٦)

---

(٢٢) الخرق : الحسن الجسم المتصرف في الامور والسيد السخي ومخراق حرب : صاحب حروب ٠
(٢٣) الديوان ص ٥٥ ٠
(٢٤) الديوان ص ٨٧ والقرم : الفحل والاروح : السعة في الرجلين دون الفحج ٠ والجحجاح : السيد ٠
(٢٥) الديوان ص ١٠٩ ٠
(٢٦) الشبا : من شبا ــ حد كل شيء ٠

وعارضٍ مَوتٍ احمرٍ بكرَتْ بهِ

سَراياهُ في يومٍ من النقعِ مسودِّ

فقُلْ لمِلوكِ الأرض دينوا لأمرهِ

ولا تتولّوا حائرين عَنِ القصدِ(٢٧)

ويمتدح شجاعة ابن الصاحب وهو يقول :

ويلٌ لأعدائهِ لقد سفِهوا

في الرأي فأستذأبُوا وهم نَقَدُ(٢٨)

ولو رأوهُ في جحفلٍ صعِقوا

أو شَهِدُوهُ في محفلٍ سَجدُوا(٢٩)

ولما يتمتع به جلال الدين أبو المظفر هبةالله بن محمد البخاري من عقل وعلو مكانة وسعة صدر ورحابة فناء وبسطة يد مع رجولة وقوة قلب في الوغى حيث يظهر كأسد الشرى فقد أهاجت أحاسيسه هذه المزايا فقال فيه :

وَقورٌ يَسُومَ جلستيهِ	اذا هَفتِ الحلومُ رَسَا
وتلقاهُ غداةَ الروْ	عِ في الهَبَواتِ مُنغمِسا
فليثُ شرى اذا أشرى	وطودُ حجىً اذا جلسا(٣٠)

ولا عجب أن يكون لشجاعة عضدالدين ابن رئيس الرؤساء سهم وافر من مديحه فايمانه به شديد واعجابه بقوة بأسه وثبات جنانه ملكت عليه عقله وعواطفه :

هو فارس اليوم العبوس وواهبُ الجرْدِ السوابق والخطيب المِصْقَعُ

---

(٢٧) الديوان ص ١٥٠ ٠

(٢٨) النَقد : جنس من الغنم قبيح الشكل ٠

(٢٩) الديوان ص ١٥٣ ٠

(٣٠) الديوان ص ٢٤١ والحجى : العقل ٠ الشرى : مأسدة قرب الكوفة ٠ وتطلق لفظة الشرى على الغابة أو عرينة الاسد ٠

بَطَــلٌ اذا حسر اللثــام لغـــارةٍ
طحن الفــوارس والجَنَـــانُ يُجَعْجِعُ
ثبــتٌ اذا غشيَ الــوغي مُتَــأيـــدٌ
عجـلٌ اذا سُئِل النـدى مُتَسَـرِعُ (٣١)

وناهيك ما تمليه نظرته الى الامام المستضيء من التقديس والاجلال ، لحسن اسلامه وشدة عطفه وشجاعته واتساع رقعة الإمبراطورية الاسلامية في أيام حكمه ، فقال متحمسا مثمنا هذه الصفات :

ملــك أطاعتــه الممــالك والقبــائل والطــوائفْ
بالمشـرفيات الراوعــــد والمُثقّفـة الرواجــفْ (٣٢)

ويُطري شجاعة عمادالدين بن رئيس الرؤساء :

ماضي الغِـرار اذا البيض الحـداد نبتْ
ثَبْتُ الجنَـــان اذا قلبُ الحليـم هفـا
يَستَلُّ من عزمــه في الـرَوْعُ ذا شُطَبٍ
عَضْبــاً ويَلْبَس من آرائـــه زغفـــا (٣٣)

ويصور بطولة عضدالدين فيقول :

لمـــا رأوك وأنــتَ أثبتُ منهـــــمُ
جأشـــاً وأفئـــدةُ الفــوارس تخفـقُ
ولّــوا على الأدبــارِ لا يـدرون أيهـــمُ الى ورد المنيــة أسبـقُ
وأدرتَهـــنّ كـــؤوس مـــوتٍ احمـرٍ
عـاف الشـراب بـــه العـــدو الأزرقُ

---

(٣١) الديوان ص ٢٦٥ ٠
(٣٢) الديوان ص ٢٨٢ ٠
(٣٣) الديوان ص ٢٩٣ ٠ الزغف الدرع الواسعة الطويلة ٠
شطب السيف ٠

يرتاع من ذكراك إن خطرت له
ويراك في حلم المنام فيفرق(٣٤)

وخير ما ننهي به تطوافنا في الشجاعة بما فاضت به قريحته في شجاعة وبطولة الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة :

اذا فُلّت البيضُ الرقاق وجدته
أخا عزمات غير ذات فلول
وتعنو له الحرب العوان لطول ما
تحطّم فيها من قنا ونصول
فان رفعت للحرب والجدب راية
رموها بأسْد منهم وشبول
ثقال على الأعداء لا يستخفهم
نوازل خطب للزمان ثقيل
تراع صدورُ الخيل والليل منهم
بفتيان صدق رُجّح وكهول
وسقت العدى سوقَ الرعاء ظوامئاً
لورد من الموت الزؤام وبيل(٣٥)

ولم ينس اخلاق الممدوح وكرمه فنصيب ذلك كثير في شعره فلنستمع اليه يتناول جود الصاحب الكبير وأخلاقه الحميدة :

ووفيٌ من سجاياه تعلَّمنا الوفاءا
فتراه كرَماً يُجزلُ للباغي العطاءا
ويدٌ ما خُلقت إلاّ لِتُغني الفقراءا(٣٦)

(٣٤) الديوان ص ٢٩٧-٢٩٨ . يفرق : يفزع .
(٣٥) الديوان ص ٣٤٥-٣٤٧ .
(٣٦) الديوان ص ٨-١٣ .

ومن مثل ذلك ما قاله في صلاح الدين :

تـؤم بحـراً تـلـقـى مـوارده الوفدَ بأهـلٍ منهـا وترحيب

فهو ملجأ الطريد وموئل العفاة المحتاجين :

ترتـع مـن ظلـه ونائلـه العفـاة في وارفٍ ومسكوبِ[37]

سحاب جـودٍ شيمنا بوارقـه فانهل مثعنجر الشآبيب[38]

ويشبه القاضي الفاضل بالليث في قـوة بطشه ومهابتـه ، ويشـبه كرمه لغزارته بالمزن المطرة ، فهو قبلة الطالبين ومنار المؤملين :

هـو الغيث إن عـمَّ جـدبٌ أثـاب

والليـثُ إن عـنَّ خطـبٌ ونـب

جـواد تـؤم مطـايا الرجـاء الى بابـه وركاب الطلب

فـلا ظـلُّ أحسـانه قالص

ولا شمسُ معـروفه تحتجب[39]

ويقول في قصيدة اخرى :

يقطر ماءُ البشر من وجهـهِ لا خـيرَ في وجـهٍ بـلا بِشرِ

أحسـانه يتبـعُ أحسانَهُ تتـابعَ القطـرِ على القطـرِ

منجـرٍ الى السـؤدد ، آراؤهُ تفلُّ عزمَ العسكرِ المجـرِ[40]

وتفجرت أحاسيسه باحسان عمادالدين وكثرة نداه ، فالكرم دأبه ، والأخلاق الفاضلة التي لا تطمع ولا تقطع حليته :

فتىً أمسى لـه الاحسـانُ دأبـاً

ومالـي غـير شـكر نـداه دأبُ

---

(37) العفاة : الطالبون .

(38) الديوان ص 21 ، 22 ومثعنجر الشآبيب : المطر المنهمر بغزارة . وشام البرق : نظر اليه اين يتجه وأين يمطر .

(39) الديوان ص 28 ، 29

(40) الديوان ص 193 : العسكر المجر : الجيش العظيم .

لـــه سَجْلانِ من جـــودٍ وبــــأسٍ

وفي أخلاقـــــه شُـــــهدٌ وصــــابُ(٤١)

اما الامام الناصر فهو عنده في كرمه فوق كل كريم وفي شجاعته وقوته فوق كل شجاع :

محمـــــودةٌ يـــومَ النــــدى آثــــارُهُ

مَعروفَـــةٌ يـــــومَ الـوغى كَـــرّاتُهُ

واذا جفـــا الغيثُ البـــلادَ فامسكَتْ

أن تســـتهلَّ عـلى الثـرى قَطَـــراتُهُ(٤٢)

والامام المستنجد معطاء طبعا ويمنح العفاة قبل السؤال لانه يرى ان العطاء بعد السؤال عار يدل على تردد المسؤول ازاء السائل وحبه للمال • والمستنجد فوق هـــذا :

جَـــوادٌ اذا لـــم يـكن يبتــــديكَ

قبـــل السؤال رأى الجـــودَ عــــارا

أمـــاتَ الســؤالَ وأحيـــا النَـــوالَ

وراضَ الجِماحَ وخـــاض الغِمــــارا

يَـــرَى البـــأسُ والجـــودُ أقـــلامَهُ

فطـــوراً نجيعـــاً وطـــوراً نُضـــارا(٤٣)

وتربطه مع الأمير شمس الدين محمد بن أبي المضاء رسول صلاح الدين صداقة وبينهما مودة وكان هذا يجزل له العطاء ، فقال يمدح نداه :

شُكري لِسَيْبِ نَوالكَ الغَمْرِ شـــكرُ الرياضِ لوابل القَطْرِ
يا من أمِنْتُ بجـودِ راحتـه ما كنت أحـذرُه مـن الدهـــرِ
بنَـداكَ يا ابنَ أبي المَضاءِ مضى عنـا زمـانُ البـؤسِ والعُسْرِ

(٤١)الديوان ص ٣٧ • والسَجْل : الدلو •

(٤٢) الديوان ص ٦٥ـ٦٦ •

(٤٣) الديوان ص ١٧٨ • النُضار : الذهب والفضة • والنجيع : الطعام والشراب•

ولم يُبقِ لغيره شيئاً في قوله :

رَبُّ السماحةِ والفصاحةِ والاقـدام والمعـروف والبِشـرِ(٤٤)

ولاشك أن عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة رجل فاضل وجواد كريم فهو يصوره رب الجود ولم لا وباب داره مفتوح للمحتاجين وفناؤه مرتع للطالبين والعفاة :

عـدلتُ بهـا عن قائـلٍ غـيرِ فاعـلِ
الى ربِّ جـودٍ قائـلٍ وفَعـولِ
كثـيرٍ اذا قـلَّ الحِبـاءُ حِبـاؤهُ
وفيٍّ اذا عـزَّ الوفـاءُ وَصُـولِ(٤٥)
الى بحـرِ جـودٍ بالمواهبِ مُزْبِـدٍ
وصـوبِ حَيـاً بالمكرُمات هَطُولِ(٤٦)

ولنقاوة العِرض وطهارة المَحْتِد وعراقة الحسب نصيب مهم في شعره ، وذلك واضح في مدحه صلاح الدين :

الطاهرُ الخيمِ والشَمائلِ والأعـراق والجَيْب والجلابيب
نجلُ أسـود الشرى الضـراغمِ والنجيبُ يُنْمَى الى المناجيبِ(٤٧)

وقال في القاضي الفاضل :

وقَى عِرضَـهُ وحمى جـارَهُ وأموالـه عُرضـةٌ تُنْتَهبْ(٤٨)

وهو يفخر بمحتد آل الرُفيل وطهارة حسبهم من ذلك قوله في عضد الدين :

من معشـرٍ جمـع العـلاء طِـرافُ بيتهـم الممـدَّدْ
قـومٌ مآثـرهم تَعُـدُّ الزاهـراتُ ولا تعـدَّدْ

---

(٤٤) الديوان ص ١٨٥ ٠

(٤٥) الحِباء : العطاء بلا جزاء ولا من ٠

(٤٦) الديوان ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ٠

(٤٧) الديوان ص ٢٠ ٠

(٤٨) الديوان ص ٢٩ ٠

سـحبوا أنابيب القَنـا ومضاعفَ النسج المُسرَدْ(٤٩)

ومثل ذلك قوله فيه :

فضلَ الورَى شرفاً كما فضلَ السِنان الأكعبا
وشآهم بيتاً قديماً في الفخار ومنصبا(٥٠)

وتفيض عواطفه في مآثر ابن الصاحب وما حواه حسبه من اصالة :

ينمى الى البيض المساعير طابَ خيمهمُ فطابوا(٥١)
في غير ما تزكو به الأحساب ليس لهم حسابُ(٥٢)

ويحلق به الخيال في اجواء كرم أبي الفتوح عبدالله بن المظفر وهو من اسرة آل الرُفيل أصدقائه واللائذ بحماهم فيقول :

هَزِجٍ تُغنينا بمدْح أبي الفتوح أخي السماحِ
القَرْم ذى العِرض المصونِ حماه والعَرْض المُباح(٥٣)

وتكاد لا تخلو مدحة من مدائحه من الفخر بشاعريته وشعره ، فلنستمع اليه يصف شعره بالمخلوق من المعاني والالفاظ والابداع والتفرد به وانه يهز السامع فينتشي لما فى حرائره من سحر ، نقرأ ذلك في مخاطبته المستضيء :

واستمعها عذراءَ ما مُدِحَتْ قبلك يوماً بمثلها من الخلفاءُ
حرةٌ مَحْضَةً وما زالت الأشعار منها لقائط وإماءُ
كالمُدام المشمول يَحدُثُ في عِطف السخيّ الكريم منها إنتشاءُ(٥٤)

ويصف قوافيه بالغرز وهو يخاطب الصاحب الكبير :

ينتقي غُررَ القوافي لك والمدحَ انتقاءا(٥٥)

(٤٩) الديوان ص ١٢٥ .
(٥٠) الديوان ص ٤٢ . شأى : سبق .
(٥١) الخيم : السجية والطبيعة .
(٥٢) الديوان ص ٥٦ .
(٥٣) الديوان ص ٨٩ .
(٥٤) الديوان ص ٦ .
(٥٥) الديوان ص ١٢ .

ومعاني شعره درر تقرأ له ذلك من قصيدة في عضدالدين :

ألم أنظِمْ لكم دُرَرَ المعاني ألم أنسجْ لكم حُلَلَ الثناء(٥٦)

وينعتها بالعرائس العربيات كما جاء في مدحه القاضي الفاضل :

عرائسَ ما كنتُ في نظمها بخابط ليلٍ ولا مُختَطِبْ
من العربيات لَمَّا يُزَنّ والدُهنّ وأمّا يخِبّْ
فأضحتْ بهنّ صدور الرواةِ مملوءةً وبطونُ الكتبْ(٥٧)

ويباهي بشاعريته أمام عضدالدين يقول :

أيطمع في إدراك شأوي مُفْحَمٌ
وأين الدنيُّ النِكسُ والفاضل الندبُ(٥٨)
ينازعني علم القوافي وأنّه
ليجهلُ منها ما العَروضُ وما الضربُ

ويلتفت الى نفثاته فيقول :

ودونك من وشي القوافي حبائرٌ
لأذيالها في مدحكم أبداً سَحْبُ
هي الدرُّ في أصدافها ما طويتَها
وأن نُشِرتْ فهي اليمانية القُضْبُ(٥٩)

ويسبغ عليها صفات الكمال وخلوها من عيوب الشعر وهو يخاطب عمادالدين :

فدونك مُحْصَنات من ثنائي
نواهدَ لم تُزَنْ ولا تُعابُ
ثناءٍ مثلِ أنفاسِ الخُزامى
أربَّ على حواشيه الرَّبابُ(٦٠)

---

(٥٦) الديوان ص ١٤ ·

(٥٧) الديوان ص ٣٠ ·

(٥٨) النكس : الهيابه · الجبان المتردد · والندب : النجيب ·

(٥٩) الديوان ص ٣٤ ·

(٦٠) الديوان ص ٣٨ ·

وينعتها بالغرابة والبهاء كما في مدحه الامام الناصر :

فتحتُ فمي منه بكل غريبة
هي النورُ نور الأُقحوان المُفتّحُ
ولا غَرْوَ بالورقاء في رونق الضحى
يَرِفُّ لها عود الأراك فتصدحُ(٦١)

ولنستمع اليه يزفها بدوية تتبختر بثوب زاه قشيب الى ابن الصاحب :

فاجتَل البكرَ زهت حسناً على البكر الرّداحِ(٦٢)

من قوافٍ محكماتٍ عربيّاتٍ فِصاحِ
بدوياتٍ ولم تُغْذَ بألبانِ اللقاحِ
ما اطاعت خاطباً قبلكَ في عقدِ نكاحِ(٦٣)

وقصيدته عذراء خالدة لم تدنس بسؤال بكر لم تكرر ولم تردد اذ يخاطب صلاح الدين فيقول :

وانصتْ لها عذراءَ بيتُ العُلى بمثلها والفخرُ ممدودُ
تفنى العطايا ولممدوحها في الناس تعميرٌ وتخليدُ
لم تَتَدنَّسْ بسؤالٍ ولا أخلقها كرٌّ وترديد
نقائلٌ منها الحَصان التي لم تبتَذلْ والكاعِب الرُؤدُ
إن فاتني الحظ فما فاتني فيهنَّ إحسانٌ وتجويدُ(٦٤)

ويسبغ عليها حلة قشيبة من وشي العصر مع اعتزازها ببداوتها وعروبتها وفصاحتها نقف مع ذلك في مدحه الامام الناصر :

واستَجْلِ من غُرَرِ المديح غريرةَ
ما آبَ تاجرها بصفقة خاسرِ

---

(٦١) الديوان ص ٨٢ ٠

(٦٢) الرداح : جمع ردح : ثقيلة الالية ٠ الردف ٠

(٦٣) الديوان ص ٨٤ ، ٨٥ ٠

(٦٤) الديوان ص ١١١ ٠

بـــدوية حضـرية فاحــكم لهـــا
بفصـــاحة البـــادي ولُطْف الحاضـــر
جـاءتكَ تَرفـُــل في ثيـابِ جمالهـا
في وَشْـي أفـوافٍ لهــا وحبـــائرِ(٦٥)
فتَمثّلت بمعنىً رائـــقٍ أنـا أمّـــة
في نظمـــهِ وحـــدي ولفـظِ ســاحرِ(٦٦)

ونتلمس له هذا الفخر والمباهاة في مدحه الامام المستضيء اذ أصبحت أغنية المقيم والظاعن ولم يسبقه الى هذا الإبداع أحد بعذوبة الفاظها وسحر معانيها :

غـرائبُ تَسـري في البـلاد شـواردآ
يُغنّي بهـا الحادي ويشدو بها السَفْرُ
سـبقتُ اليهـــا القـــائلين فورِدُهـم
نقـــائع من أوشـــالها وليَ الغَمْـــرُ
فـدونك ألفـــاظآ عـذاباً هي الرُقى
اذا طرقتْ سـمعاً ومعنى هـو السـحرُ

وقد جمعت الى القوة والجزالة الرقة والبضاضة :

لهـــا رِقّـــة في قـــوّةٍ وجزالـةٍ
هي المـاء مقطـوبٌ بسلسـاله الخمرُ(٦٧)

ويختتم أغلب مدائحه بالدعاء للممدوح نقرأ في نفثته التي يدعو لصلاح الدين بنعمـة دائمة وسـعادة :

فاسحَبْ ثيابَ سـعادةٍ فَضْـلاً لسابغها عن ظَهرِ المجرّةِ مَسْحَبُ

---

(٦٥) افواف جمع فوف . يقال : ثوب مفوف : ثوب رقيق أو ثـوب فيه خطوط بيض على الطول . أو قطع القطن البيضاء .

(٦٦) الديوان ص ١٧١ .

(٦٧) الديوان ص ١٧٧ .

وتَمَلَّ ما اخْوِلْتَهَا من دولةٍ غراءَ طالع سعدها لا يغرُبُ
في نعمةٍ أيامُها لا تنقضي وسعادةٍ سلطانُها لا يُغلَبُ(٦٨)

وتنساب دعواته عن قلب يسح بالحب للقاضي الفاضل صديقه بحياة وارفة الظلال يزهو بصحة وملك دائمين :

فلا زلتَ وارثَ عُمْرِ الزمانِ
تُبلِي ثِيابَ البقاءِ القُشُبْ
تُبشِّرُ ملكَكَ أعوامُهُ
بِكَرِّ السنينَ ومرِّ الحِقَبْ(٦٩)

وأحسب ان عواطفه من حقها أن تنطلق هائمة في عالم الملكوت طروبة تدعو لأعز انسان الى قلبه بدوام السلطان وقوة الجنان وسعة فناء دار بالعفاة وقصاد كرمه وجاهه تزدان وهو يخاطب عضدالدين :

ولا زلتَ مرهوب السُطا واكفَ الحيا
حُسامك لا ينبو ونارُكَ لا تخبو(٧٠)

ويمثل هذه الاحاسيس يدعو لعمادالدين بن المظفر بالسعادة ودوام العز :

فأسحبْ ذيولِ سعادةٍ تَثْني عدوَّكَ أخيبا
يُمسي لسابغِ ذيلها ظهرُ المجرَّةِ مَسْحَبا(٧١)

وكيف لا يدعو للامام الناصر وهو أعظم خليفة ، قوة وهيبة وسهراً على الرعية وحباً للشعر والشعراء والأدب والادباء بأيام مغمورة بالسعادة التي لا تبلى أثوابها ولا يزول نعيمها :

---

(٦٨) الديوان ص ٢٧ .
(٦٩) الديوان ص ٣٠ .
(٧٠) الديوان ص ٣٥ .
(٧١) الديوان ص ٤٢ ، ٤٣ .

وأطاعكَ الفلكُ المُدارُ ولا جرتْ
إلا بما تختارهُ حركاتُهُ
وتملّهُ عيداً مباركةً عشا
ياهُ عليك سعيدةً غدَواتُهُ(٧٢)

وقوله :

فلا زلتَ ذا ظلٍ على الأرض وارفٍ
مديدٍ وذا عُمْرٍ مع الدهرِ مُمتدِ(٧٣)

وفي مثل ذلك يدعو للجهة الشريفة بنعيم دائم واقبال مجدد لشباب الدولة وبالنصر الذي يغيظ الحاسدين ويقهر الاعداء :

ولابرحَ البقاءُ لهُ مُطافٌ بِسُدّةِ مُلكها من كل جانبْ
وألبسها النعيمُ لباسَ عزٌ على أيامها ضافي المساحبْ
باقبالٍ تجددُهُ الليالي لدولتها وتخدمه المواكب
وجدٌ يخفضُ الحُسّادَ عالٍ ونصرٍ يقهرُ الأعداءَ غالبْ(٧٤)

وحبه لابن الصاحب أكل حُشاشة قلبه فكيف لا يدعو له بدوام المسرات ولاعدائه بكل ما ينقص من كرامتهم ويزيد في اذلالهم :

وابقَ ما آذنَ صُبْحٌ بابتسامٍ وابتهاجٍ
وغدت أعراضُ أعدائكَ اغراضَ الأهاجي(٧٥)

وفي مثل ذلك قوله يدعو لابي الفتوح عبدالله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء بالنجاح الدائم وبالافراح والسعادة :

لا زلتَ تَسْحَبُ في الأمورِ عليك أذيالُ النجاحِ
تعتادكَ الأفراحُ ما بين الغُدُوِّ الى الرَّواحِ

---

(٧٢) الديوان ص ٦٨ .
(٧٣) الديوان ص ١٥١ .
(٧٤) الديوان ص ١٧ .
(٧٥) الديوان ص ٧٣ .

فتَظَلُ ما بين اغتباقٍ بالسعادة واصطباحِ(٧٦)

ودعاؤه لمجاهدالدين قيماز نابع عن حب صادق :

مددتَ على البلادِ جناحَ عدلٍ

فعش ما امتدَّ للظلماء جُنحُ(٧٧)

وفي مثل ذلك تتبجس عواطفه للامام المستنجد :

فلا زال يُبلي لبُوسَ الزمانِ

وينضوهُ ما كرَّ فينا ودارا

تؤمُ وفودُ التهاني حِماهُ

كما أمَّ دُفاعُ سيلٍ قرارا(٧٨)

ودعاؤه لجلالالدين أبي المظفر هبةالله بن محمد البخاري :

سعادةً تبقى بقاءَ الدهرِ

في خفْض عيشٍ وارتفاعِ قدرِ

ما افتَرَّ ليلٌ عن بياضِ فجرِ

وما دعتْ هاتفةٌ في وكرِ(٧٩)

ولمديحه اهمية وقيمة عالية فهو يرفع القدر وينشر الذكر ويسري بين الأنام سريان النار في الهشيم ، فلا غرو أن يعجب (ابن دقيق العيد) (٨٠) بقصيدته التي مدح بها القاضي الفاضل عبدالرحيم سنة ثمانين وخمسمائة الهجرية اذ قال « لو مُدحتُ بهذه القصيدة أجزتُ عليها بألف دينار » ومطلعها :

---

(٧٦) الديوان ص ٩١ .

(٧٧) الديوان ص ١٠٤ .

(٧٨) الديوان ص ١٧٩ .

(٧٩) الديوان ص ١٨١ .

(٨٠) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع الإمام العلامة شيخ الاسلام قاضي القضاة تقيالدين أبو الفتح ابن الشيخ الامام مجدالدين المعروف بـ (ابن دقيقالعيد) ولد سنة ٦٢٥ في مصر وتوفي سنة ٧٠٢هـ ودفن في سفح المقطم (الوافي بالوفيات ورقة ٩٥٧ جـ ٢) .

مـرّتْ بجمـعِ ليلـةَ النَّفْـرِ

تجمـع بـين الاثـم والأجـرِ(٨١)

أدمـاءُ غـراءُ هضيـمُ الحشـا

واضحـةُ اللّبـاتِ والنحـرِ

جـاءت تُهـادي بـين أترابِهـا

كالنجـم بـين الأنجـمِ الزُّهْـرِ(٨٢)

ففيها الحكمة والنظرة الواسعة الى الحياة وفيها التحامل على الدهر الـذي نَبا بهِ وأثقله بمآسيه ونكباته وفيها مجموعة من الاغراض مع حسن الانتقـال الذي لا نتحسس معه الا بالجمال والسيولة والبضاضة ·

ولعل من المفيد قبل أن نبرح هذا الغرض أن نقف مع قصيدته التي يمدح بها الإمام الناصر لدين الله ونمتع بحسن الانتقال بين ومضات عواطفه :

لـو أن قلبكِ مثـلَ قلبي مُغـرمُ

لـم يُثنِ عَطْفَكِ ما يقولُ اللُّـوَّمُ

فقد بدأها بالغزل كعادته وراح في مناجاة فاتنته ويتهمها بالرياء في حبهـا ودليله على ذلك تأثرها بلوم اللائمين فتركته يئن والقلب منـه مثقـل بالجـراح والعين يهمع دمعها مدرارا ويطلب زيارتها ليشفى :

لـكنْ عَـدَتْكِ صَـبابتي فأطعتِهِـم

شـتانَ خـالٍ قلبُـه ومُتَيَّـمُ

عـودي مريضـاً في يديكِ شِـفاؤُه

إشْـفي وأنتِ بمـا يُـكابِدُ أعلَـمُ

ثم ينتقل الى الشكوى من الحب ومآسيه وما يفعل بقلوب العاشقين ويخاطبها :

---

(٨١) ورد صدر البيت في نكت الهميـان ص ٢٥٩ (مرت بنا في ليلة النفـر) والصحيح ما جاء في الديوان لمطابقته المخطوطة ورقة ١/٨٤ ·

(٨٢) الديوان ص ١٩٠ـ١٩٧ ·

أو فاحسمي شكواه من داءِ الهوى

إن كانَ داءُ هواكِ مما يُحسَمُ

وان لم تستطيعي وصلي فَعِدي بارسال طيفك اليَّ أبل شوقي وأطفىء ناراً تستعر بين حنايا ضلوعي :

وعِدي بوصلكِ في المنام لعلّها

ترجو لقاءَكِ مقلتي فتهوِّمُ

ثم يدلف الى الشيب ويحملها وزر ظهوره في عارضيه :

أعرضتِ عن شيبي وأنتِ جنيتِهِ

نفسَي الفداءُ لمجرمٍ يتحرَّمُ

وتنتهبه ذكريات شبابه حين كان قوي الجسم طلق الصبا :

إمّا ترَيْني جاثماً فلطالَما

ركضتُ أنجِدُ في البلاد وأتهِمُ

وجررتُ ذيلَ شبيبتي وخلاعتي

واستمنتُ خيلَ بطالتي لا اسأمُ

وينعطف في انطلاقته على الدهر وبما رماه به من خطوب :

دهرٌ رماني في قرارة منزلٍ

ضنكٍ نهاري فيه ليلٌ مُعتِمُ

وباجمل اسلوب ينتقل الى مدحه الإمام الناصر :

أنا يا زماني أن تطأ من منكبي

ضرعاً لظلمكَ من خطوبكَ اظلَمُ

هيهاتَ لا يعيا بحَمْلِ عظيمةٍ

من كان ناصرهُ الإمامُ الأعظَمُ

فبهذه السلاسة والبراعة ينفذ الى غرضه ، ثم يتناول وجوه عظمة الناصر التي يقاتل دونها ملائكة السماء :

نصرتُـــهُ أمـــلاكُ السـماءِ فمُـرْدِفٌ

منهـــم يُقـــاتلُ دونـــهُ ومُسَـوَّمُ

ويذهب في مدحه الى جمعه بين الدين والدنيا خشوعاً وتقى ويصف شجاعته واقدامه :

الخاشِـــعُ الأوابُ يَقْـــدُمُ حاسِـراً

في الـروع وهـو عن المحـارمِ مُحْجَمُ

ويصف قوة رأيه وثباته :

رأيٌ يَفِـــلُ البيضَ وهي حـــدائدٌ

وَسُـطاً تَـرُدُّ الجيش وهو عَرَمْرَمُ

ويصف ما أسبغ عليه الله جل جلاله من علو المكانة حيث تجلبب برد الرسول الأعظم وحمل سيفاً لا يقهر ولبس خاتم الخلافة :

بُـــرْدٌ وسـيف لا يَفِـلُ وخاتِـــمٌ

فَمُجَلْبَبٌ ومقلَّـــدٌ ومُخَتَّـــمُ

ولم يغفل في مدحه عن عدله وكرمه :

مَلِكٌ لـه عدل وجـود يَعْـدِمُ المظلومُ في يوميهِما والمُعدِمُ

ويروح الى يقظته وسهره على رعيته فيوليها من هذا الاطراء :

مُتَيقظٌ يـرعي الـرعايا طرفُـــهُ

وهُـمُ رُقـودٌ في المضاجعِ نُـــوَّمُ

ويصف جيشه وقوته وشدة بطش قادته وجنوده :

وكأنّ إيمـاضَ السـيوفِ بـــوارقٌ

وعجـاجُ خَيلِهـم سـحابٌ مُظلَمُ

والناصر يعمل على نصرة الدين الإسلامي الحنيف وذلك همه الشاغل ، فلابد أن يذكر له هذه المزايا الحميدة :

عزمـــاتُ منصــورِ السرايا هَمُــــهُ

في نُصْرةِ الـــدينِ الحنيفِ مقَسّمُ

مُتبســـمٌ يـوم النـــدى لِعُفاتـــهِ

كَـرماً وفي وجْـــهِ الزمـــان ِ تجهّمُ

ويلوي عنان مديحه الى آبائه وأجداده :

قومٌ على أبياتهم تتنزل الـــ أمــلاكُ والمبعوثُ أحمدُ منهـــمُ

وينعطف في آخر قصيدته الى الفخر بشعره :

وانصتْ لهـا حضريـةٌ بـدويّةَ الأنسابِ لم يُفتـَحْ بشرواها فمُ

وشعره خلاصة مزج القديم بالحديث فجاء مبتكرا لم يسبق اليه في الخلق والابداع والفصاحة :

مـا جـاورتْ ريفَ العـــراق وأنهمّـا

بلســـانِ حاضـرِ طـيءٍ تتكلّـــمُ

لم يَمـدَحِ الخلفــاءَ قبـلُ بمثلهـــا

فيمــا روينـــاهُ الوليــدُ ومُسلِـمُ(٨٣)

ويدعو في ختامها للامام الناصر بدوام ملكه وبسعادة لا تنغّص :

خـدمٌ تزورك في المواســـمِ لا خَـــلا

منهـا ولا مــن ظـــلِ مُلكك موْسِـمُ(٨٤)

وقد وجدنا فيه عواطف مؤججة وهو منساب في حسن الانتقال بين لمحـــات خاطره بلا نبو ولا اضطراب ٠

---

(٨٣) الوليد : هو الوليد بن عبدالله الطائي الملقب بالبحتري شاعر العصر العباسي في القرن الثالث الهجري (٢٠٦ــ٢٨٤) ٠ ومسلم بن الوليد الشاعر العباسي المشهور في القرن الثالث الهجري ٠

(٨٤) الديوان ص ٢٧٠ــ٢٧٤ ٠

٢ ـ الغــزل :

لسبط ابن التعاويذي في الغزل والنسيب قصائد ومقطوعات على جانب كبير من الجودة ، حيث يظهر فيها فنه في اختيار الالفـاظ ذات الموسـيقى التي تلعب بعواطف السامعين لجمال الجرس وحلاوة الإيقاع ووضوح المعنى ·

وغزله أما أن يستهل به مدائحه فهو ينعش الممدوح بما يسبغ على الجو من تلطيف ـ وغالبا ما يكون هذا النوع تقليديا ـ ولكن براعته ومهارته وروحه الندية تجعل لهذا الغزل قيمة وتظهره انسانا سلبته الغيد الحسان قلبه · وأما أن يأتي على شكل قصائد ومقطوعات مستقلة وله منها سبع عشرة قصيدة ومقطوعة في ديوانه المطبوع وفي المخطوطة المكية قصيدة بلغت أكثر من ثلاثة وعشرين ومائة بيت ، وهذا ما لم نعرف لها نظيرا في الادب العربي الذي يتميز شعر الغزل فيه بقصر القصائد ويختفي فيها طول النفس ، قال في رائية مطلعها :

شـرّدَ عـن عيني الـكرى ... طيفٌ لظميــاءَ ســرى
أظفـرني منهـا بقَصــوى ... أملـــي ومـــا درى
بـــات يُريـنـي مِغــــزلا ... من الظِبـــاء أحــــورا
كأنمـــــــا روّعَ في ... كِناسِـــه ونفّــــرا
مـالَ بـهِ سُكرَ الشبا ... بِ أهيفـــاً مُخصّــــرا(١)

وفي غزله ما يسحر القلب من تشبيب بمحاسنهن وهيام بقدودهن وصدورهن وأردافهن وعيونهن فهو يتهاوى أمام هذا الجمال ، فيكاد السامع يقتنع تمام الاقتناع انه مغرم شديد الغرام متوله هيمان ، بيد أننا لا نقتنع بذلك ، فغزله تقليـدي يزجي به في أول قصائد مديحه لتطرية النفوس وتلطيفها قبل أن ينفذ الى غرضه ، ولا أدل على هذا من أنها متقاربة في المعنى متشابهة في الصياغة متجانسة في بعض الكلمات التي نجدها مكررة في غزله الذي يبدأ به مديحه(٢) ، غير اننا لا نخفي

---

(١) المخطوطة ورقة ١٠٨/١ ·

(٢) يلاحـــظ ديوانـــه الصفحـــات ١٨ ، ٣١ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ·

ما به من صبابة في بعض مقطوعاته من حب تمكن منه وسلبه لُبَّه' فأبي عليه أن ينتقل عنها الى غيرها لأنها على جنايتها عليه بخلفها الوعود فهي محببة الى القلوب :

رُمتُ التنقلَ عن هواه فلم أجدْ لي مذهبا
جانٍ اذا عاتبتُه فيما جناهُ تعتّبا
أمسى على ما كان منه من الجفاء مُحببا(٣)

وتبدو صوره الجميلة المبتكرة مع جدة تبعد عنها علامات التكلف والابتذال ، وهو يصف العاشقين المدلهين وما تضطرم به بين حنايا ضلوعهم من نار الشوق وأوار الحب الذي أكل حشاشات قلوبهم وهذا ما لم يطرقه الا القليل من معاصريه من الشعراء ، وتبرز البادية في غزله واضحة بما تركته من آثار فهو يحيي دار الأحباب التي طال عليها الزمن وكادت رسومها أن تندرس :

وقفت بها اُسائلُ دِمنتيها على عَيّ الرسومِ فأفهمتني(٤)

وتنهمر الدموع من عينيه غزارا ويظهر صَبّا دنفا وهو يسأل الاطلال ويستنجد بها لتدله على وجهة رحيل من أحب :

اذا استنجدتُ في الأطلالِ دمعاً
تخاذلت الشؤونُ وأسلمتني(٥)

وفي غزله ألفاظ جاهلية كأنه ما يزال يعيش في الصحراء يحدو الابل وينتقل عليها من مكان الى آخر أو تركته حبيبته فيتألم لفراقها وتتصاعد الزفرات على بينها والحسرات على أيام الوصال :

ودعّتُ عِيسَهم فيا للهِ ما صَنعتْ بقلبي ساعةَ التوديعِ(٦)

---

(٣) الديوان ص ٣٩ .
(٤) الدِمن جمع دِمنه . وهي حجر أحد ثلاث أحجار يوضع عليها القدر فيضرب لونه من أثر الدخان الى السواد . الرسوم جمع رسم : الاثر . وهي الرسوم : التي لا تجيب . منها قوله :
وتسآلي بخيلاً لا يلبّي دُعايَ ورسمَ دارٍ لم يُجبني
(٥) الديوان ص ٤٤٠ . الشؤون : ما عظم من الامور والاحوال .
(٦) الديوان ص ٢٧٤ .

أو يذكر اماكن في الجزيرة عرفت عند العاشقين وذكرت في شعر المحبين كالأراك والعتيق والابرق والجزع وغير ذلك :

ألا حبّذا وادي الأراكِ وقد وشتْ
بريّاكَ ريحا شمألٍ وقبولِ(٧)

فهو يذكره باعتدال هوائه الذي يبوح بهما ويشي بما يحمله في طيات نسيمه العليل من أريج الحبيبة . ويتذكر لقياه مع ظبيه النفور وهما يتطارحان الغرام ويتناجيان على رمل العقيق فتهيج شجونه ويتفجر صدره بكوامن الشوق والحب الدفين ويدعو الله أن يسقي ذلك المكان بغيث مسكوب :

سقى الله العقيق وأن شجَتْني
صباباتٌ اليه وادكارُ
ففي عُقُداتِ ذاك الرملِ ظَبْيٌ
نَفُورٌ ما أنِستَ به نَوارُ(٨)

ولا ينسى مكانا يسمى بالابرق وما جلبه عليه غزاله الذي هجره وصرم حبل وده من ألم ممض وأرق دائم ويرجو أن يرق غزاله لحاله ويجتمع به بعد نأي وفراق :

عسى غزالُ الأبرقِ يَرِقُ لي من أرقي
وتجمعُ الأيامُ من شملِ هوىً مُفرَّقِ(٩)

وتنتهبه ذكريات « الجِزع » الذي أودع فيه قلبه فتنحدر دموعه صبابات تسفح على ذراه :

وكم غادرت بالجِزعِ قلباً بذكرها
جزوعاً وعيناً في ذرى السفح تَسفَحُ

---

(٧) الديوان ص ٣٤٤ .
(٨) الديوان ص ٢٠١ .
(٩) الديوان ص ٣٠٩ .

فلا رقأت غزر الدموع وقد نأت

ولا برح القلب الغرام المبرح[10]

وقد أحب في الانثى كل ما كان يبعث على الوحي والشاعرية ، فقد هام بالثغور ولذيذ ما يرتشف منها من شهد حلو المذاق وامتصاص رضاب مسكر كالخمر :

فضممت لدناً ناعماً ولثمت عذباً أشنبا
باتت مجاجته أرق من المدام وأعذبا[11]

ومثل ذلك قوله :

وبثغر طيب النفحة معسول المجاج[12]

ويتغنى في وصف المراشف :

وأغن معسول المراشف كالبدر مصقول السوالف[13]
فلثمته حلو اللمى وضممته لدن المعاطف[14]
وغنيت عن كأس المدا م بما أدار من المراشف[15]

وقد شغف بالسمراوات وجاء ذكرهن كثيرا في غزله :

بات بها الأسمر من سماري

مطرز الخدين بالعذار[16]

ومثله قوله :

من لي بأسمر لا يبل طعينه

في جفنيه للفتك أبيض ماضي[17]

(١٠) الديوان ص ٧٨ . رقأ الدمع : جف وانقطع .
(١١) الديوان ص ٣٨ .
(١٢) الديوان ص ٧١ .
(١٣) السوالف جمع سالفة .
(١٤) اللمى : سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن .
(١٥) الديوان ٢٨١ .
(١٦) الديوان ص ٢٢٦ .
(١٧) الديوان ص ٢٤١ .

ويذكر جرأته ووفاءه رغم الوشاة :

بأبي الأسمرُ الغريرُ وقد بات على غِرّة الوُشاةِ سميري(١٨)

وهام وجداً بالعيون ، فكثيرا ما شبهها بالسيوف بفتكها :

بلحظٍ مثلِ نصلِ السيف ماضٍ
وقَدٍّ كاعتدالِ الغصن لَدْنِ(١٩)

ويصورها أشد فتكاً من السيوف بل أمضى من السيوف في طعن الهدف :

لكَ طرفٌ تعلّمَ السيفُ منْ لَحظه المضَا
كلَّ يومٍ يُسَلُّ ظُلماً علينا ويُنتضَى(٢٠)

وتشبيه ألحاظ حبيبته بألحاظ الغزال :

هل للغزال اذا رَنا ألحاظُه
أو للقَضيب اذا انثنى خَطَراتُه(٢١)

أو انها قاتلة كالنبال والسيوف :

أصمَيتَني بلواحظٍ يومَ النوى
صحّت وأجفانٍ لهنَّ مِراض
من لي بأسمرَ لا يُبلُّ طعينه
في جَفنه للفتك أبيضُ ماضي(٢٢)

وقد كثرت تشبيهات العيون بالجوازيء على ألسنة شعراء العصر وحذا شاعرنا حذوهم في ذلك :

---

(١٨) الديوان ص ١٦٢ .
(١٩) الديوان ص ٣٨٦ .
(٢٠)الديوان ص ٢٥٥ .
(٢١) الديوان ص ٦٤ .
(٢٢) الديوان ص ٢٤٩ .

وعلى الجيزع دُمىً يسفكنَ باللحظِ الدماءا

فاخشَ إن سلّت ظُبا أجفانها تلك الظباءا(٢٣)

يا لها من مُقل علّمت الناسَ الرماءا

جازياتٍ ليس يَغرمنَ على قتلي الجزاءا(٢٤)

وكثيرا ما تظلّم من مطل حبيباته ومينهن :

أولعت بالغدر في أيمانها

ووفت بالوعد في هجرانها(٢٥)

ومثله قوله :

حتّامَ مَطلُكَ يا ظلوم ما آن أن يُقضَى الغريم(٢٦)

ويناجي طيف من يهوى لعله بذلك يطفيء وقدة الغرام :

وطيفِ خيالٍ بات يؤنِس مضجَعي

بواردةِ الفَرعيَن ورديّةِ الخدِ

وطاف برَحلي عائداً لي وزائراً

فأعدى بِزُورِ الوَصل منه على الصّدِ(٢٧)

وفي مثل ذلك قوله :

تأوّبني فأرّقني خيال

سرَى للمالكية بعد وَهْنِ

دَنا بمزارها من بعد شَحط

وجادَ بوصلها من بعد ضِنِ(٢٨)

---

(٢٣) الظُبا : حد السيف أو السنان .

(٢٤) الديوان ص ٩ .

(٢٥) الديوان ص ٤٤٤ .

(٢٦) الديوان ص ٣٧٦ .

(٢٧) الديوان ص ١٤٩ .

(٢٨) الديوان ص ٤٣٩ . شحط : تباعد .

وفتن بالقدود كما افتن بالخصور والأرداف :

لقــــد حَملنَ الوزر الثقيلَ عـلى
لِــين قُــــدود وضُعف تـركيب(٢٩)

ويشبه قدها المجدول بخوط اراكة أو قضيب رطيب :

وَأَغَنّ مجـدُول القَـوام يهـُـزُّه
سَــكَرُ الصِبـا وتُميلُه نَشَـواته
قالـوا غـزالُ نَقاً وخُـوط أَراكَـة
ظَلَمــوه أيــن صِفاتُهـا وصفاتـه(٣٠)

ويشبهه قوله :

وَمُميَّـلِ العِطفَيـنِ أَغيـدْ غضّ الصِبـا بَضّ المُجـرَّدْ
كالحِقف أهيـــلَ والقضيب مُهَفهَفـاً والظَبي أجيـدْ(٣١)

ويهفو لقدودِ خلقت كما شاء له الحب والكمال كأنها غصون البان في الاعتدال مع خصور ضامرة وأرداف رواجح :

يا مـن رأى قُضبـانَ بَـانِ في الدماليـج والشُنوفِ(٣٢)
خُمْصَ البطـون رواجـحَ الأكفـال مـن مَيَلٍ وهيفِ(٣٣)

والذي نجتليه من شعره الرقيق ان عوامل كثيرة تظافرت على أن يظهر بهذا

---

(٢٩) الديوان ص ١٨ ٠
(٣٠) الديوان ص ٦٣ ٠ الخوُط (بالضم) الغصن الناعم ٠ وغزال نقا : الغزال الحسنة الجميلة ٠
(٣١) الديوان ص ١٢٣ ٠ الحقف : حقوفاً الظبي ربض في حقف مـن الرمـل : انحنى وتثنى في نومه ٠
الإهيل : ما انهال من الرمل ٠
(٣٢) الدِملج : جمع دمالج : حلي يلبس في المعصم ٠ والشنوف ما علق في الاذن من الحلى ٠
(٣٣) الديوان ص ٢٨٨ ٠ خمصَ : ضَمِرَ وهيف : ضمر بطنها ورقت خاصرتها ومفردها هيفاء ٠

الجرس الخافت منها بيئته حيث صقلت مواهبه ومنها الترف واللهو اللذان سادا العصر بما يصحبهما من انفلات عواطف الشاعر تسبح مع خيال يحدو لها فتأتي بكل طريف ولذيذ ، وقد نجده في أغلب غزله صادق الاحساس نحو المرأة التي يحس بوجودها كأنثى يأنس بحديثها ويتلذذ بمداعبتها ويعجب بكل جميل فيها فرسمت مشاعره طريقا واضحا هو الحب ولا شيء غيره سواء في مقطوعاته المستقلة او في غزله المستهلة به مدائحه فنفس طروبة تحب وتعشق ولم يجد عيباً في ذلك أو غضاضة ، ولهذا أطلق لعبراته عنان الافاضة بالدمع على هجران أو نأي او ذكريات الصبا التي تثير ، وقد نتحسس بذلك في حنينه وفي لقياه وفي مينهن عليه وخلفهن الوعود ، ويحاول لحبه وتعشقه أن يجد لهن سببا وما خلف المواعيد في الحسناء عاب • ونلحظ له في مقطوعة واحدة هوى ً غلمانياً مطلعها :

يا علـــيّ يومُنـــا أولُ ... يــومٍ مــن شُـــــباطِ

ويدلف فيها الى تغزل بغلام من بني الاصفر :

وغُــلامٍ من بني الأصفرِ ... كالثَــــوبِ القُبـــاطي

رِدفُـــهُ عـــالٍ ولكــنْ ... خَصرهُ الناحِلُ لاطِــي(٣٤)

ونتلمس مثــل هذا في قوله :

أقـــولُ باللِئـــام والخِمـــارِ ... والشُربِ في الخانات والقمـارِ

وأَعشَقُ الغلمـانَ والجـواري ... أعيشُ في الدنيـا على اختيـاري(٣٥)

وأحسب أن ذلك تقليد منه لشعراء العصر الذين كثر تعشقهم لهذا النــوع من الغزل وقد يكون مسايرة للعصر الذي شاع فيه الغزل بالمذكر ، ولم يتحرج الشاعر في ولوجه أو التصريح بحبه ، ولو كان ممن يهوى الغلمان لكثر ذلك في شعره وتبدي في أبياته في قصائد غزله شأنه في ذلك شأن غيره من الشعراء •

(٣٤) الديوان ص ٢٥٨_٢٥٩ •

(٣٥) الديوان ص ٢٢٦ •

٣ ـ الرثاء :

له في الرثاء تسع قصائد ومقطوعات ، وهو فيه صادق الشعور لأنه في رثاء أهله وذويه وأقاربه وفي رثاء سيدنا الحسين عليه السلام وهو يضم له بين جوانحه أعظم الأخلاص وأسمى آيات الود ، وفي رثاء السيدة سلجوقي خاتون بنت قلج أرسلان زوج الامام الناصر لدين الله ـ وقد عرفنا صلته المتينة به ، وفي رثاء بعض الصدور والاماثل · وتكاد تكون في شكلها ومضمونها تقليداً لما درج عليه الشعراء الذين سبقوه من حيث التفجع واظهار الحزن وذرف الدموع والحسرات على الذين ذهبوا ولن يعودوا ويدل هذا الشعر على خبايا نفس الشاعر ، ويبين وجوها من حياته الخاصة ، فلنستمع اليه يبكي ابنة له صغيرة ويبدأ قصيدته بوصف اللهيب المتأجج في كبده ، وعجزه عن رد كيد الدهر وسهامه عن فلذة كبده ومن ثم يطلق لعاطفته العنان لتنساب مع أشجانه في بكاء وحسرات :

أَيُّ نـارٍ اُضرِمت في كَبِدي ومُصاب قلَّ عنه جَلَدي
ويـدٍ ناضلني الدهر بهـا ضَعُفت عن ردها عنكِ يدي
بأبي غائبـةٌ عن ناظـري في الثَرى حاضرة في خَلَدي(١)

فهو يستهل رثاء ابنته بنار مشبوبة في كبده لأنَّ الأبناء فلذات الاكباد ، في حين يستهل تفجعه برثاء أخيه بحمله على الدهر الغادر الذي قصم ظهره بضربة مصمية :

رَمَتْني الليـالي من مُصابك يا أخـي
بقاصمَـةٍ من رَيْبهـنَّ المُدَوِّخِ

ويتوسل لاخيه وكأنه يسمعه صوته الا يدعه فريسة للخطوب :

أخـي لا تَدعْني للخطُوبَ دَريئَـةً
وكنتُ اذا استصرختُ يأتيك مَصرَخي

ثم يلوذ بالبكاء بعد توسلاته التي لا تفيد مع من لا يعي ولا يسمع :

---

(١) الديوان ص ١٣٨ ·

فيـــا عينُ إمـا يَفْنِ جَمَّتَك البُـكا

فسُحّي دَماً إن أعوزَ الدمعُ وانضَخِي(٢)

ثم يذهب في تعداد سجاياه وأخلاقه :

طـوت ظُلَـمُ الأجـداثِ منـه خـلائقاً

اذا نُشِرتْ في الناس قالوا : بَخٍ بَخٍ

مضى طاهـرَ الأردان غـــيرَ مُدَنَّسٍ

بعـــابٍ مـن الـدنيا ولا مُتلَطِّـــخِ(٣)

وحين يرثي جده لأمه أبا محمد ابن المبارك ابن التعـاويذي يستهل قصيـدته استهلالا يختلف عن رثائه لابنته وأخيه فهو يبدأها بالحكمة الملائمة للفقيد منتزعا اياها من سنن الحياة وصروف الزمن المتلئة بالعظات والعبر :

لكل ما طال بـه الدهـر أمـدْ لا والداً يُبْقِي الردى ولا ولـدْ

وبعد هذا الاستهلال يخاطبه بعبرة حرى ولم لا وهو الذي رباه فنشأ في حجره منذ كان في المهد صبيا ونعم في خيره وانتفع بجاهه حتى كبر وأصبح له شأن :

يا راقـداً تَسُرُّه أحـــلامه رقدتَ والحِمامُ عنك ما رقـدْ

ثم ينحي على الدهر ذي الغوائل التي لا ترد والأحداث التي لا تؤتمن :

والدهر ذو غـوائلٍ لا تُتَّقَى أحداثُه والموت بعدُ بالرصَدْ

ويطيل في وعظه وتصوير حقيقة الحياة التي كل من عليها فانٍ بمواعظ وحكم متلاحقـــة :

أين الملـوكُ الصيد ما أغنـاهم ما جمعوه من عديـدٍ وعُـدَدْ

ثم يصور حياته بعده مظلمة كلها حزن وسهر ، والعيش المنغص :

لا أَلِفتْ بعدكم العـينُ الكرى ولا حلا بعدكم العيش النكِدْ

(٢) الجمه : معظم الشيء أو الكثير منه ·

(٣) الديوان ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ·

وينطلق في تصوير رحيله عن هذه الدار التي أصبحت موحشة وبدت في عينيه خالية من الناس ، وقد أصبح وحيداً فيها يستغيث من قلة الجيران وقلة السلاح الذي يحمي به نفسه :

يا مُوحشَ الأرض عليَّ فقدُه
حتى كأنْ ليس على الأرض أحدْ
أوحدتَني وفي الرجال كثرةٌ
يا قِلّةَ الجار وقلّةَ العَدَدْ

ثم يستصرخه أن يرق له :

مالكَ لا ترقُّ لي من زفرةٍ
تفُتُّ أثناءَ الفؤاد والكبِدْ

ثم يصف عمق حزنه والدموع الحائرات لشدة الرزء وفداحة المصيبة :

تلك الدموعُ الحائرات ما رَقَتْ
على البِعادِ والغليلُ ما بَرَدْ

ثم يختتمها بالدعاء له بأن يكون نزيل الجنة ، تحف به الحور ويستمطر الغمام ليسقي تربة جدثه :

أُبرِزَتِ الحور الى لِقائه وأُزلِفَتْ لَديه جنات الخُلُدْ
سقى الغمامُ تربةً جاوَرَها منه وَقارٌ كأهاضيب أُحُدْ(٤)

وحين توفيت السيدة سلجوقي خاتون ابنة السلطان قلج ارسلان زوج الناصر لدين الله سنة أربع وثمانين وخمسمائة الهجرية رثاها مواساة للخليفة وتعزية له وتهدئه لخواطره ومشاركة له في مصابه الجلل ، بقصيدة جيدة لان المرثية زوج الامام الناصر لدين الله الذي يضم له بين حنايا ضلوعه أعظم التقدير وأعمق الحب ، ويتحسس نحوه لعلاقته المتينة به بكل تبجيل وتقديس ، ولهذه الأسباب جاء الرثاء صادق الشعور ولو كانت امرأة كغيرها من النساء لظهرت على رثائه علامات الضعف والركاكة والتكلف لان رثاء النساء شديد الصعوبة على الشاعر لضيق

(٤) الديوان ص ١٣٥ ، ١٣٨ .

الكلام عليه فيها وقلة الصفات التي يستطيع الشاعر أن يصف الأنثى بها ، فحين رثى المتنبي ام سيف الدولة الحمداني بقصيدة مطلعها :

نُعِــــدُّ المشرفيةَ والعــوالي وتقتلُنا المنــونُ بــلا قتـــالِ

ومنهـــا :

صــلاة الله خالِقِنــا حَنــــوطٌ على الوجـه المُكَفَّنِ بالجمالِ(٥)

تناولته أقلام الناقدين بالتجريح وسفهوها وسخفوها واسقطوا عنها صفات القصيدة الناجحة اذ « على شدة الجزع يبنى الرثاء » (٦) ٠

ومطلع قصيدة ابن التعاويذي :

قِفوا تَعجَبوا من سوء حالي ومن ضُرّي
فمـن زفـرةٍ تَرقَـا ومـن دمعـة تَجري
وقد كنتُ قبلَ اليـوم جلـداً وأنّمـــا
أَحالَ الهوى ما كنتَ تعهَدُ من صَبري

ويستمر في وصف أساه وعظم المصيبة وفداحة الخطب حتى يختتمها بتعزيته أمير المؤمنين على فقدها ويحاول أن يُهَوِّن عليه الرزء :

وصبـــراً أمــيرَ المؤمنــين لـرزئهـــا
وأنْ جــلَّ ذا الــرزءُ العظيم عن الصبر(٧)

وقد يكون لكبر سنه وعَماه أثر في نفسه اليائسة الباكية التي يتماثل امامها شبح الموت فجاءت عواطفه مؤججة ودموعه منسكبة ٠

وقد رثى الحسين ابن علي عليهما السلام بقصيدة استهلها بالغزل والنسيب مطلعها :

---

(٥) العمدة ـ ابن رشيق ٢/١٥٤ ٠

(٦) المصدر نفسه ٢/١٥٣ ٠

(٧) الديوان ص ٢٢٢ـ٢٢٥ ٠

أَرِقتُ لِلَمعِ بَرْقٍ حاجِريٍّ تألّقَ كاليمـاني المَشرَفيّ(٨)
أضـاء لنـا الأجارِعَ مُسبَطِراً وعـاد سَناه كالبِيضِ الخُفيِّ(٩)

وبعد هذا الاستهلال الذي يصف فيه ارقه لبرق تألق فأضفى ضياؤه على المرتفع والمنبسط من الأرض يذهب بتشبيهه بلمعانه بثنايا الجميلات حين ابتسامهن واشراقهن بزينتهن :

كأنَّ وميضَه لمعُ الثَنـايا اذا ابتسمت واشـراقُ الحَلْيِّ(١٠)
فأذكرَني وجوهَ الغيدِ بيضاً سـوالفُها ولم أكُ بالنَّسيِّ

ووقف على الديار فهاجت شجونه وأحزانه فانهمرت الدموع من عينيه ساخنة ولم تجب باكيا ملتهبا بنار الحنين واوار الذكريات التي تكلم القلوب وتدمي الأفئـدة :

وقفتُ على الديار فما أَصاخت معالمُهـا لمُحترقٍ بكيِّ
أُرَوِّي تربهـا الصـادي كأني نزحتُ الدمع فيها من ركيِّ
ولو أكرمتِ دمعَك يا شـؤوني بكَيتِ على الامامِ الفاطميِّ

هذا وليس لهذه القصيدة أثر في أقدم مخطوطة لديوانه وهي المخطوطة المكية ·

أما رثاؤه أصدقاءه فيتميز بالحزن الهادئ والأسى العميق والتأثر البالغ ومنه رثاء صديقه الحميم جلال‌الدين أبي المظفر هبة الله بن محمد البخاري :

أَتَظُنُّني مـا عِشتُ أنعَمُ بالا هيهات ظلّ العيش بعدكَ زالا

واستهلال رثائه هذا يتباين في الشكل والعاطفة عن رثائه ابنته الصغيرة ورثائه أخاه ورثائه جده ورثائه سيدنا الحسين عليه السلام ، فقد يظهر عليه بعض التكلف كما يظهر تكراره نفسه اذ يعيد بعض معانيه التي سبق أن طرقها في قصائد اخرى ومن ذلك قوله :

---

(٨) الحاجر : الارض المرتفعة ووسطها منخفض ·

(٩) الاجارع : جمع أجرع : الرملة الطيبة المنبت ، لا وعث فيها ، ومسبطراً : الإسد يمتد عند وثبه · والبيض الخفي : السيوف اللامعة · يقال خفا البرق يخفو اذا لمع ·

(١٠) الحَلْي : المشرق : احلالاً الناقة على ولدها بمعنى در لبنها ·

غـــادرَتني غرَضَ النـــوائب ألتقِي
منهـــا بصـدري أســهُماً ونبـــالا
وحــدِي عـــلى أن الرجـــالَ كثـــيرة
حــولي ومــا كــلُّ الرجـال رجـــالا(١١)

فقد قال في رثاء أخيه :

أخــي لا تَدْعِني للخطـــوب دريئـــةً
وكنتُ اذا استصرختُ يأتيكَ مَصْرَخي(١٢)

وقال في رثاء جـده :

يا موحشَ الأرضِ علـيَّ فقــــدُهُ
حتى كـأنْ ليس عـلى الأرض أحـــدْ
أوحـدتَني وفي الرجـــال كَثـــرة
يا قلـةَ الجـارِ وقلـــةَ العَـــدَدْ(١٣)

ومراثيه الثلاث متقاربة في المعنى وفي تعداد صفات المتوفى وذرف الدموع عليه والجنوح الى مدح كرمه ووفائه وسمو أخلاقه والخسارة التي مني بها الرائي بموته • ونعود الى رثائه في ابن البخاري حيث ينسل بهدوء الى شخصه :

لـم تَقْنَعِ الأيـــامُ لا قنِعت بـــأنْ
نسـفَت بُحــوراً منهـــم وجبـــالا
حتـى رمتنـي في الـوزير بحـــادثٍ
عَـــزَّ العـزاءُ علـيَّ فيـــه منـــالا

وينتقل الى حسن اسلامه وغيرته على الدين الحنيف :

مـــن كـان للاســـلام مجـــداً باذخـاً
وليمنْصِب الـــدين الحنيـف جَـــــلالا(١٤)

---

(١١) الديوان ص ٣٥٠_٣٥٤ •
(١٢) الديوان ص ١٠٤ • وجاءت القصيدة في المخطوطة المكية باختلاف كبير مع الديوان •
(١٣) الديوان ص ١٣٦ •
(١٤) الديوان ص ٣٥٠_٣٥٤ •

٤ ـ الهجـاء :

لسبط ابن التعاويذي في الهجاء احدى وخمسون قصيدة ومقطوعة قالها في عصر شاع فيه الهجاء وانتشر وخرج على كل مألوف وأوغل الهاجي في عرض المهجو وراح يتقصى مثالبه وهفواته ومواطن الضعف فيه محاولا أن يأتي في قصيدته بكل ما يمس شرفه وكرامته مشهراً به أمام الناس ، وأحسب أن مبعث ذلك سوء الحياة الاقتصادية وانتشار الجوع انتشارا مخيفا فألهب النفوس فراحت تبحث عن لقمة العيش بشتى السبل ـ وقد عزت ـ مما دفع بعضهم الى أن يذبح ولده وتعاونه امه فى شيه ليأكله (١) ، فسرى ذلك أيضا الى الحيـاة الاجتماعية فتخلخلت وتفككت الاسرة واضطربت أحوال الأفراد وتبدلت أخلاقهم ، والى انتشار الظلم وفقـدان الأمن ، فاندفع الشعراء يتنافسون بشدة فيما بينهم للوصول الى حظوة عند ذى الجاه والسلطان والثراء وتبع تلك المنافسة ما تبعها من محاولة كل شاعر الحط من منزلة غيره من منافسيه ، وتميز الهجاء بطابع القسوة في نهش شرف المهجو وتعريته بلفظ ساقط بذيء ٠

وللهجاء عند ابن لتعاويذي بهذه السلاطة بالرغم من نشأته في بيت ورع وزهد وتقوى سببان ، اولهما هو أن نفسيته تأبى الظلم وتناهضه ، وثانيهما هو التسابق على الجوائز والهبات بينه وبين الشعراء ، فكان يحاول الحط من شاعرية منافسه أو النيل منه ومن سمعته وقد يكون لبعض هجائه سبب آخر هو صلته بآل الرفيل لتبقى قوية مصانة من الوهن ، فحين هجا ابن المعلم (٢) هجاء مراً انما كان يرد بذلك على ابن البلدي الخصم اللدود لآل الرفيل ، ولأن ابن المعلم كان يمدح ابن البلدي كثيرا ومن المقربين اليه ، قال يهجوه ويذكره بصنعته المتهنة :

يا ابن المعلـم مـا لـدائكَ في الحمـاقة من مُعالِـجْ

فهو يصفه بالحماقة والجهل ومن ثم يذكره بصنعته التي تحط من قدره :

---

(١) مرآة الزمان ٨/ق/٣٥٣ ٠

(٢) هو أبـو الغنـائم محمـد بن علي بـن فـارس بن عبـدالله بـن الحسين ابن القاسم المعروف بابن المعلم الواسطي الملقب نجم‌الدين ٠ ولد سنة ٥٥١ وتوفي سنة ٥٩٢هـ بقريته قريب واسط (وفيات الاعيان ٤/٩٨ـ١٠١) ٠

يا حائكاً أدمى أناملَ كفه كَبُّ الصُهارج(٣)

ويطعن بعرقه :

أن لم تكن بزر اليهودِ فأنتَ من نسل الخوارجْ(٤)

وقد يجمع في هجوه بقصيدة واحدة أكثر من اثنين ويكيل لهم كل ما يمس العرض والشرف والاسرة ، فلنستمع اليه يهجو أبا الريان وقد أشرك معه شخصاً آخر فرماهما بالفجور والعار الذي يودي بمن اصيب به الى أسفل الدركات :

قالوا أبو الريان صنوُ اُسامةَ بن مُقَلَّد
لأبٍ وأمٍ يكرعان كلاهما من مَورِدِ
وكلاهما من شر بيتٍ بالفجار مُشَيَّدِ

ويتناول عرضه بالتجريح :

وبياضُ مَلْبَسه على صفحاتِ عِرضٍ أسودِ(٥)

وفي هجائه أكثر من فرد واحد في قصيدة واحدة نقرأ في بعض الأكابر كان يقدم الأبله البغدادي الشاعر ويفضل سماع شعره ويجيزه ويحرم سماع شعر غيره فأشرك معه الأبله في الهجاء ويسلك طريقه الذي اعتاده ، كتحقير المهجو وتسفيه رأيه والحط من قدره :

قل لأبي النقصِ والمخازي يا حَرَجَ الصدر والفِناءِ
قدّمتَ مُستأثراً علينا أحقرَ قدراً من الهَباءِ
أبْلَهَ فَدْماً يُرى ويُربَى عليكَ في قِلّة الحياء(٦)

ويهدده بالتشهير به امام الناس :

---

(٣) الصُهارج جمع صهاريج (كلمة فارسية) معناها حوض للنفط وصهرج الغرفة طلاها بالصاروج وهو الكلس وأخلاطه .

(٤) الديوان ص ٧٥ .

(٥) الديوان ص ١٤٢ـ١٤٤ .

(٦) فَدْماً : الفَدْم : العي عن الكلام .

وسوف يُعريكَ عن قليلٍ منها ويُلقيك بالعَراءِ
فارضَ بهِ قانعاً فنفسي قد قنعت منكَ بالجَفاء
ولا تَصِلْني فإنَّ أخذي عِرضَكَ أحلى من العَطاء

ويتوعده بتعريته والنيل من عرضه وصفعه بهجاء قاسٍ لا يستطيع الأبله أن يدفعه عنه :

إن كان أغناكَ عن مديحي فليس يُنجيك من هجائي(٧)

وفي هجائه تطالعنا صور ساخرة مضحكة وعقائد شعبية متوارثة نجد ذلك واضحا في هجائه لابن الخطيب وقد أشرك معه انسانا آخر يلقب بالنعامة :

فما الصلُّ أخبث من طبعه ولا البومُ أشأمُ من طَلعتّه(٨)

ولشاعرنا نفسية تأبى الظلم وتناهض الظالمين ، تتبلور تلك في هجوه الوزير ابن البلدي :

ما سمع الناسُ ولا أبصروا ألأمَ نفساً من أبي جعفرِ
وزيرِ سوءٍ قيّضَ اللهُ للامةِ منه شرٌ مُستوزَر

ويصف غلظته والقساوة على وجهه بأنها جدباء مناعة للخير حابسة للغيث لشؤمه وشره :

يبدو لراجيه على وجهه
غِلظَةُ ليثٍ بالشرَى مُخدِرِ
لو أنها بالأرض ما أخصبت
أو بالسحاب الجَوْنِ لم يُمطِرِ(٩)

وخلو وجهه من ماء الحياء ما يدل على أفعاله الجائرة الخالية من كل كرامة :

ناهيكَ عن وجهٍ له عابسٍ كأنه شُقْلٌ على بَيدَرِ

وينعته بقبح المنظر :

انظُرْ متى شئتَ الى قُبحه واغنَ عن المَخبَرِ بالمنظرِ

---

(٧) الديوان ص ١٥-١٦ .
(٨) الديوان ص ٦٠-٦٢ .
(٩) الجَوْن : ما تضرب خضرته الى السواد
والجوْن - بضم الجيم - الخليج الصغير .

ويطعنه طعنة نجلاء لا يرم منها جرح :

يفوحُ نَتْنُ العِرضِ فيه ولو ضَمَخْتَهُ بالمسكِ والعنبرِ
كأنهُ شِلْوُ قتيلٍ أتت لهُ ثلاثٌ وهو لم يُقْبَرِ (١٠)

وهو يرى نفسه أشعر أهل عصره ويرى واقعه المؤلم من انزواء وجوع فيهجو بغداد ويُعرِّض بأهلها :

وأرحلُ عنكم الى بلدةٍ بها في الشدائد من يَرفِدُ
الى بلدةٍ لا تقومُ الخُطو بُ بالحرُ فيها ولا تَقْعُدُ
لحا اللهُ بغداذَ من موطنٍ به كلُ مَكرُمةٍ تُفْتَقَدُ(١١)

وقد ضبَّ الطغرائي غضبه من قبله على بغداد وأهلها حيث وجد نفسه غريباً فيها :

فِيمَ الاقامةُ بالزوراءِ لا سكَني
بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
فلا صديقَ اليه مُشتكَي حزَني
ولا أنيسَ اِليه مُنتهَى جَذَلي(١٢)

ووجه الشبه بين الهجوين ، أن الشاعرين يحملان على بغداد فهما يريان أنها لا تعز الحر ولا تقيم له وزنا ولا تنزله منزلته التي يستحق ، ولأنَّ أهلها سريعو نفض أيديهم من الصديق اذا ما رأوه في شدة أو انزواء او محارب من قبل الحاكمين فيتركونه وحده بعد أن ينفَضَّ عنه أقرب الناس اليه وأشدهم لصوقاً به :

ولشاعرنا هجاء من نوع آخر ، هجاء فني متكامل نرسم به خُطَى ابن الرومي فهو لاذع قاسٍ يتناول فيه وجهين من وجوه الهجاء ، بخله ووجهه وهو بذلك يرسم صوراً ساخرة مضحكة :

وجهُ حَمِيدٍ أنْ تأملْتَهُ
أقبحُ خلقِ اللهِ دِيباجَهْ

---

(١٠) الديوان ص ٢١٨ .

(١١) الديوان ص ١٣٩ـ١٤١ .

(١٢)ديوان الطغرائي ص ٥٥ .

وجــه" قليــل الخير ما فيــه للراجـي مكان" لِقضـا حَاجتـه

مُشــوه" في وَسـطِه مَنخـر

أوســع من تنّـور زَجّـاجـه

مُستثقَلُ الــروح لـه راحـة"

الى طبيـخ الـزيت مُحتـاجه

نفسية مجبولة على البخل ويد ضنينة مغلولة لا تعرف البسط :

ينسـمر الدينـار فيهـا كمـا

ينسَمرُ المسـمار في السـاجه

تَشبـقى اذا حاولتَ يـوماً بغـير الفـأس والمِبـزَغ أخـراجه (١٣)

ويطالعنا هجاؤه بنفسية تبلورت فيها حملته على المفسدين من الشعراء ومناهضته للوضعاء منهم الذين يجرون وراء المال ويسكتون على الذل وقد غاض ماء وجوههم • و يهيب بهم أن يستعيضوا عن مديح اولئك الذين ما أمروا بطاعة ولا نهوا عن معصية بالهجاء لهم ولبيوتهم التي يجب أن تجري لها التعزية بدل التهنئة ، وبهذا نراه يحمل على الحاكمين الذين مجنوا وتركوا الشعب منسياً تحت براثن الجوع ويعيش في دوامة من الحيرة والذل • ولعل قصيدته التي مطلعها :

يا قالـةَ الشـعر أمـا فيـكم فتىً ذو مَحميـه (١٤)

فيهـا الكثير ممـا المحنـا •

ويرينا هجاؤه تمكنه من هذا الغـرض في مختلف اتجاهاته فكان عنيفاً فيه كـل العنف تجاه خصومه الذين لم يتجرأ أحد منهم على رد سهامه المصوبة نحـو صـدورهم • ويرينا في بعض قصائده سخطه على اليهود ونظرته بل نظرة العصر كله الى وضاعتهم وسوء منبتهم وخسة أصلهم وشين أفعالهم وهذا ما يؤكد خبث هذا العنصر في كل الأزمان وما يجتنونه من مكرهم وخداعهم من غضبة الشعوب وازدرائهـا •

(١٣) الديوان ص ٧٧ •

(١٤) الديوان ص ٤٦١-٤٦٢ •

٥ ـ الوصف :

أحب شاعرنا الطبيعة فراح يجري لاقتناص مغرياتها بكل ما أوتي من قوة فوصف وجوه جمالها من رياض وخضر وأمواه منسابة رقراقة أو متدفقة تتلوى في جداول تحف بجانبها الأشجار والزهور والرياحين وكأنها رموش تحيط بمقل رزق فتبدو آسرة ساحرة بجاذبيتها وفتنتها ، وكأن الطبيعة بادلته حباً بحب وهياماً بهيام فأسلمته نفسها فراح يعب منها ما يشاء ، فوصف أماكن لهوه وطربه وأنسه وخلاعته وما ضمه المكان مما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين وتهفو وتصفق له القلوب ، كل ذلك باسلوب طروب جمع من الألفاظ أكثرها عذوبة ومن المعاني أبدعها وأبهاها ، فنصيخ اليه ينشد في وصف روضة بزغت عليها الشمس حيية بأسمه والنسمات تهادى متباهية بما تحمله بين طياتها من أريج زهور تفتحت عيونها مبهورة بابداع الخالق وقد لممت قطرات الندى أذيالها ولاثت خمارها وراحت تتساقط على الثرى وكأنها يواقيت :

وروضةٍ غنـاءَ باكَرتُها والشمس قد جاوزت الحُوتا
سرَى بريـاها نسيم الصَّبا يَحمِل نَشرَ المسك مفتُوتا
وفتَّحَ الزهرُ بها ناظراً أضحى على الآفاق مَبهوتا
وردَّ ما استودَعه تُربَها من لؤلؤ القَطْر يواقيتا(١)

ونغذ السير الى مكان قد اجتمعت فيه أسباب الانشراح والانطلاق ، فيه الخضرة وفيه الماء وفيه الوجوه الحسان في يوم مطير مربد الجو غائم مكفهر والحرب دائرة بينه وبين الأرض وقد ابتسم وجهها وبدت عليه كل علامات الانشراح لبكاء السماء ، والرعد يزمجر والغصون ثملة تترنح ذات اليمين وذات الشمال والأزهار مفتحة العيون ترقب ما سيطرأ على الكون من جديد وتسيل لالىء الطل على خدود الورود وراح شاعرنا يستدعي صديقه علي بن اسماعيل الجوهري لتتم الفرحة وليقتنصوا من سويعات العمر المنتهب :

---

(١) الديوان ص ٧٠ .

لدينا يا ابن اسماعيل قدرٌ تفور وقهوة صِرف تدورُ
وندمانٌ كبستانٍ نضيرٍ بعيدٌ أن يكون له نظيرُ

ويصف الساقي :

وساقٍ كالقضيب الرَطب لاطٍ حَشاهُ ورِدفُهُ عالٍ وثيرُ

ومغنية بارعة في الغناء حلوة النبرات :

ومُحسِنةُ الغناءِ اذا تغنَّتْ حسبتُ الأرضَ من طربٍ تسيرُ

وبعد أن يشوقه يستدعيه :

فبادرْ بالحضور على اقتبال النهار فيومُنا يومٌ مطيرُ

ويسترسل في وصف لا يدع مكاناً للشك في حسن التصوير ، وينفذ الى ما صنعته السحائب بالشمس :

وقد حُجبتْ سراجُ الأفق فيه بدُجنٍ دونها منه ستورُ

وقد اكتأب الجو واكفهر وتساقط المطر :

ووجهُ الجو أربد مكفهرٌ ووجهُ الأرض مُبتَسمٌ نضيرُ

وكان لاضطراب الجو تأثير بالأغصان حيث نشطت وانفعلت :

وأعطافُ الغصون لها نشاطٌ وأنفاس النسيم لها فتُورُ

والأزهار يقظة متحفزة محدقة بما يلوح من بوادر نهاية معركة تخيف :

وأزهارُ الرياض لها عيونٌ مُحدِّقةٌ الى الآفاقِ صوُرُ
وخدُ الوردِ قد أضحى نظيماً عليه لؤلؤ الطَلِّ النثيرُ(٢)

وقد تنوعت موضوعات الوصف عنده وتشعبت ، فوصف كل شيء حتى الرمانة نأنها أخذت من عواطفه حصتها وهو يتخيلها فتاة حلوة الريق في حضن عاشق متيم :

---

(٢) الديوان ص ٢٣١ .

وحُلْوةِ الريقِ باتت في حُضن غُصنٍ وَريقِ
تَشتقّ عن أحمة اللو نِ قاني كالشقيق
كأنها تملأ الكف صُرَّةً من عقيق
طُفنا بها فَسَقَتْنا ريقاً كطعم الرَّحيق(٣)

ويصف مجلساً شاعرياً في بستان جعفر الرقاص بالجانب الغربي من بغداد والبركة تتدفق الامواه فيها وقد ربط بين كثافتها وصفاتها وبين كرم صاحب البركة :

بستانُ جعفرَ مثلُهُ في ظَرفِهِ وشمائلهْ
والبركةُ الفَيحاءُ تَخجَلُ من نَداهُ ونائلهْ

ولا ينسى الأنابيب التي تتدفق منها الأمواه تدفق العطاء من يديه :

فيها الأنابيبُ التي تَنهَلُ مِثلَ أناملهْ

ويوقظ حنين الدولاب وترنمه في ذكريات حلوة ما كمن في قلبه من لواعج الحب وهو يرفع الماء من البئر فتسقى الأرض بما يخرج كحيات تتلوى :

وتَرنُمُ الدولاب في غَدَواته وأَصائلهْ
والماءُ كالحيّات بين مُروزه وجداولهْ

وجادت المزن بماء كانوا يتصورون انهماره ضرباً من المحال :

والغيمُ قد صدقت كواذبُ بَرقه ومَخائلهْ

ويطربه النسيم الهادي الذي يداعب وجنات الأوراد والغصون تهتز كأنها صب أسكره الغرام :

والروضُ قد جاءتكَ أنفاسُ الصَّبا برسائلهْ
والغُصنُ كالنشوان يعثُر في فُضُولِ غلائلهْ

وتأخذ الكأس نصيباً من عواطفه وقد تأثرت بلواحظ فاتنة تسعى وهي ثملة تختال في ثوب الصبا وتميس في تاج الجمال :

(٣) الديوان ص ٣٠٧ـ٣٠٨ .

والكأسُ قد أعداه سُكرٌ من لَواحِظ حاملهْ(٤)

وصف تناول كل ما وقعت عليه عيناه ، من ماء ودولاب وساق وسيقان وورد ونسيم وأغصان ، دق في فكرته وفي تعبيره حتى كأنه يناغي الأحاسيس بصدقه وجمال أدائه والفاظ رقيقة متجانسة ندية ومعان مبتكرة حين أضفى بها على ألفاظ على قدرها بغير حشو أو تعجيز ، وقد صور الجماد والنبات أحياء واخذنا نتحسسها كأنها حية تسعى حيث دب فيها دبيب الحركة وسرى فيها روح الحياة كما تسري الروح في أجسامنا وأنطقها وجسمها أمام الأعين كائنات حية وما جاء ذلك الا عن قدرة خلاقة لا يستطيع من رُزِقَها الا الابداع والأبتكار وكل ما يسحر ، وحين نقف مع وصفه ليلة لقيا مع من أحب نؤخذ بالتشبيهات والصور البلاغية التي تستشف من بين ما تناثر في ساحة شعره :

في ليلة رَقَّ النسيم بها كما رقَّ العِتابُ
حتى اذا طُوِيت مَلاءَتُها كما يُطوَى الكتابُ
وفَرا الصباحُ رداءَ غَيْهَبِها كما يُفرَى الإهابُ
وأَضاءَ في أَدبارها فلَقٌ كما نَصَل الخِضابُ
واستلَّ نَصْلٌ من أديم الليل قُدَّ لَه قِرابُ

ليلة عتاب وبوح بمكنونات القلوب يُجمِّلُها نسيم على قدر من الاعتدال وحين شعرت بالفجر يدب ضياؤه وخشيت افتضاح أمرها :

قامت تَلُوثُ خِمارها وبها ارتياعٌ واكتِيابُ(٥)

وأحسب أن من أجمل وصفه هو الذي ينتزعه من الطبيعة الناطقة بشعره النابع عن ذهن متوقد وخيال جموح وعاطفة ثره • ومن ذلك وصفه ليلة من ليالي لهوه :

حتى اذا الليلُ شاب مَفْرِقُه الجَونُ ورَثَّت أثوابُه الجُدُدَ

(٤) الديوان ص ٣٦٩ •
(٥) الديوان ص ٥٤_٥٩ •

فقد شبه الليل برجل بدأ الشيب يغزو مفرقيه وتبدل سواده ببياض وظهر بملابس رثة بالية علامة من علامات الكبر :

وَقُوِضَتْ خَيمَةُ الدُّجى وعَلا   للفجر في الجو ساطعاً عُمُدُ

فشعرت النجوم بالخطر الذي يحيق بها فهرعت مسرعة كسرب من المها متدافعة من شدة زحامها مرتاعة :

وَرِيعَ سِربُ النُجوم واستبقت
في اُخرَياتِ الظلام تَطَّرِدُ

وتشعره الجوزاء بوجودها وهي تنفرط كعقد تناثرت لآلئه :

وانحلَّ عِقدُ الجوزاء وانتشرت
في الغَرب منه لآلىءٌ بَدَدُ (٦)

ويحس القارىء بالنجوم تميس كغادة نال منها الدل فتاهت في محاسنها . بهذه الفكرة الوقادة وبهذا الابداع امتاز وصفه بتشبيهاته الكثيرة التي تحمل من الصور البلاغية شيئاً كثيراً ومن خيال شرود وجعبة اكتنزت بكل طريف ونادر .

---

(٦) الديوان ص ١٥٢ .

٦ ـ الشكوى والعتاب والأنين :

وهي أغراض مقاربة المعنى ، فالعتاب يقرب كثيرا من الشكوى ومنهما يدنو الانين • فهو يتحسس آلامه ودوافعه وما آل اليه حاله من تحرق وأسًى ومرارة لما هو عليه من اهمال فيتفجر سخطاً وغضباً على ما يشعر به من هون مع انه الشاعر الصائح ذو الطموح والمواهب المجَوِّد في الشكوى وفي العتاب مع صدق العاطفة وحرارتها ، وله فيه ست وخمسون قصيدة ومقطوعة مع أبيات متناثرة بين طيات مديحه تنطلق منها الانات التي تكلم القلوب ، ويلقي بآهاته وحسراته باكيـــة حزينة ، ويظهر عتابه بلون جديد مزيج من الاستعطاف والشكوى • حيث يتلاعب بعواطف من يعاتب يلين ويشتد ويقوى ويرق حسب قراءته نفس المخاطب ويكيفه حسب ما يريد ويشتهي ، وقد كثر الأنين في شعره في اخريات أيامه حين أصبح حبيس بيته وهاجمه العوز والعمى ، ونلمح من خلاله نفسية قلقة متأسية تئن من هول ما سلط عليها من ضربات الدهر ، ولم يسلم مديحه وغزله من هذا الطارىء الجديد الذي طرأ على حياته ، وقد تظافرت ثلاثة عوامل فعمقت الجرح في صدره ، الشيب الذي علا مفرقيه وسوء حاله وفقد بصره فهو يشكو من كثرة عياله وقلة ماله الذي لا يفي بحاجات اسرته فيدفعه هـذا الى أن يلحف في السؤال ويتخبـط في الضراعة والاستعطاف ، يقول مخاطبا عضدالدين :

أيـا مـولاي مجـدَ الدين يا مـن　　اليـه ومنـــه بَثّي واشـتِكائي
دعوتُكَ مُستجيراً من زمـــاني　　بِجود يدَيْك فاصـغْ الى ندائي

وفي هذه الشكوى الممزوجة بعتاب مر يذكره بصلته بأهله وأسرته :

أتنســاني وأنت كفيـــلُ رزقي　　وعندكَ أن مَرِضتُ شِفاءُ دائي

وبعد أن يوطيء بعاطفة مثقلة بالهموم والأحزان يواجهه بحقيقة يقرها العقل وينتبه اليها المنطق ، فلا يمكن لأحد أن يعيش بلا طعام الا ملائـكة السماء وليس هو من الملائكة في شيء :

فيـا مولاي هـل حُدِثْتَ عني　　بأنـي من مـــلائكة السـماءِ
وأني قـــد غَنِيتُ عن الطعـــام الـذي هـو من ضَرورات البقــاءِ

ويذكره بمدائحه واخلاصه ووفائه له ولاسرته التي يحسب نسيان أفضالها له ومعروفها عليه ضربا من المحال :

ألم يملأْ بسيطَ الأرض مدحي   وأقطارَ السماء لكم دُعائي

ويعزو تغيره الى الأيام الخسيسة التي جعلت مدحه في آل الرفيل لا قيمة له عند عضدالدين في حين أنه يسمو على كل ثمن :

ولولا خِسةُ الأيام كانت   تُباعُ عُلُوقُ شعري بالغَلاءِ[(١)]

وله عتاب يمزجه وعيدا من ذلك مخاطبته أبا الريان ، لعدم معاونته أياه بالمال

وقد وضع امامه في مستهل عتابه أن حججه كثيرة وقوية لا ترد ، تضمن له الحق وراح يلبسه لبوساً من الحلم والعقل انفرد به دون الخلق :

أَبلِغْ أبا الريان من عاتبٍ
حُجّتُه في عَتْبه بالغهْ
وقُلْ له يا من ثيابُ الحِجَى
عليه من دون الورى سابغهْ
ملأتُ فيكَ الأرض مدحاً فما
بالُ يدي من أملي فارغهْ

ويهده صراحة ان لم يجد عليه بما يستحق بأنه سيلغ في عرضه وشرفه دون خشية :

فامنعْ ذيابَ الهَجْو بالجُود أَنْ
تُصبِح في أعراضكم والغهْ[(٢)]

وهكذا يظهر في عتابه في بعض الأحايين طالب مال فاذا انقطع عنه سيب النوال سلّ مقوله وصوّبه الى العرض ينهشه والى الحسب يطعنه .

---

(١) الديوان ص ١٣ـ١٤ .

(٢) الديوان ص ٢٧٧ .

ويشكو الى الله مما هو فيه من ضنك العيش وصحاب بخلوا عليه وقت الحاجة مع قدرتهم وسعة حالهم :

يا ربِ كيف بلوتَني بعصابةٍ ما فيهم فضلٌ ولا إفضالُ
غَطّى الثراءُ على عيوبهم وكم من سَوْءَةٍ غَطّى عليها المالُ
جُبَناءُ ما استنجدتَهم لِمُلِمَّةٍ لُؤَماءُ ما استجديتَهم بُخّالُ(٣)

ويشكو من قلة حظه ، نجد ذلك في شكواه الى الأمير أبي محمد علي بن الامام المستظهر :

الى كم اُعاتبُ حظي المشوم واقتادُهُ وهو لا يُسمِحُ
فاقسِمُ لو كان من صخرةٍ لآنَ لها أنها ترْشَحُ(٤)

ويشكو من الدهر وأيامه ولياليه ويسمه بسوء التصرف وبالسفه :

هذّبني دهري وما دهريَ بالمُهَذّبِ
ويا ليالِي أسفِري بالحظ أو فانتقبي(٥)

ويئن مما فعله به الدهر :

فليت حوادث الأيام أغضت مُسالِمةً بما أخذته مني
وليت الدهر اذ لم يُمس سِلْمِي على أحداثه لم يُمْسِ قِرني
اُعاتبُ ما جنت أيامُ دهري وما يُغنِي التعتُّبُ والتجَنّي(٦)

ولعل من أجمل ما في أنينه ذكريات الشباب فمتى أهاجته جاء بالعجب العجاب فهو ينظر اليها سرابا خداعا كبرق خُلّب ، وهو في هذا اليأس القاتل يتساءل مستنكرا : هل لِأيام الشباب من عودة ؟ ثم تنهبه وهو في حال حزينة وقد حنا الدهر شطاطه وسرق نور عينيه ، يعقد في داره صباح مساء هذه الذكريات

---

(٣) الديوان ص ٣٥٦ .
(٤) الديوان ص ٩٥-٩٦ .
(٥) الديوان ص ٤٦ .
(٦) الديوان ص ٤٣٩-٤٤١ .

فيستسلم لها ويَنداح عن واقعه الى غزل ينز به صدر شاب في صدر فتوته وكأنه دلالة اليأس وشدة الجزع حين تظهر اللامبالاة بواقع حاله :

أتـرَى تعـودُ لنـا كمـا سلفت ليـالي الأَبرَقَيْن
فتكـُرُ عاطِفـةً بوصـل واجتمـاعِ مـن لُبَيْنَـن
وتَضُمُّنـا بعـدَ النَـوى دارٌ لهـم بالرَقْمَتَيـنِ

بعدت ، فقد تفرق الجيرة والصحاب الى حيث لا اجتماع يعود :

هيهـاتَ صـاح بشمل جـيرتك الجميـعِ غُـرابُ بَيْـنِ

ويطلق العنان لخياله فيجوب عبر الأيام والسنين أماكن لهوه وحديثه مع حبيباته وما لقي معهن من وفاء وغدر وصدق ومين حتى يلتقي مع جسم محطم وانسان ما بقي منه الا زفرات تتصاعد :

حـالان مستني الحـوادث منهمـا بفجيعتـين
أظـلامُ عـينٍ في ضيـاءِ مَشيبِ رأسٍ سَرمَدَين
صُبـحٌ وأمسـاءٌ معـاً لا خِلفـة فاعجبْ لـذين (٧)

ويراح هذا الغرض قبل الوقوف مع قصيدته لفخرالدين محمد بن المختار نقيب مشهد الكوفة تجاوز على جرأته وشاعريته ، حيث نرى فيها عتاباً من نوع آخر فهو قد طلب منه عملا فماطله :

يا سـميَّ النبي يا ابنَ علـيٍ قامعِ الشِـرك ـ والبتول الطهـورِ

ويأخذه في مديحه الى أهل بيته وأرومته وشيمتها الوفاء :

عنكمُ يُؤخَـذُ الوفـاءُ ومنكـم يَجتَدِي الناسُ كلَ خَير وخِيرِ (٨)

ويذكره بعد هذه التوطئة التي هي الزام له بأن يفي ، وعيب عليه الخُلف وهو بما عليه من مكانة :

---

(٧) الديوان ص ٤٣٥ـ٤٣٨ .

(٨) الخير : الشرف والأصل .

كيفَ أخلفتَني وما الخُلفُ بالميعـادِ من عادة المَوالي الصُدُرِ

ثـم يحمله مغبة ذلك ، وليس بمعذور على تأخر ايفائه بالوعد :

أيُّ عُـذْرٍ ينوب عنك ومـــا تاركْ وَجـه الصواب بالمَعْذورِ

ويهدده بتندر ومشاكسة ان لم ينجز ما وعد :

ومتى ما استمرَّ خُلفُكَ بالوعد ولـم تعتـذر عن التـــأخيرِ
صِرتُ من جُملة النواصب لا آكُلْ غيرَ الجريِّ والجرجيرِ
وتبـدلتُ من مبيتيَ في مَشهَدِ موسـى بجـامع المنصـورِ(٩)

وهكذا نجده جريئاً حتى في عتابه وفي شكواه باسلوب فيه حسن الصياغة وقوة البلاغة بعيدة عن الابتذال بما اوتي من نباهة ·

(٩) الديوان ص ٢١٤ـ٢١٥ ·

٧ ـ الاخوانيات :

لشاعرنا في هذا الغرض ست وعشرون قصيدة ومقطوعة تتضمن تهنئة أصدقائه والمسؤولين وشكرهم على صلاتهم له ويتضمن التشوق والحنين والعتاب والاعتذار ، وعلى ما يهدي له • ويسميه البعض مناجاة الأصدقاء ويتناول شتى الموضوعات في الرد على قصائد وردت اليه وفي الشكر على هدايا وهبات ، وهو صادق فيه خال أغلبه من الرياء والزلفى لأنه يخاطب أصدقاء لا يردون له طلباً وحاكمين ينيلونه ما يريد ، أو يطلب الى صديق حميم موافاته الى مكان يقضون فيه سويعات يقتنصونها من العمر متناسين همومهم ونصبهم ولسان حالهم : ولنا الساعة التي نحن فيها • كما فعل مع ابي الحسن علي بن اسماعيل :

لنا يا أبا حسنٍ عادةٌ عليكَ ودينُكَ حِفظ العوائدْ
بأنكَ تَطرُدُ عنا الهُمومَ وما زال قربُكَ لِلهمِّ طاردْ
فبادِر الينا فَصرْفُ الزمان خَفيُّ الغوائل جَمُّ المكائدْ
وماضِي شبابِ الفتى لا يُرَدُّ وذاهِبُ عَيْشِ الصبا غير عائد

ويطلق العنان لعواطفه في وصف المكان الذي هم فيه مجتمعون ، فهو ناء عن الأبصار بعيد عن أعين الرقباء والحاسدين ، فيه الشراب وفيه الغيد الحسان وفيه كل ما تشتهيه الأنفس :

فسارعْ الى مجلسٍ غاب عنه كلُّ رقيبٍ وواشٍ وحاسدْ
وقد جُمِعت فيه شيئاته شرابٌ وشَمع وشُهد وشاهدْ(١)

ومن جميل قصائده في هذا الغرض طلبه الى عمادالدين ان يهديه سكينة رآها عنده حليتها من فضة ونصابها عود فهو يبدأ مادحاً :

يا ابنَ الأكابر من ذُؤابة هاشمٍ وابنَ الأطائبْ
جُدْ لي فلا زلتَ المُرجَى للمواهب والرغائبْ
بكريمة الطرَفين آلةِ فارسٍ وأداة كاتبْ
شمطاءَ وهيَ فتيّةٌ سوداءُ بيضاءُ الذوائبْ

---

(١) الديوان ص ١٤٤ •

ويستمر يتغزل بها وهي سكينة من حديد يتخيلها فتية دق خصرها بضة المخلخل :

خُمصانَةٌ ريّا المُخلخَل   لا تُعَدُّ من الكواعبْ
تَقتافُ آثاري فتمحو   ما تراه من المَعائبْ
تلقَى الأمور لقاءَ غِرٍّ   لا يُفكِّرُ في العواقبْ
وأكسِبْ بها شُكري فإنّ الشُكر من خَيْرِ المكاسب(٢)

وكتب الى عمادالدين ابن الشهرزوري وهو بدمشق قصيدة يتقاضاه وَعْداً كان وعده اياه فأنفذها اليه من بغداد :

ألا أبلِغْ عمادالدين عني   وقَبلْ عند رؤيته الترابا
وَصِفْ شوقي وأَهْدِ له سلامي   وأَحسِنْ في الدعاء له المَثابا
وَقُلْ يا خير أهل الأرض نفساً   وآباءً وأرحبَهم رحابا

ويعلمه أنه أرسل اليه رسوله وأوصاه بأن يلازمه والا يفارقه حتى يأتي بما وعده به :

بعثتُ أبا الفتوح اليك فاجْلِس   له وارفَعْ لِمَقدمِه الحِجابا
وزِدهُ منكَ اكراماً وقُرباً   وأورِدهُ لخلائِقك العِذابا

وهكذا نجده ذا مكانة عند أصدقائه يخاطبهم بقوة ويتحكم في طلبه ــ وأكبر الظن انه لا يرد له طلب ــ ويذهب مذكرا اياه بحقوقه عليه :

وراعِ حُقوقَ مُرسِلِه قديماً   وعَجّلْ ما استطعتَ له الأيابا
فقد داناكَ من بلَدٍ بَعيدٍ   وقد أنضَى الرواحلَ والركابا
فأني قد بعثتُ به رسولاً   اليكَ وقد ختمت له الكتابا
وقد وكلته وشرطتُ أنْ لا   يُفارقَ ساعةً للحكم بابا

---

(٢) الديوان ص ٤٩ـ٥٠ .

وتأخذَ من كمالِ الدين عهداً ... بأنك في الحكومة لا تُحابى
وها أنا قد ضممتُ على رجاءٍ ... يدي وجلستُ أرتقِب الجوابا
لأنظر ما يكون مآلُ أمري ... أأخطأ فيه ظنّي ام اصابا
فأما أن أُضَمِّنَ فيك شعري ... ثناءً أو اضمِّنَه عِتابا(٣)

وكتب الى صديقه مسعود يطلب شرابا ، وقد شرح همه وبين له أن شفاءه في الخمرة التي يهديها اليه :

يا صديقي مسعودُ حقاً وما كلُّ صديقٍ دعوته بصديقِ
قد أحاطت بي الهمومُ وما احسِب اني من دأبها بِمُفيقِ
وشِفائي في نَشوةٍ تذر الأحزانَ من سَلسَبيلِ رَحيقِ(٤)

وكان على صلة وثقى بالعماد الأصبهاني صاحبه وصديقه في صباه في بغداد وبقيا على وداد في الكهولة وقد طوحت بالعماد الأيام الى دمشق في خدمة صلاح الدين الأيوبي فكتب اليه يطلب فروة وضمنها شعرا ومعاني حلوة مطلعه :

بأبي من ذُبتُ في الحُب له شوقاً وصَبوَهْ
كلّما زاد جَفاءً زاد من قلبيَ حَظوَهْ

ويبقى في غزل رقيق ينطلق منه الى مدح العماد ثم يقول :

قد أقام الثلج فيها شَتوةً من بعد شَتوَهْ
فَانْفِ عن جسمي أذاه ... يا أخا الجُود بِفَروَهْ(٥)

فأجابه العماد برسالة ضمنها أبياتاً على وزنها وقافيتها وأرسل معها الفروة :

بأبي معتدلَ القامة في عِطفَيْه نَشوَهْ
حاكم في مُهَجِ العُشاق لا يَقبَل رِشوَهْ

(٣) الديوان ص ٥٠ـ٥١ .
(٤) الديوان ص ٣٠٨ .
(٥) الديوان ص ٤٥٣ـ٤٥٦ .

والقصيدتان طويلتان اكتفيت للاستدلال منهما على المراسلات الاخوانية فحسب . وحين أدخله عزالدين أبو منصور ابن الوزير عضدالدين الى حمام داره ارتجل مهنئاً بما أتاه الله من نعيم وقد شبه الأمواه التي تتدفق بأرجائه بكرمه ونداه الثرّ :

حمام دارك جنةٌ لنزيله ... ما شئتَ فيه من النعيم مُيَسَّرُ
اَعداه عزُالدين منه خلائقاً ... معروفةً لقديمه لا تُنكَرُ
فبجوده تتدفق الأمواه في ... أرجائه وببأسِه تَتَسعَّرُ(٦)

وقد التمس عمادالدين أن يرسل اليه عطراً فحمله اليه مع رسوله في الحال فقال في ذلك :

فدتكَ عمادَالدين نفسي وما حوت
يميني وأهلي الأقربون وَمَعشري
نهضتَ بما كلفتُ جودَك حاملا
لأعباءِ حاجاتي نهُوضَ مُشَمِّرِ

وتأتي حكمه متناثرة بين أبيات قصائده :

فأغنَيْتَني عن كُل مُثرِ مُبَخَّلِ
وكم من غَنيٌ نفسُه نفسُ مُقتِرِ(٧)

فنستشف من مراسلاته الأخوانية ان لشخصه تأثيراً عميقاً في اخوانه وأصدقائه وربما يعزى الى منزلته الأجتماعية والأدبية أو الى وفائه والتزامه بالقيم الخلقية .

---

(٦) الديوان ص ٢١٩ .
(٧) الديوان ص ٢٠٩ .

٨ ـ أغراض اخرى :

وله في أغراض اخرى أربع وثلاثون قصيدة ومقطوعة ، منها في الاعتذار ومنها في الخمريات ومنها في الوعظ والزهد ومنها في غير ذلك :

فلنستمع اليه يعتذر لعمادالدين بن رئيس الرؤساء عن تأخره بدار الحريم في فتنة قيماز :

مولاي أنْ أنا اخرت الحضور فما
عُذري بخافٍ ولا أمري بمُشتَبَهِ
فمهدِ العُذر واعلم أنني رجلٌ
حبسُ اللصُوص مكانٌ لا أقول بهِ(١)

ومنها في الخمريات ، وقد ترسم في ذلك خطا أبي نواس في وصف الخمرة وشاربها وساقيها وآنيتها ، وهو على شكل مقطوعات مستقلة أو يأتي حلية يؤنس قصائد مديحه ومتعة تزيد في النشوى والانبساط في غزله :

قُمْ فأغتنِمْ غفلةَ الزمانِ   ما دمتَ منه على أمانِ

ويربط في ندائه بين عود الشباب الندي وبين حب الغواني :

مادامَ عودُ الشباب غَضّاً   ترغَبُ في وصلك الغَواني

وينتقل الى غرضه بطلاوة :

تفتَضُّ عذراءَ بنتَ كَرْمٍ   أنحلَها المكثُ في الدِنانِ
تضحَكُ في كأسها سُروراً   اذا بكت أعيُنُ القَناني(٢)

فقد شبه الخمرة بحسناء والدن بأنسان وتصور انسكاب الخمرة في الكأس بكاءً وسناها وما علاه من بهاءِ جُمانٍ ضَحِكاً :

---

(١) الديوان ص ٥٩ ٠

(٢) الديوان ص ٤٤٣ ٠

ولـه فيهـا :

فاستَجْلِها كَرخيّـــــةً بِنتَ الشَمامِس والأســـاقِفْ

تطرد الهموم وتبعد الأحزان ويتلذذ شاربها بهناءة وخلو بال :

حمـــراءَ صِرفـــاً لا يَطـُــو ف بِرَحْلِها للهـــم طـــائفْ
كَـــدَم الغــزال اذا بـكى راووقهـــا خِلنـــاه راعِفْ(٣)

وحين أحس بشبح الموت يدب اليه دبيبه وشعر بدنو أجله تكشفت الحياة الدنيا أمام عينيه على حقيقتها فأعرض عن مباهجها وزهد بها ونظر اليهـا بازدراء وكأنها واحدة من حسناواته اللعوبات اللواتي ضحكن عليه كثيرا وأخلفن معـه الوعود فأودعن في قلبه الحسرات من عذاب الهجر والمين والصدود :

يا خـاطب الــدنيا وأحداثُهـــا منـه ومن آمـــاله ســـاخره
هيهـات أن يدفـع عنك الردى ما شــدتَ من أبنيـــة فاخـــره
يلهـو بهـــا بعـــدك مستمتع وفي الثـرى أعظمك النــاخـــره
يا حُسنَ ما شيدتَ من منزلٍ لو كان يُغني عنـك في الآخـره(٤)

ويطوِّف مع خياله بعاطفة تسح بزهد وتقشف يلقي بعظات عسى أن يتعظ بها من لم يفته قطار الحياة ومسيرة العمل ، فلا المال ولا الحصون بمانعة لهم من الموت :

سَلْ عن الماضـين إنْ نَطقَتْ عنهـــم الأجــداثُ والبِـــركُ
أيّ دارٍ للبَـــلا نزلـــوا أو سـبيلٍ للـــردى ســـلكوا

ملكـوا الدنيـا فمـا دفـع المـوت ما حازوا ومـــا ملكـوا(٥)

وفي وعظه يدعو الى التوبة وعمل الخير ويذكر الانسان بأنه أزمع الرحيـل عن هذه الحياة وقد تنطلق به راحلته في أي لحظة وينصـح بأن يحاسب نفسه

(٣) الديوان ص ٢٨١ـ٢٨٣ ·
(٤) الديوان ص ٢١٣ ·
(٥) الديوان ص ٣٢٠ ·

على ما قدم لاخراه ويستعين بعرض صور حية لاولئك الذين انهمكوا في جمع المال الذي لم ينتفع به لاخراه ومآله للوارثين :

خُذْ مِن زمانك وانتهِزْ أيامَ صحتك الفُرصْ
تَشري المآتمِ مُغليا وتبيعُ دينك مُرتَخَصْ
أوَ ما ترى ظِلَّ الشبيبة عن عِذارك قد قَلَصْ

ويهيب بالناس وهو يصور لهم واقع حاله أن يزهدوا في هذه الحياة وان يعدوا عدتهم لرحيل لابد منه في يوم لاينفع فيه مال ولا بنون :

أعرِض عن الدُنيا المَشوبة بالنوائب والغُصَصْ
واعلمْ اذا ما زدتَ ما لاً أن عُمرَكَ قد نقَصْ
وغداً تَراه في يد الوُرّا ثِ مُقتَسَماً حِصَصْ(٦)

وفي وعظه قد قلد أبا العتاهية في قوله :

ألمْ ترَ ريبَ الدهر في كل ساعةٍ
له عارضٌ فيه المنية تلمَعُ
أيا بانيَ الدُنيا لغيرك تبتني
ويا جامع الدنيا لغيرك تجمَعُ(٧)

وحذا حذوه ٠

ومن طريف تقشفه تصويره لحاله بادئا بشباب خليع منتهياً بما آل اليه من كبر ومرض وخسران وفيه من الصور المبكية ما تشد القارىء اليها وليطيل الوقوف معها ويتخذ منها عبره :

نَعِمتُ زماناً مع المُترفِين وعشتُ أخا ثروةٍ مُوسِرا
وقَضيّتُ عُمرَ الهوى بالوصال وليلَ الصِبا بالدُمَى مُقْمِرا
طَليقَ العِنان خَليعَ العِذار أهوى الغزالَ اذا عَذَّرا

---

(٦) الديوان ص ٢٤٨ ٠

(٧) ديوان أبي العتاهية ص ٢٤٧ ٠

ثم يعرض حاله التي صار اليها عبرة وعظة :

وهـا أنـا من بعـد طـول الحيـاة والخَفَض صرتُ الى ما تـرى

وكأنه ما مر بعهد شباب فهو حلم من الأحلام :

كـأني رأيتُ زمـان الشـباب ونضـرةَ عيش بـه في الـكرى

ويصيح الشباب أنْ قفوا واتعظوا

فَقفْ بيَ مُعتَبِراً ان مـررتَ علـى جَسَدَتي وابـكِ مُستَعْبِرا

ولا تَخْـدَعَنَّ بِمُغتـَرّةٍ حَديثُ مودتِهـا مُفْتَـرَى(٨)

(٨) الديوان ص ٤٨١ .

الفصل الرابع

(شعره بين القديم والجديد)

ـ التقليد ـ التضمين ـ المعارضة

أ ـ تأثره بالقدماء :

عرفنا ان سبط ابن التعاويذي أشعر أهل عصره ولم يكن قولنا مع الهوى انما هو حكم الباحثين مجمعين على أن شعره يخاطب الأحاسيس بتوالي مقاطعه واتساق فقره :

عُرْباً فِصاحاً يَستعيرُ فَطانةً
وفصاحةً منها البليدُ الأعجَمُ
تُروَى فَتُحدِثُ في المعاطف نشوةً
فَمُديرُها طرباً بها يترنَّمُ(١)

ولا بد لنا أن نبين أن العوامل التي ساعدته على ذلك كثيرة منها ثلاثة عوامل هي :

(١) القرآن الكريم : فوقوفه على دقائق اللغة فيه وارتواؤه من فصاحته وسعة معجمه في اللفظ والمعنى وتمتعه باعجازه وجماله وانتهاله من معينه العذب النير ساعده الى حد بعيد في تكوين ملكته وابراء ذهنه وكد خاطره وملء جعبته بمفردات العربية وصقل مواهبه ·

(٢) البيئة الأدبية والعلمية التي عاش فيها : فقد عاش في عصر اتسعت فيه آفاق الثقافة وعمت كل ناحية فراح يلتهم ما وصل اليه من الشعر وأخبار أهله واللغة واستقصاء نتاج المبدعين فيها · وأخذ من الفقه نصيبا :

لا تُكذَبنْ أن الحياة عارةٌ وأيُما عاريةٍ لا تُستَرد(٢)

---

(١) الديوان ص ٣٧٤ ·

(٢) الديوان ص ١٣٥ ·

حتى آب من مفازة التتبع والاستقصاء وله أرواح في جسده •

(٣) موهبته : فقد رزق بديهة مواتية وعاطفة جياشة تموسق له في أذنيه الأصوات والمرئيات وتسري في أحاسيسه وتمتزج بلحمه ودمه • فجاء من هذا الوحي بلحن جديد فيه الشعر العذب الذي ينسجم مع الذوق السليم •

وهكذا تضافرت هذه العوامل فمزجت القديم الذي أخذه عن فحول الشعراء الذين تأثر بهم من جاهليين واسلاميين وعباسيين مع خلقه وابداعه فاختمر في قلبه وتحركت به عواطفه فأخرجه بحلة جديدة موشاة بروح العصر :

وانصبتْ لها حَضَرِيّة بدويّة الأنساب لم يُفْتَح بِشَرْواها فَمُ

ما جاورتْ ريفَ العراق وأنها بلسان حاضر طيِّءٍ تتكلمُ (٣)

بيد أن آثار سداها ولحمتها تومىء الى اولئك الذين اعطوه المواد الأولية لهذا الابداع فظهر تقليده الشعراء الذين تأثر بهم وأفاد منهم وحذا حذوهم واضحا في شعره •

واذا جاز لنا أن نسمي شدة تأثره بالشعراء الذين سبقوه تقليداً وتناسينا قول زهير ابن ابي سلمى المزني :

ما أرانا نقول الاّ معارا أو معادا من لفظنا مكرورا

فقد أخذ عنهم كثيرا • وليس بمقدورنا أن نقف في هذا الفصل على كل ما أخذه فذاك ما يحتاج الى صفحات كتاب ، بيد اننا سنكتفي بما يكفينا للاستدلال على أنه قلد من سبقه ، فقد قلّدهم ببدء القصيدة بالغزل أو الوصف أو مناجاة الأطلال وسؤال الدِمَن قبل ولوج غرضه ، وقصائده في ديوانه تعج بذلك (٤) فقد أخذ عن الشعر الجاهلي كثيرا ، فقد أخذ قوله :

---

(٣) الديوان ص ٣٧٣ •

(٤) ينظر الديوان ٢٥٨ ، ٦٨ ، ٩١ ، ١٤٨ ، ٢٠١ ، ٢٢٥ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٦٣ •

فابتَسمتْ عن لـؤلـؤ في السِلك لم يَنْفَصِلِ
كـأنهـا اذْ بـرزَتْ بيضـاء كالسَجنجـلِ(٥)

عن امرئ القيس في قوله :

مُهَفهَفَةٌ بيضـاءُ غير مُفاضةٍ ترائبهـا مصقولة كالسَجنجلِ(٦)

ومثل قولـه :

وقفتُ بها أُسائل دِمنتيهـا علَي عَيّ الرسُـومِ فأفهمتني
اذا استنجدتُ بالأطلال دمعـاً تخاذلت الشؤونُ وأسلَمتني(٧)

مأخوذ من قول امرئ القيس :

وأن شِـفائي عبـرة مُهـرَاقـةٌ
فهـل عنـد رسـم دارس من مُعـوّلِ(٨)

ومن يقرأ قوله هذا

فيـامن لِعـينِ يستَهِل غرُوبهـا
غـروباً عـلى خـدِ مـن الـدمع ذى خـدّ(٩)

يعرف أنه قريب من قول امرئ القيس :

فَفـاضتْ دمـوع العـين مني صَبابةً
عـلى النحـر حتى بلّ دمعيَ مَحْمَلي(١٠)

---

(٥) الديوان ص ٣٦١ ، ٣٦٢ ·
(٦) ديوان امرئ القيس ص ١٤٩ ·
(٧) الديوان ص ٤٤٠ ·
(٨) ديوان امرء القيس ص ١٤٤ ·
(٩) الديوان ص ١٤٨ ·
(١٠) ديوان امرئ القيس ص ١٤٥ ·

وأخــذ قولــه :

وتَساآلي بَخيــلا لا يـلَبِّي   دُعاي ورســم دارٍ لم يُجبْني[١١]

عن زهير بن أبي سلمى :

أَمِنْ أم اَوفَى دِمنةٌ لَم تَكلَّمِ   بحــومانة الـدراج فالمتثلّــمِ[١٢]

ومثل قولــه :

سَـمَحَتْ لـدمعي للــديار مُســائِلا

رســومَ الهوى لو ان تَسآلها يُجدي[١٣]

مأخوذ عن لبيد بن أبي ربيعــة :

فوقفتُ أسألُها وكيف سؤالُنـا   صُماً خوالــدَ ما يَبِينُ كلامُهـا[١٤]

ويرى ابن خلكان أنه أخذ قوله :

أن تَنقمي سُـقمي فخَصْـرُكِ ناحـل

أو تُنـكِري شَيبي فثغـركِ اشنَبُ[١٥]

عن النابغة الذبياني :

ولا عيبَ فيهــم غـير أن ســيوفهم

بهـن فلـول مـن قِـراع الـكتائبِ[١٦]

وقد علق ابن خلكان بقوله (انــه ظن بقولــه « فثغرك أشنب » ان الشنب البياض وليس كما ظن فانه حدة الأسنان وهو دليل الحداثة)[١٧] .

---

(١١) الديوان ص ٤٤٠ .

(١٢) ديوان زهير ص ٤ .

(١٣) الديوان ص ١٤٨ .

(١٤) ديوان لبيد ص ٢٩٩ .

(١٥) الديوان ص ٢٣ .

(١٦) ديوان النابغة ص ١١ .

(١٧) نسمة السحر ورقة ٣٤٨ .

وقولـــه :

لـك ذُروة البيت العتيـق عمـــاده
ومُقلّـدُ السيف الطـويل نِجـادهُ(١٨)

وقولـــه :

طويل نجـادِ السيف في حـومة الوغى
رحيبُ مجـال البـاع والهـم في الأزل(١٩)

مأخوذ ان عن الخنساء :

طويل النجـاد رفيـع العمـاد ســـاد عشـيرته أمـــردا(٢٠)

وأخذ قولـــه :

لكُمُ المحتِدُ المقدّسُ والمجـــد القُـدَامى والعـزةُ القعســـاء(٢١)

عن الفـرزدق :

لنا العـزة القعسـاءُ والعـــدد الـذي
عليـــه اذا عُـــدَّ الحصـى يتخلـف(٢٢)

وقولـــه :

يا منـــزلاً باللِـوى أقـــوى معالِمُـــه
لـم يعْفُ وَجـدي على سـكانه وعفـــا(٢٣)

عن النابغة الذبياني :

يا دارَ ميّــةَ بالعليـاءِ فالسندِ أقوتْ وطال عليها سـالف الأبدِ(٢٤)

---

(١٨) الديوان ص ١٢٨ ٠
(١٩) الديوان ص ١٣٩ ٠
(٢٠) ديوان الخنساء ص ٣٠ ٠
(٢١) الديوان ص ٢ ٠
(٢٢) ديوان الفرزدق ٢/٣٢ ٠
(٢٣) الديوان ص ٢٩١ ٠
(٢٤) ديوان النابغة ص ٣٠ ٠

وقصيدته التي مطلعها :

يا سميَّ النبي يا ابن علي قامعِ الشرك والبتول الطهور (٢٥)

تشبه أبيات ابن منير (٢٦) في المعنى والفكرة التي مطلعها :

عذبتَ طرفي بالسهر وأذبتَ قلبي بالفِكر (٢٧)

أما قصيدته التي يصف بها كثرة عياله ومطلعها :

خليفةَ اللهِ أنت في الدين والدنيا وأمر الاسلام مُضطَلِعُ (٢٨)

فقد أخذها عن ابن الرومي في وصف كثرة عياله :

ومبيتي بلا ضجيع لدى القرّ واللوغد شادن مخضوبُ
من عذيري من دولة يدي َ المنكوح فيها ورجلي المنكوبُ
لي مكان الحمار عند الفتى الماجد بغل أو بغلة سرحوبُ (٢٩)

وقوله :

هم أكرمُ الناس وأنداهم بُطونَ راحِ (٣٠)

مأخوذ عن قول جرير :

ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ (٣١)

وأخذ قوله في الوعظ :

---

(٢٥) الديوان ص ٢١٤ .

(٢٦) هو احمد بن منير الطرابلسي اديب وشاعر مرهوب اللسان . ولد في طرابلس الشام وتوفي سنة ٥٤٨ (وفيات الاعيان ١٣٩/١ .)

(٢٧) المستطرف في كل فن مستطرف للابشيهي ١٢٤/٢ .

(٢٨) الديوان ص ٢٧٢ .

(٢٩) ديوان ابن الرومي ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٣٠) الديوان ص ٨٨ .

(٣١) ديوان جرير ، ص ٧٧ .

يا خاطبَ الدنيا وأحداثها ... منه ومن أمثاله ساخره
هيهات أن يدافع عنك الردى ... ما شيدتَ من أبنية فاخره(٣٢)

وقوله :

سَلْ عن الماضين ان نَطَقَتْ ... عنهم الأجداثُ والبِركُ
ملكوا الدنيا فما دفع الموتَ ما حازوا وما ملكوا(٣٣)

عن أبي العتاهية في قوله :

لِدوا للموت وابنوا للخَراب ... فكلكم يصير الى ذهابِ
الا يا موت لم أرَ منك بُداً ... أتيتَ وما تحيف وما تحابي(٣٤)

وفي قوله :

لا تأمنِ الموتَ في طرف ولا نفسٍ ... ولو تسترتَ بالأبواب والحرسِ
وأعلم بأنَّ سهام الموت قاصدة ... لكل مُدَّرِعٍ منا ومُتترسِ(٣٥)

وقوله :

وما شَغَفي برمال العقيق ... ولكنْ بمن حلَّ تلك الرمالا(٣٦)

عن قيس بن الملوح :

أَمرُ على الديار ديارِ ليلى ... أُقبلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا
وما حب الديار شَغَفْنَ قلبي ... ولكنْ حبُ من سكنَ الديارا(٣٧)

---

(٣٢) الديوان ص ٢١٣ .
(٣٣) الديوان ص ٣٢٠ .
(٣٤) ديوان أبي العتاهية ص ٤٦ .
(٣٥) ديوان أبي العتاهية ص ٢٣٠ .
(٣٦) الديوان ص ٤٦٩ .
(٣٧) ديوان قيس ص ١٦٩ .

وقلد أبا نواس في خمرياته فقد أخذ قوله :

أدِرْ كأس المُدام عليَّ صِرفاً ... ولا تفسِدْ كؤوسك بالمِزاجِ
فقد حان الصبوح وحَنَّ قلبي ... الى عذراءَ ترقُصُ في الزجاجِ
ودونك فاقتبِسْ بالرطلِ منها ... سنا يُغنيكَ عن ضوْءِ السِراجِ
فهذا الديكُ عن طربٍ ينادي ... ويَخْطُرُ بين أكليلٍ وتاجِ (٣٨)

من أبي نواس في قوله :

ذكر الصَبوحَ بسَحْرةٍ فارتاحا ... وأملّه ديكُ الصباح صياحا
قال: ابغني المصباحَ، قلت له: إتئِدْ ... حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا
من قهوة جاءتكَ قبل مِزاجها ... عَطلا فألبسها المزاجُ وشاحا
صفراءَ تفترسُ النفوس فلا ترى ... منها بهنَّ سوى السِنات جراحا (٣٩)

وأخذ قوله :

فاستجْلِها ... كرخيةً ... بنت الشمامس والأساقفْ
حمراءُ صِرفاً لا يطوفُ ... برحلها للهم طائفْ
كدم الغزال اذا بكى ... راووقُها خلناه راعفْ
واذا عكفْتَ فلا تكن ... الا على الصهباءِ عاكفْ

عن أبي نواس في قوله :

نازعْتُه صهباءَ كرخيةً ... قد حُلِبَتْ من كَرْمِ حَرّاثِ (٤١)

وفي قوله :

لا تبكِ ليلى ولا تَطْرب الى هند
واشربْ على الوَرْدِ من حمراءَ كالورد

---

(٣٨) الديوان ص ٧٦ .
(٣٩) ديوان ابي نواس ص ٢ .
(٤٠) الديوان ص ٢٨٢ .
(٤١) ديوان ابي نواس ص ٢٥ .

فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة
من كف جارية ممشوقة القد[42]

وفي قوله :

ومستطيل عن الصهباء باكرها في فتية باصطباح الراح حذاق[43]

وأخذ قوله :

عانسة تجلى على الشماس تروي أحاديث أبي نواس[44]

وقوله :

تفتض عذراء بنت كرم أنحلها المكث في الدنان
تضحك في كأسها سروراً اذا بكت أعين القناني
ما رقصت في الكؤوس إلا نقطها المزج بالجمان[45]

من أبي نواس في قوله :

هي الصباح تخيل الليل صفوتها
اذا رمت بشرار كاليواقيت
قلنا لها كم لها في الدن قد حجبت
قالت : قد اتخذت من عهد طالوت[46]

وفي قوله :

هي الشمس الا ان للشمس وقدة
وقهوتنا في كل حسن تفوقها[47]

---

(42) ديوان ابي نواس ص ٢٧ .
(43) ديوان ابي نواس ص ٢٠٤ .
(44) الديوان ص ٤٨٥ .
(45) الديوان ص ٤٤٣ .
(46) ديوان ابي نواس ص ٣٩٠ .
(47) ديوان ابي نواس ص ٩ .

وأخـذ قولـه :

يجمع اللينَ بالشراسة من أخلاقـه الغـرِ بـين صـابٍ وشـُهدِ
هو كالغيث يمـلأ الأرضَ جَدْواه فسيانَ منـه قُربي وبُعْدي(٤٨)

عن أبي نواس :

حَذرَ امرىءٍ قَصُرت يَـداه عن العِدى
كالـدهرِ فيـه شـراسة ولِيـان(٤٩)

وأخـذ قولـه:

وكـأنَّ إيمـاضَ السـيوفِ بـوارقٌ
وعجـاجَ خيلِهـم سـحابٌ مظلـمُ(٥٠)

عن بشار بن برد :

كأن مُثـار النقـع فـوق رؤوسـنا
وأسـيافَنا ليـل تَهـاوى كواكبـه(٥١)

وأخـذ قولـه :

وتَعلـمْ لا تلقتكَ مـن الأيـام نبـوه
أنني مـا زكتُ ذاتيـةٍ مـع العـدم ونخـوه
قـل أنْ أضـرع او اركـبَ للأطمـاع صهْـوه
ذا ابـاءٍ آخـذُ الـرزْ قَ بحَد السيف عَنْـوه(٥٢)

عن المتنبي :

غثاثةُ عيْشي أن تَغثَّ كرامتي وليس بِغثٍ أن تَغثَّ المآكلُ(٥٣)

---

(٤٨) الديوان ص ١٣٤ .
(٤٩) ديون ابي نواس ٤٠٦ .
(٥٠) الديوان ص ٣٧٢ .
(٥١) ديوان بشار بن برد ص ٤٦ .
(٥٢) الديوان ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .
(٥٣) ديوان المتنبي ص ٣٤ .

وفي قولـه :

تُحتَقَـرُ عنـــدي همتـي كـلّ مطلَب
ويَقصُرُ في عيني المَـدى المتطـــاوِلُ

ومـا زلت طَـــوداً لا تـــزول مناكبي
الى أن بَـــدت للضيـــم فيّ زلازلُ(٥٤)

وأخذ قولـــه :

ســعيتُ الى الغِنى وجَهَـدتُ نفسي
فلم أحصُـلْ عـلى غـيرِ العناءِ(٥٥)

عن المتنبي :

ضـاق صـدري وطال في طلـب الـرز
ق قيـامـي وقـــلّ عنـه قُعـــودي

أبـــداً أقطـعُ البـــلاد ونجمي
في نُحـــوس وهِمتِي في صُعـــودي(٥٦)

ومثـال قولـه :

ســربُ مَهـــا أمْ دُمى مَحـــاريب
أم فتيـــاتُ الحـــي الأعـــاريبِ(٥٧)

قول المتنبي :

مَنِ الجآذرُ في زِي الأعـاريب   حُمْرُ الحِـلِي والمطـايا والجلابيب(٥٨)

وأخذ قولــه :

---

(٥٤) ديوان المتنبي ص ٣٤ ٠

(٥٥) الديوان ص ١٤ ٠

(٥٦) ديوان المتنبي ص ٢١ ٠

(٥٧) الديوان ص ١٨ ٠

(٥٨) ديوان المتنبي ص ٤٤٨ ٠

الى كم تمضغُ الأيامُ لحمي ويَعرُقُني لها ظُفرٌ ونابُ
تنوعت المصائب والرزايا وأمري في تفلبها عُجابْ(٥٩)

وأخذ قوله :

وما أنا من يُروِّعهُ اغترابٌ ولا يعتاقه وطنٌ ودارُ
على أني وان جرّدْتُ عزماً وقلْباً لا يُراعُ فَيُستَطارُ(٦٠)

عن المتنبي :

وإنا لنلقَى الحادثاتِ بأنفسٍ كثيرُ الرزايا عندهن قليلُ(٦١)

وقوله :

الحمد لله عُوفيَ الكرمُ وانبعثتَ بالخواطر الهِمَم(٦٢)

وقوله :

اذا عُوفيتَ عُوفِيَ الخَلْقُ طراً وأمسوا سالمين من المعاطبْ(٦٣)

عن المتنبي :

المجدُ عوفِي اذ عُوفيتَ والكرمُ وزال عنك الى أعدائك الألمُ(٦٤)

وأخذ قوله :

أيا مولايَ مجدَ الدين يا من اليه ومنه بثي واشتكائي(٦٥)

عن المتنبي :

يا أعدلَ الناس الا في معاملَتي فيك الخِصامُ وأنت الخصم والحكمْ(٦٦)

---

(٥٩) الديوان ص ٣٧ ٠
(٦٠) الديوان ص ٢٠٢ ٠
(٦١) ديوان المتنبي ص ٣٦٠ ٠
(٦٢) الديوان ص ٣٨٣ ٠
(٦٣) الديوان ص ١٧ ٠
(٦٤) ديوان المتنبي ص ٣٦٤ ٠
(٦٥) الديوان ص ١٣ ٠
(٦٦) ديوان المتنبي ص ٣٣٢ ٠

وأخذ قوله :

وأبوك الذي بدعوته في المحل دَرّتْ على البلاد السماءُ(٦٧)
هو خير الأنام بعد رسول الله أَفتتْ بذلك الفقهاءُ(٦٨)

عن الشريف الرضي :

وأبوكم العباسُ ما استسقى به بعد القُنوطِ قبائلٌ الاّ سُقوا
بعج الغمامَ بدعوة مسموعة فأجابه شَرْقٌ البوارق مُغْدِقُ(٦٩)

وأخذ قوله في هجاء بغداد :

فكيف رَضيتُ دارَ الهُون داراً ومثلي لا يُرَوِّعه اغترابُ(٧٠)

لحا اللهُ بغدادَ من موطنٍ به كل مكرُمة تُفقَدُ(٧١)

لئن ضاقت بي الزوراءُ داراً فما ضاقت بلادُ الله عني
سئِمتُ من الثَواء بدار ذُلٍ اجَررُ ذَيْلَ منقصة ووهن(٧٢)

وقوله :

ولله درُّ أخي عَزمَةٍ رأى الضيمَ في موطن فاغتربْ
فمالي رَضيتُ بدار الهَوانِ كأنْ ليس في الأرض مُضْطَربْ(٧٣)

عن الطغرائي في هجائه بغداد في قوله :

---

(٦٧)في عهد الخليفة عمر (ر) انقطع المطر واستغاث الناس وجاءوا عمر (ر) وطلبوا اليه أن يستسقي لهم ، فقال لهم اذهبوا الى العباس بن عبدالمطلب فذهبوا ودعا ربه فنزل المطر غزيرا فسقى القوم ورووا ٠

(٦٨) الديوان ص ٢ ٠

(٦٩) ديوان الشريف الرضي ٢/٤١ ٠

(٧٠) الديوان ص ٣٧ ٠

(٧١) الديوان ص ١٤٠ ٠

(٧٢) الديوان ص ٤٤٠ ، ٤٤١ ٠

(٧٣) الديوان ص ٢٧ ، ٢٨ ٠

فيمَ الإقامةُ بالزوراءِ لا سكَني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
فلا صديقَ اليه أشتكي حزَني ولا أنيسَ اليه منتهى جذلي[٧٤]

وفي قولــه :

مللتُ ثوائي بالعــراق وملّني رفاقي وكانوا بالعــراق طرابا
هو الرَبعُ لم يُخلقْ بنوه أعزة كراما ولـم تنبت قناه صلابا[٧٥]

وأخـذ قولـه :

أناديك مرجوا بسدِ خصاصتي ومثلك من لبّى نداه ندائي[٧٦]

وقولــه :

زمـانِ نفـاق يُهــابُ الثراءُ في أهلـــه ويُهانُ النسبْ
فكـم لـي مـن تِـره عنــدَه ومــن طيّ أيامِـــه مـن أرَبْ[٧٧]

عن الطغرائي :

أُريدُ بسطةَ كفٍّ استعينُ بها على قضـاء حقـوق للعُلى قِبَلي
والدهر يعكِسُ آمالي ويُقنِعُني من الغنيمة بعد الكد بالقفَلِ[٧٨]

ومثل قولــه :

هَـرِمَ الحـظ فقـد قـارب في الحـاجـات خطـــوه
لا تـــراه أبـــداً إلاّ مـــع الجُهــال صبِـــفوَه[٧٩]

---

(٧٤) ديوان الطغرائي ص ٥٤ .
(٧٥) ديوان الطغرائي ص ٥٧ .
(٧٦) الديوان ص ٧ .
(٧٧) الديوان ص ٢٧ .
(٧٨) ديوان الطغرائي ص ٥٤ .
(٧٩) الديوان ص ٤٥٦ .

قول الطغرائي :

أَهَبْتُ بالحظِ لو ناديت مُستمِعاً
والحظُ عنيَ بالجُهال في شغل(٨٠)

وأخذ قوله :

أأظمى ودوني من حِياض محمدٍ
مناهلُ جود ماؤها غَلَلٌ سكْبُ(٨١)

وقوله :

أيا عضدالدين شكوى فتى   على دهره واجدٍ عاتب
فمالك أعداكَ طبعُ الزمانِ   فجزتَ عن السَنَن اللاحِبِ(٨٢)

من الطغرائي :

ألا يا مُعينَ المُلك دعوةَ عاتبٍ   على الدهر أوهَى مروتيه القوارِع
أأُقْصَى ويُدْعَى منسواي وانثني   بريح وفي حظي لديك وضائعُ
ومالكَ تزوي الوجه عني وَتنزوي   ووجهُك وضاحٌ ونَشرك ضائعُ(٨٣)

ومثال قوله :

الى كم تمضغُ الأيامَ لحمي   ويَعْرقُني لها ظُفرٌ ونابُ(٨٤)

قول الطغرائي :

أقرل وصرف الدهر يحرق نابَهُ   عليَّ وتستولي علي فواتُره
وقد صرّدّت في جانبي نباله   واولع بي أنيابه وأظافره(٨٥)

---

(٨٠) ديوان الطغرائي ص ٥٥ .
(٨١) الديوان ص ٣٣ .
(٨٢) الديوان ص ٤٣ .
(٨٣) ديوان الطغرائي ص ٤٤ .
(٨٤) الديوان ص ٣٧ .
(٨٥) ديوان الطغرائي ص ٥٠ .

وأخـذ قولـه :

وقائلـةٍ مالي رأيتـك مُعدَمـاً — ومثلك لا تخشى الكسادَ بضائعُه
فقلتُ الذي كنـا نعيش بفضلـه — ونحن موالي جـوده وصنائعُـه
رَمتْه الليـالي عن ذخـائر ماله — بفادح خَطبٍ مُسْلَمٍ مَنْ يقارعه
فلا تعجبي من سـوء حالي فانـه — اذا غاضَ ماء البحر ماتت ضفادعه(٨٦)

من الطغرائي :

لقد كنتُ في غيطاءَ ممطولة النَدى — يبيت عليها النجـم وهي تساهره
فلما رمـاه الدهر أصبحتْ بعده — بمستنٍ سيل الذل تطغى زواخره(٨٧)

وأخـذ قولـه :

لحـا الله المـكاسب والمسـاعي — اذا أفضى الى الضَـرْعِ اكتساب(٨٨)

وقولـــه :

ذا إبـاءٍ آخُــذُ الــرزقُ بحَــدِ السيف عَنْــوه(٨٩)

عن الطغـرائي :

رِضَى الـذليلِ بخفض العيش مسـكنة
والعـزُ عنـد رسـيم الأنيـقِ الذلـل
فادرأ بها في نحـور البيـد جافلـة
معـارضات مثاني اللجـم بالجـدل(٩٠)

وكثيرا ما نجد أبياتا أو صدر البيت او عجزه مقتبساً او آيات من القرآن

---

(٨٦) الديوان ص ٢٦٨ـ٢٦٩ .
(٨٧) ديوان الطغرائي ص ٥١ .
(٨٨) الديوان ص ٣٧ .
(٨٩) الديوان ص ٤٥٦ .
(٩٠) ديوان الطغرائي ص ٥٥ .

الكريم فقولـه :

نجـلاءُ لا النافثـاتُ تبلغُ مـا　　يَبلغُه سـحرُها ولا العُقَـدُ(٩١)

من قوله تعالى في سورة الفلق :

« قل أعوذ برب الفلق من شـر ما خلق ومن شـر غاسـق اذا وقب ومن شـر النفاثات في العقد ومن شـر حاسد اذا حسد » .

وقولـه :

ملكَتْها يداك واللهُ يُؤتِي　　مُلكَه من عبـاده مَنْ يشـاءُ(٩٢)

من قوله تعالى في سورة آل عمران :

« قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء » الآية .

وقولـه :

يرمـي العـدوَّ بسهمها　　فلكـل شـيطان شِـهاب(٩٣)

من قوله تعالى في سورة تبارك :

« ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين » .

وقولـه :

لأغتفِرَنَّ ما أبقَتْـهُ عنـدي　　اساءتُهُن والحسناتُ تَمحـو(٩٤)

من قوله تعالى :

« ان الحسنات يُذهبن السيئات »

---

(٩١) الديوان ص ١٥٢ .
(٩٢) الديوان ص ٢ .
(٩٣) الديوان ص ٥٦ .
(٩٤) الديوان ص ١٠٣ .

وقولـــه :

بك عاذتْ من شر شيطانه الوَســواس ومكــره الخنـــاس[٩٥]

من قوله تعالى :

« قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » . (سورة الناس) .

وقولـــه :

ألا ليت شــعري هل ابيتن ليلـة
وما أنــا من نأي الحبيب عـلى وعـــدِ[٩٦]

مقتبس صدره من قول جميل بثينة :

ألا ليت شــعري هـــل أبيتَنّ ليلـــة
بــوادي القُــرى ؟ اني اذن لسـعيدُ[٩٧]

وقولـــه :

رويـدك ان المـــال غـــادٍ ورائـحٌ
ومن شِــيَم الـدهر العَطيةُ والسَلْبُ[٩٨]

وقولـــه :

رآه ابقَـــى عتـــــادٍ   والمـالُ غـــادٍ ورائـــحٌ[٩٩]

مقتبس من قول السموأل :

خليلـــي أن المـال غـــادٍ ورائـــح
ويبقى مـن المـــال الأقـــاويلُ والـذكر

---

(٩٥) الديوان ص ٢٣٩ .

(٩٦) الديوان ص ١٤٨ .

(٩٧) ديوان جميل بثينة ص ١٦ .

(٩٨) الديوان ص ٣٢ .

(٩٩) الديوان ص ٩٣ .

ووجدناه متأثرا تأثيرا بعيدا بمهيار الديلمي ومن ينظر في شعريهما يجد مجانسة كبيرة في اللفظ والمعاني المطروقة والتشبيهات والصنعة ، ويكلفنا عرض كل ما أخذ عنه كثيراً غير اننا نضع مثالا لما أخذه عنه في مثل قوله :

الى كم تمضغ الأيامُ لحمي ويُعرقني لها ظفرٌ ونابُ(١٠٠)

وقوله :

اذا كُلُومُ الهَمّ داويتُها عاد لها من جَوْرِهِ قارِفُ(١٠١)

عن مهيار عي قوله :

تَفَرّى أديمي وهو بُتْرٌ شِفارُهُ
وجافَتْ جروحي وهو صُمٌّ مخالِبه
نُدوبٌ تَقَفَّي هذه عُقْبَ هذه
وداءٌ اذا ما باخَ أوقدَ صاحبه(١٠٢)

وأخذ قوله وهو يعتذر لعضدالدين ابن رئيس الرؤساء :

لئن أخرتني الحادثات وقَصّرَتْ
خُطايَ الليالي واستلانَ تَجلُّدِي
فما فاتني شيءٌ يطول تأسفي
عليه سوى لقياك يا ابن محمدِ(١٠٣)

من مهيار في قوله يخاطب أبا القاسم سعد بن أحمد بن الوزير الكافي :

لئن أخرتني عن فنائكما التي
عَتبتُ لها دهري فلم يُجدِ عَتْبُهُ

---

(١٠٠) الديوان ص ٣٧ .
(١٠١) الديوان ص ٢٩٥ .
(١٠٢) ديوان مهيار ١/٧٢ .
(١٠٣) الديوان ص ١٤٧ .

وسوّفني رؤياكما فما لطّ بي
فعادته في أخذ حقي غصبه
فيا ليته أدنى مزاريَ منكما
وأهلي مَرعاه وداريَ نَهبُه(١٠٤)

ومن أول شعر ابن التعاويذي قصيدة يمدح بها أبا الفرج عبدالله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء سنة سبع وأربعين وخمسمائة الهجرية ومطلعها :

قمْ قبل إسفار الصباح   قُمْ فاكسُ راحك كأسَ راح(١٠٥)

وقد قلد بها قصيدة مهيار التي كتب بها الى الأستاذ أبي طالب بن أيوب في عيد الأضحى ومطلعها :

لِمَنِ الحمول بجو « ضاحي »   من باكرٍ غَلسا وضاحي(١٠٦)

فقد أخذ عنه ألفاظا كاملة واستعملها في معناها الحسن ويقلده في حنينه على أماكن حبه ولهوه ، ولننعم النظر في قصيدة ابن التعاويذي التي مطلعها :

أترى تعود لنا كما   كانت ليالي الأبرقين
فنَتكرُ عاطِفَةً بوصلٍ   واجتماع من لُبيَيْنِ
يا دينَ قلبكَ من ظباءٍ   لا يرَيْنَ قضاءَ دَيْنِ
المُخلِفاتُ كأنهنّ   خُلِقنَ من وَعدٍ ومَيْنِ

هيهات صاح بشمل جيرتك الجميع غُرابُ بَيْنِ(١٠٧)

ونقرأ قصيدة مهيار ومطلعها :

طافَ عليه بالرقمتين   طيف على النأي من لبين
كأن ساقي النعاس عاطى   عيونَهم بنتَ « رأس عين »

---

(١٠٤) ديوان مهيار ص ١/١١
(١٠٥) الديوان ص ٨٩ ٠
(١٠٦) ديوان مهيار ١/١٨٨ ٠
(١٠٧) الديوان ص ٤٣٥-٤٣٨ ٠

جـدَّدَ منـا ، وقــال خـــيراً سَـــرٌ ، وإنْ قال قولَ مَيْـن
ثــم أطـــار الـدجى فطــارت بـه جنـاحاً غـراب « بَيْـن »(١٠٨)

فالقصيدتان قافيتهما واحدة ، والمعنى في كلتيهما واحد ، مما يدل على شدة تأثره به وأخذه عنه ، وفي قصائد اخرى يشبب « بظمياء » التي شبب بها مهيار قبله وغير هذا من التقليد والمحاكاة شي كثير .

لقد عارض شاعرنا كثيرا من القصائد للشعراء الذين اعجب بهم ، فحين أراد أن يمدح عضدالدين ابن المظفر ابن رئيس الرؤساء ويهنئه بالعودة الى الوزارة بعد انتصاره على خصومه الأتراك وجد أن قصيدة الشريف الرضي ، محمد بن الحسين (٣٥٩ـ٤٠٦هـ) التي مـدح بهـا القادر بالله خير ما يعبـر بها عـن عواطفـه فأقتبس من المعاني والأخيلة والألفاظ ونظم على وزنها وقافيتها قصيدة مطلعها :

الدَّستُ من لألاءِ وَجهِكَ مُشــرِقُ
وعـــلى الـوزارة من جـلالك رونـــق(١٠٩)

وقد استهلها بالمديح مباشرة ، بينما استهل الشريف الرضي مديحه بالغزل :

لِمن الحُـدوجَ تَهـزُهُنَّ الأنيـــقُ
والــركب يطفـــو في السرابِ ويَغرَقُ(١١٠)

ويرى ان الخلافة حق من حقوق ممدوحه وبه مزدانة :

ودعـــوا مجاذبـةَ للخـلافة انهـــا
أرَجٌ بغــــير ثنائهـــم لا يَعْبَـــقُ

وابن التعاويذي يرى ذلك في ممدوحه :

أنتـم وإنْ رغِـمَ العِـدَى وُراثهـــا
قِـــدْماً وغـــيركم الـدَّعِي المُلْحَقُ

---

(١٠٨) ديوان مهيار ١١٢/٤ .
(١٠٩) الديوان ص ٢٩٦ ، ٢٩٨ .
(١١٠) ديوان الشريف الرضي ص ٣٩/٢ ـ ٤٢ .

ولمجدكم خيطتْ ملابس فَخْرِها

فبغير نِعمة طيبكم لا تَعْبَقُ(١١١)

والشريف يمدح كرم القادر واصفاً الحجيج من الخراسانيين الذين قصدوه فاستقبلهم عموماً ، ووصف ظمأهم الى كرمه :ــ

كنقانق الظلمان أعجلها الدُجى

وحدا بها زَجَلُ الرواعد مُبرقُ

يَطْلُبنَ زائدة المكارم والنَدى

حيث استقر بها العَلاءُ المُعْرقُ(١١٢)

وشاعرنا يقول في كرم ممدوحه وجوده :

وكأنَ كفك ديمةٌ مِدرارة وضياءَ وجهكَ برقُها المتألقُ

وينهي شاعرنا مدحته بالفخر بشعره وبالدعاء لممدوحه بالسعادة :

فاسحَب فُضُولَ سعادة أمامُها لا تَنْقَضي وجديدها لا يُخلِق

بينما الشريف الرضي يختمها بالفخر بحسبه ونسبه ، وبأنه ند للخليفة :

عطفاً أمير المؤمنين فأننا في دوحة العلياء لا نتفرقُ

وقد التقى الشاعران في تقرير أن الحكم لا يزدان الا بممدوحه وبقومه المعرقين في الرياسة والمجد المؤثل وينعته بالكرم والشجاعة النادرة ، وافترقا في استهلال القصيدة وفي ختامها ، والقصيدتان جيدتان ولكن الشريف أطول نفَساً ، فقد بلغت أبيات قصيدته اثنين وخمسين بيتا بينما بلغت قصيدة ابن التعاويذي اثنين وثلاثين بيتاً ، وامتاز اسلوبهما بالرصانة وفخامة التعبير والخيال الواسع والصور المتلاحقة وحرارة العاطفة ومطابقة اللفظ للمعنى والوضوح التام ٠

ومن معارضاته همزيته التي يمدح بها الامام المستضيء مطلعها :

خَجِلَتْ من عطايك الأنواءُ وتجلتْ بنورك الظَلْماءُ(١١٣)

---

(١١١) الديوان ص ٢٩٦ ــ ٢٩٨ ٠

(١١٢) ديوان الشريف الرضي ص ٢/ ٤٠ ٠

(١١٣) الديوان ص ١ ــ ٦ ٠

وقد استهلها بالمديح مباشرة وقد عارض بها همزية الحارث بن حلزة اليشكري التي بدأها بالغزل مطلعها :

آذنتنــا ببينهــا أسـماءُ رب ثـاوٍ يـُمـَلُّ منه الثـَّـواءُ(١١٤)

ويستمر اليشكري بالغزل ثم يعرج الى همه الـذي أولـدته أنبـاء وصلتـه وعشيرته عن ادعاءات التغلبيين بلسان شاعرهم عمرو بن كلثوم ويتهدد ويتوعد :

وأتانا عن الأراقـم أنبـا ءٌ وخطـْبٌ نـُعنـَى به ونسـاءُ
إن اخواننـا الأراقمَ يغلـُـو نَ علينـا في قيلهـم اخفـاءُ
لا تـَخلـْنا عـلى غـراتِك انــا قـَبلُ ما قد وشى بنا الأعداءُ

ويمضي في هذا التجريح والوعيد الى آخر قصيدته التي بلغت خمسة وثمانين بيتاً أما شاعرنا فينتقل في مدحه فيصف خبر نصر المسلمين على الروم بقوله :

خبــرٌ طبـَّقتْ بشـائرُه الأر ضَ فمنـه السـَّراء والضـَّـراءُ
فهو في الـروم والكنائس رُزءٌ وهو في الشام والعراق هـَنـاءُ
وتـَراهُ في سـمع قـوم نعيـّـا وهـو في سـَمع آخـرين غـِنـاءُ

ويحث ممدوحه على تطهير خراسان من العصاة ويتحمس في وصف جيشه الذي حالفه النصر :

ولـَيـُوفـِي على أقاصي خـُراسا نَ غـداً منـك غـارةٌ شـَـعـْواءُ

ثم يختتمها بالفخر بشعره • والقصيدتان طابعهما الوضوح التام والجنوح الى الفخر والتعريض بالأعداء وبطول النفس ، وقد بلغت عند ابن التعاويذي سبعة وثمانين بيتاً وبرأيي انها أجود من قصيدة اليشكري من حيث قوة السبك والصور المتلاحقة والأخيلة واختيار الألفاظ قوة ورقة •

وما زلنا في ذكر إقتفاء شاعرنا لشعراء سبقوه فلا مندوحة من الوقوف مع قصيدته التي يمدح بها عضدالدين وقد استهلها بالغزل :

---

(١١٤) المعلقات العشر ص ٤٣١ •

أَلِفَجْرِ ليلِكَ بالثَّنيَّةِ مَطلَعُ
ولمَّا انقضى من عَهدِ رامةَ مرجِعُ(١١٥)

وقد وازن بها قصيدة صَّر درّ (١١٦) التي يمدح بها عميد الدولة محمد بن جهير ويهنئه باستخلافه على الوزارة وقد بدأها بالغزل :

قد بانَ عذرُكَ والخليطُ مودِّعُ
وَهوَى النفوس مع الهوادج يُرفَعُ(١١٧)

ويتناول كرمه وأياديه البيضاء على كل طالب ومحتاج :

مَن عِندَه الظلُ الظليل ومنهلُ الـ
ـعذب المُصفَّق والجَنابُ المُمرِعُ
يَقِفُ الثَناءُ عليه وقفَةَ حائرٍ
مما تُسنُّ له يَداه وتَشرَعُ

وابن التعاويذي يتناول كرم ممدوحه وكَثرةَ عطاياه :

خُلِقَتْ يداكَ على النَدى مطبوعةً
كرماً وغيرُكَ بالنَدى يتطَبَّعُ

ويصف صر در قوة بأس ممدوحه وصلابة عزيمته :

وله عزائمُ ضاقَ عنها ذَرعُه
كالسيل غَصَّ به الطريق المَهْيَعُ(١١٨)

---

(١١٥) الديوان ص ٢٦٤ ـ ٢٦٨ .

(١١٦) هو الرئيس ابو منصور علي بن الحسن بن الفضل الكاتب المشهور ب (صرَّ درَّ) بالفتح وبرواية ياقوت في معجم الادباء بضم الصاد والدال . وكان يلقب ب (صر بعر) لشح أبيه وبخله فلما نبغ علي ابنه وبلغ من الشهرة ما بلغ قيل له (صرَّ درَّ) توفي سنة ٤٦٥ (النجوم الزاهرة ٥/٩٤) .

(١١٧) ديوان صرَّ درَّ ص ٦٧ ـ ٧٤ .

(١١٨) المهيع ـ الواسع .

أما ابن التعاويذي فيقول في ممدوحه بمثل هذا :

واستخدَموا الأيامَ واقتعدُوا على
صَهَواتِها والدهرُ طِفلٌ يَرضَعُ

فمعاني القصيدتين مستمدة من منبع واحد والصور متشابهة عند الشاعرين ، ووصف الفتيات والتشبيه بجمالهن جيد عندهما ، ونفساهما متساويان مع جودة الانتقال من غرض الى غرض ، ولو أنه عند ابن التعاويذي أرجح سلامة منه عند صرّدر واسلوبهما جزل وألفاظهما صارمة في الحماس والفخر ، رقيقة سلسة في الوصف والغزل .

ومن المفيد أن نقف مع نونية سبط ابن التعاويذي التي وازن بها قصيدة صرّدر يمدح بها الوزير عميد الملك « الكندري » (١١٩) مطلعها :

أكذا يُجازى ودُّ كلِ قرينِ
أم هذه شِيَمُ الظِباءِ العِينِ (١٢٠)

وقد بدأها بالغزل الذي طالت وقفته عنده لخمسة وعشرين بيتاً ، حيث ينفذ الى ممدوحه :

هذا الطريق اللَّجْبُ زاجرُ ناقتي
واليمُّ قاذِفُ فُلْكيَ المَشحونِ
فاذا « عميدُ الملكِ » حَلاّ ربعَه
ظَفِراً بفألِ الطائر الميمونِ
ملك اذا ما العزمُ حثَّ جيادَه
مرحت بأزهرَ شامِخ العرنين

---

(١١٩) الكندري ـ أو الكندي : أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب (عميد الملك الكندري) وكان من رجال الدهر جودا وكتابة وشهامة استوزره السلطان طغرلبك السلجوقي . وكان في بادىء أمره قد بعثه ليخطب له امرأة فتزوجها فخصاه طغرلبك ، وكان شاعرا مجيدا توفي سنة ٤٥٧ هـ (وفيات الاعيان ٥/٤٥٧) .

(١٢٠) ديوان صرّدرّ ص ٥٣ ، ٥٦ .

وابن التعاويذي وهو يمدح صلاح الدين الأيوبي يستهلها بالغزل مقلدا صرّ درّ في قصيدة مطلعها :

ان كـان دينُـكَ في الصَبـابة دينـي
فَقِفِ المَطيَّ برملتـي يَبْـرينِ(١٢١)

ويستمر في تشبيبه لثمانية عشر بيتاً ثم ينتقل الى ممدوحه :

ومـن البليـةِ أن تـكون مَطالبي
جَـدوى بَخيـلٍ أو وفـاءَ خـؤونِ
ليت الضنينَ عـلى المُحِب بوَصْلِـهِ
لقِـنَ السماحةَ مـن صـلاح الـدينِ
ملك اذا عَلِقَتْ يـد" بذمـامهِ
علِقتْ بحبـلٍ في الوفـاء متـينِ

وينتقـل صرّ درّ الى مدح شجاعة ممدوحه الكندري :

يا عـز مـا أَبصرتُ فـوقَ جبينـه
الا اقتضـاني بالسـجود جبينـي
يجلـو النواظـرَ في نواحي دَسْتِـه
والسرجُ بـدر دُجىً وليـثُ عـرينِ

وابن التعاويذي يمدح شجاعة ممدوحه صلاح الدين ونفس الألفاظ نجدهـا بينة واضحـة :

قـادَ الجيـادَ معـاقلا وان اكتفـى
بمعـاقلٍ من رأيـهِ وحصـونِ

---

(١٢١) رملتا يبرين : وابرين لغة فيه : رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة وقيل انه من أصقاع البحرين ، روى ياقوت في معجمه عن جرير قولـه :

لمـا تذكـرت بالـديرين أرقنـي — صوت الدجاج وضرب بالنواقيس
فقلت للركب اذ جد الرحيل بنـا — يا بعد يبرين من باب الفـراديس

لــو أن لليث الهــزبر سـطاه لــم

يلجـــأ الى غــابٍ لـــه وعــرينِ

ويدانى ابن التعــاويذي في مدح نداه وجوده :

يثني عليـكَ المعتفـونَ بهـــا كمـا

تثني الـرياضُ عـلى السحاب الجونِ

كما فعل (صر ّدر) وهو يمدح كرم الكندري ويديه المبسوطتين :

والقصيدتان تزخران بالعواطف المؤججة الصــادقة والتشبيهات الرائعـــة والألفاظ الصارمة من حصون ، ليث عرين ، هزبر ، سطاه ، ونفس ابن التعاويذي أطول اذ تبلغ قصيدته واحدا وسبعين بيتاً ، أما قصيدة صر ّدر فتبلغ أربعين بيتاً .

وقد وجد ابن التعاويذي في قصيدة المتنبي التي في مدح كافور الأخشيدي المستهلة بالغزل مطلعها :

من الجــآذر في زي الأعـــــاريبِ

حمـرُ الحلَى والمطـايا والجــلابيبِ(١٢٢)

خير نمط لما يجيش في قلبه تجاه صلاح الدين فحاكاها بقصيدة مطلعها :

سِـربٌ مَهــا أم دُمَى مَحـــاريبِ

أمْ فتيـــاتُ الحَـي الأعـــــاريبِ(١٢٣)

وقــد بـدأها بالغــزل بالفتـــاة العربيـــة وحــاكى المتنبي بالتشبيب بجمالها الطبيعي وينفذ المتنبي الى مدح شجاعة ممدوحه وقوة بأسة واقتداره :

يُدبِّـرُ الملـكَ من مصـرٍ الى عـــدنٍ

الى العـراق فأرضِ الـرومِ فالنـوب

يُصرّفُ الأمـرَ فيهـا طينُ خاتِمـهِ

ولَـوْ تَطلّسَ منـه كـلُ مـكتوبِ

---

(١٢٢) ديوان المتنبي ص ٤٤٨ ـ ٤٥٢ .

(١٢٣) الديوان ص ١٨ ـ ٢٢ .

أَضَـرَتْ شـجاعتُه أقصى كتائبـه
علـى الحِمام فمـا مَوْتٌ بمرهـوبِ

ويسير ابن التعاويذي على نمطه في ابرازه شجاعة ممدوحه وقوة ضرباته :

حـامي ثغـورِ الاسلام بالهنـدوانيـاتِ والضُمَّرِ السَراحيب(١٢٤)
بـكل ماضـي الغِـرارُ مُنصلِتٍ
وكـل سـامي التليـلِ يَعْبـوب(١٢٥)
خواضِ مَوْجِ الوَغَى وقـد أُخِـذَتْ
أَبطالُهـا الحُمْسُ بالتـلابيبِ(١٢٦)

ويذكر ندى صلاح الدين وتعطشه الى وِرده :

رَوَيْتَ آمالَنا العِطاشَ بشُؤْ بوبِ عَطاءٍ في اثر شُؤبوبِ
وكان يا يوسفَ السَماحِ بنا الى عطاياكَ شَوْقُ يعقوبِ

والمتنبي يقول في كرم صاحبه ونداه المنهل :

قالوا : هجرتَ اليـه الغيثَ قلتُ لهـم
الى غُيـوثِ يَديْـهِ والشآبيب

ويختتمها بالفخر بنفسه وعلو همته وابن التعاويذي بالدعاء لممدوحه وهـو أطول نفساً بقصيدته التي بلغت ثمانية وسبعين بيتاً أما قصيدة المتنبي فقد بلغت ستة وأربعين بيتا •

---

(١٢٤) السراحيب : فرس سرحوب : فرس طويلة •
(١٢٥) اليعبوب : الجواد السهل في عدوه • والتليل : الشديد من الابل •
(١٢٦) الحمس : الأمكنة الصلبة • جمع أحمس : وهو لقب قريش وكنانة ومن تابعهما في الجاهلية لتحمسهم في دينهم أو لالتجائهم الى الحمساء وهي الكعبة لأنَّ حجرها أبيض الى السواد •

ب ـ مركزه في الشعر العربي :ـ

يتمتع ابن التعاويذي بمنزلة لا تداني في مجتمعه ويظفر بتقدير الخلفاء والحاكمين وبقدر كبير من الهيبة والثقة لسعة اطلاعه وكثير علمه ، وجميل نظمه لدى الأدباء والشعراء كافة ، فهو يهجو الأبله البغدادي ويهجو ابن المعلم ولكن أحدا لم يجرؤ على مسه بكلمة واحدة من الهجاء ٠

وقد كان شاعرنا ينصح الخلفاء ويدلهم على مواطن التذمر ويشير الى الولاة الذين يمعنون في ايذاء الشعب أو تناسي وجوده ، ويهدد بوقوفه الى جانب المظلومين ضد السلطة ان لم يوضع حد لذلك ، نجد ذلك صريحا في قوله يعرّض بالوزير ابن البلدي :

أَلا مُنصِفٌ لِيَ مِن ظالِمٍ تَملَّكني جَوْرُهُ واسترَقْ
فلا عِرضُهُ قابلٌ للثناء ولا عِطفُهُ بالمعالي عَبِق
وليس لهُ من سجايا الملوكِ غيرُ اللَّجاج وسوءِ الخُلُقْ(١٢٧)

واحسب أن من أسباب علو مكانته نشأته في ظل جده ابي محمد المبارك الذي عرف بالورع والتقوى ، وبما هو عليه من صلة قوية بالأسر العريقة بالمجد والحكم كآل السوامي وآل الرفيل ، فكلمته عندهم مسموعة ورأيه نافذ ، وكان ينظر اليه علماء العصر وأدباؤه نظرة احترام وتقدير ، فقد روي أن الشيخ القاضي شهابالدين محمود لا يفارق ديوانه ويعجبه طريقه ويقتفي اسلوبه ، وهو بما عليه من مكانة علمية وأدبية بين القوم ، وديوانه كان مجمع الأدباء والشعراء والعلماء ومحجة طالبي الشعر المنضّد المثير والأدب الحق ٠ وحين شعر ذات مرة بعتب عضدالدين ابن رئيس الرؤساء عليه لامتداحه من لا يربطه معهم ود ، تقدم اليه معتذرا تتقدمه زفرات حرّى انطلقت عن صدر يضم بين جوانحه لهم من الحب ما الله به عليم :

أُبيِّنُكم أنّي مشوق بكم صَبُّ
وأنّ فؤادي للأسى بعدكم نَهْبُ

---

(١٢٧) الديوان ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ٠

ويعيد ذكريات صباه وما غمروه به من فضل لا ينسى وحب آسَرَه ، فهو لا يلام اذا أحس بوطأة صدودهم عنه وجفاهم له ثقيلة لا تحتمل :

صَحِبتُهم والعود يقطرُ ماؤُه
رَطيبٌ وأثواب الصبا جُدُدٌ قُشُبُ

وينطلق لدالةٍ وعمق صلة ليس بالميسور صرم حبلها :

أَعِدْ نَظَرًا فيمن صفا لك قلبه
وخاطرُه فالشعر مَنْبتُه القلبُ(١٢٨)

ومما يدل على متانة صلته بذوي السلطان التي هي وليدة الاعجاب بشاعريته وبأدبه أنه يعتب على صلاح الدين الأيوبي لمساواته بغيره من الشعراء :

حاشاك أنْ تُرسِل الصلات على
غير نظامٍ وغير ترتيبِ

سوَّيتَ بي في العَطاء من لا يجاريني في مذهبي واسلوبي(١٢٩)

ومنزلته الأدبية تسمو به أن يقرن بغيره من معاصريه من الشعراء ، ولِمَ لا وهو الشاعر المبدع الذي أتى بما لم يستطعه معاصروه وفاق من سبقه بمائتي سنة (١٣٠) فهو صاحب فكرة ثرة لا تعرف النضوب وحس مرهف وذهن وقاد وبديهة حاضرة ، يرتجل الشعر في سلاسة وابداع ، فانظروا الى ارتجاله حين خرج بصحبة الخليفة في استقبال عضدالدين :

بعلو جَدِّكَ يَستَعِدُ الدهرُ	والى فَخارك ينتهي الفخرُ
أقبلتَ والاقبالُ في قَرَنٍ	وقَدِمتَ يَقدُمُ جيشَك النصرْ
وتوحشتْ بغداد لا عَدِمتْ	بكَ انسَها وتجهَّم القصرُ

(١٢٨) الديوان ص ٣٠-٣٣ .
(١٢٩) الديوان ص ٢١ .
(١٣٠) وفيات الأعيان ٤/٩٠ .

لا تختقِرْ أمَدَ الفِراق لها فَلَساعةٌ هيَ عندَها شهرُ
أتُلامُ أنْ أبدتْ كآبتها أرضٌ يَحِلُ بغيرها القَطْرُ(١٣١)

هو يعاتب علية القوم ان وجد ما يوجب العتب ـ قال يعاتب أبا الفتوح القوال على تأخره عن زيارته :

يا مُوسِعي جَفوةً وصَدّاً قد ضاق بالبُعد عنك ذَرْعي(١٣٢)

ويعاتب رئيس حجاب قصر الخلافة وبأسلوب يرينا ما كان يتمتع به من مقام :

فاجتنِبْ لا تقِفْ بِجُهدِك في موضع عَتْبٍ فانَّ عَتبي مُمِضُ

ويهدده ان حاول اهانة ولده الذي كان يعمل حاجبا من جملة حجاب القصر :

لا تُمِلْ غُصنَ دوحتي فهو لا يَقْبَلُ كسراً وَعُودُه اللَدْنُ غَضُ(١٣٣)

وقد تمكن من الشعر حتى أنه يكيّفه حسب هواه وحسب ما يريد دون كد لقريحته أو اجهاد لأحاسيسه ، ولا تستعصي عليه قافية ولا وزن ويأتي بالكلمة بمعناها الذي فصل على قدرها وكأنه فنان ماهر تمكن من صنعته ومهر بها مهارة رفعته الى درجة لا تنال ، فقد طلب اليه الامام المستضيء سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة الهجرية مدحه عن وزن عينه فأجاد بقصيدة مطلعها :

وأغَنَّ معسولِ المراشفْ كالبدر مصقولِ السَّوالفْ
يَتَظلَّم الخَصْرُ الضعيفُ إليه من ثِقلِ الرّوادفْ
وَسَدْتُه كَفّي وبات مُوسدِي خداً وسالِفْ
فلثمتُه حُلْوَ اللمى وضممتُه لَدْنَ المعاطفْ(١٣٤)

وطلب المستضيء هذا يدلنا على بعض عناية الخلفاء والحاكمين بشعره والتلذذ به والتغني بشوارده في أوقات فراغهم ، وكان عالماً بمنزلة شعره وقيمته لذلك

---

(١٣١) الديوان ص ٢٠٥ .
(١٣٢) الديوان ص ٢٧١ .
(١٣٣) الديوان ص ٢٥٤ .
(١٣٤) الديوان ص ٢٨١ .

رأيناه يباهي به ويفخر ، نلحظ ذلك في نهاية أغلب قصائده ، ويصرح بأن الشعراء سيقلدونه بها من بعده :

مِـدَحٌ فيـكَ لي سَـيقْتَصُّ آثـا
رِيَ فيهـا من بَعـديَ الشـعراءُ (١٣٥)

ويصرح مفاخرا بأنها تجوب الحزون والوهاد غير مكتسب أو طالبٍ جزاء انما عن حب واعجـاب :

فأضحتْ بهنَّ صدورُ الرواةِ مملـوءةً وبطـونُ الكُتُـبْ
وسـيرتُها فيك تطوي البـلادَ فأيَّ حُـزونٍ فَلا لم تَجُـبْ
وَجوَّدهـا فيك اني بهـا مُـوالٍ لمجـدكَ لا مُكْتَسِبْ (١٣٦)

فهو من أفاضل الشعراء المقدمين (١٣٧) على مستوى العالم العربي الاسلامي في زمانه وقد أجمعت المصادر على هذا (١٣٨) لما جاء به من بلاغة الشعر وعذوبته ، وقد خص بتجويده موسيقاه حتى هزت كل سامع وقد رصعه بالصنعة التي جاءت فيه زينة مطرية لا تعمي البصر ولا تكد الذهن انما أضفت على انكشافه ووضوحه ، وقول المرحوم الدكتور مصطفى جواد خير ما نختتم به هذا القول : « شعره روضة غناء من رياض الشعر العراقي بلغ فيـه الفـن الشـعري الصناعي غايتـه القصوى » (١٣٩) .

وقد أكثر المؤرخون من الاستشهاد بشعره باعتباره الشاعر المجيد الذي يمثل عصره أجمل تمثيل وقد بقي شعره يتغنى به ويقتفي فيه ، حتى انه أثر فيمن جاء بعده تأثيراً لا يمكن أن يمحى أو يتناسى ، نلمح ذلك في شعر البهاء زهير فحين

---

(١٣٥) الديوان ص ٦ .
(١٣٦) الديوان ص ٣٠ .
(١٣٧) مضمار الحقائق ، ص ٢٢ .
(١٣٨) تنظـر وفيـات الأعيـان ٤/٩٠ ، ٦/٣٩٦ ، ونسـمة السـحر ٢/٢٤٥ وشذرات الذهب ٤/٢٨١ .
(١٣٩) مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٥ مجلد ٣ جـ ٢ .

تقرأه ينقلك احساسك الى شعر ابن التعاويذي ولا نتحرج في اطلاق مثل هذا على شعر البوصيري في القرن السابع بل شعراء العصر الحديث الفحول أيضاً أمثال شوقي وحافظ والحبوبي • فمن أي باب دخلت وجدت نفسك في خضراء مونقة الثرى • فالماء الصافي المتدفق والأشجار الطرية المورقة والأوراد المتفتحة وقد تناثر الطل على وجناتها فبانت مثقلة وكأنها ثملة ملتاعة بهجران الحبيب أتعبها الصبر وأسكرها الأمل فبانت مراض الجفون لا يسلم من سهامها قلب إلا بات يئن ويطلب الخلاص ولات حين مناص •

جـ ـ أثره في الشعراء الذين جاءوا بعده :

ترك شعر ابن التعاويذي أثراً كبيراً في نفوس شعراء جاءوا بعده ، فقد وجدوا أنفسهم أمام بحر يزخر بكنوز تبهر بلآلئها ودررها ، فراحوا يكثرون من أخذ ما تقع عليه عيونهم بنهم شديد ، ولم يتركوا مكاناً يظنون فيه ما يعنيهم إلا ولجوه فأكثروا مما أخذوا ، فقادنا أثر ما أخذوا الى بيان هذه الآثار ، فهذا البوصيري (١٤٠) يتغنى بحب الرسول الكريم بقصيدة مطلعها :

كيف ترقَى رقيَّك الأنبياءُ　　يا سماءً ما طاولتْها سماءُ
تتباهى بك العصور وتسمو　　بك علياء بعدَها علياءُ
وبدا للوجود منك كريم　　من كريم آباؤُه كُرَماء(١٤١)
نَسب" يَحسِبُ العُلا بِحُلاه　　قلَّدتْها نجومُها الجَوزاءُ

ونتحسس بأننا قريبو عهد بسماعها ، وبعد تأمل ليس بطويل نجده قلّد بها سبط ابن التعاويذي في همزيته التي مدح بها الامام المستضيء حيث سار على نمطها وزناً وقافية ومضموناً :

خَجِلتْ من عَطائك الأنواء　　وتَجلتْ بنورك الظَلْماءُ
أنتَ حبلُ الله الذي فاز من أد　　نَتْه منه مودة وولاءُ

---

(١٤٠) البوصيري او البويصيري أو الأبوصيري : محمد بن سعيد ينتمي الى بني حبنون فرع من قبيلة صنهاجة ، والبوصيري نسبة الى قرية بوصير وتقع بين الفيوم وبني سويف توفي سنة ٦٩٦ (مقدمة ديوانه ص ٥) •

(١٤١) ديوان البوصيري ص ١ـ٢٩ •

خيرةُ الله في الأنام وأعلام الهدى والأئمة العلماءُ
لكم المحتِدُ المقدّس والمجد القُدامَى والعزةُ القعساءُ(١٤٢)

وتأثر البوصيري بابن التعاويذي واضح في أغلب قصائده ، فحين أراد صب عواطفه المؤججة في حب النبي الكريم وجد في قصيدة ابن التعاويذي التي يمدح بها الامام المستضيء ومطلعها :

لولاك يا خير من يمشي على قدمِ
خاب الرجاء وماتت سُنة الكرَمِ(١٤٣)

خير ما يعبر بها عن لواعجه وهيامه فقال قصيدته المشهورة :

أمِنْ تذكر جيرانٍ بذي سَلَمِ
مزجْتَ دمعا جرى من مُقلَةٍ بدمِ(١٤٤)

فقد قلّدها بالوزن والقافية والمعنى ، بل نجد كثيرا من الكلمات التي استعملها سبط ابن التعاويذي استعملها هو فابن التعاويذي يقول :

فلْيَهنِكمُ شَرَفٌ ثانٍ الى شرفٍ
طُلْتُم به الناسَ من عُرْبٍ ومن عجمِ
خيرُ البلاد مكانٌ أنتَ واطِئُه
وأمّةٌ أنتَ منها أفضلُ الأممِ

والبوصيري يقول :

محمدٌ سيد الكونين والثقلين والفريقين من عُرْبٍ ومن عَجَمِ
لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرُسْل كنا أكرمَ الأممِ

---

(١٤٢) الديوان ص ١ـ٦ ·
(١٤٣) الديوان ص ٣٧٧ ·
(١٤٤) ديوان البوصيري ص ١٩٠ ·

وابن التعاويذي ينعته بكرم الأخلاق وقد أحياها بعد مواتها :

يا مَنْ بـه نشر الله السماحَ ومَن
أحيا بـه كـرَمَ الأخـلاق والشيَمِ

والبوصيري يقول مثل هذا :

فمـا تَطـاوُلُ آمـالِ المـديح الى
ما فيـه من كـرَم الأخلاق والشيمِ

ومدح ابن التعاويذي الأمير عمادالدين ناصر الاسلام (صندل) وكان استاذ الدار وهنأه بالنصر الذي تم على قيماز ومن معه من الأتراك :

يا خير مُنتَصِرٍ لخير إمامِ حقاً دُعيتَ بناصر الأسلامِ(١٤٥)

فقلدها البوصيري وزناً وقافية :

عَرّجْ برامةَ أنها لمرامي وبجيرةٍ فيها عليٌ كرامِ(١٤٦)

ويذكر ابن التعاويذي شجاعة ممدوحه ويشبهها بالآساد :

قومٌ اذا اعتقلوا أنابيبَ القَنا
لِوغىً حَسِبتَ الأُسْدَ في آجامِ
غُلْبٌ ولكنْ في المغافر منهم
حَدَقُ المَها وسوالِفُ الآرامِ

والبوصيري يقول :

وقضتْ مَهابتكم بترك زيارتي
من ذا يزور الأسدَ في الآجامِ
لأعفرنَّ بأرضكم خَدَّيَ من
مَمْشى المها ومَراتع الآرامِ

---

(١٤٥) الديوان ص ٣٧٩ .

(١٤٦) ديوان البوصيري ص ٢٠١ .

وهذا هو البهاء زهير (١٤٧) يقتفي آثار سبط ابن التعاويذي فالناظر في ديوانه يجده نسيجاً مشابهاً كل الشبه لنسج ابن التعاويذي ولا يبتعد عنه أبداً فهو ملازم له ومحاك فحين نقرأ قوله :

وغانيةٍ لما رأتني أعولَتْ
وقالتْ عَجيبٌ يا زهيرُ عَجيبُ
رأتْ شَعَراتٍ لُحْنَ بيضاً بمَفرقي
وَغُصنِيَ من ماء الشباب رطيبُ
لقد أنكرتْ مني مَشيباً على صِبا
وقالتْ مشيبٌ قلتُ ذاك مشيبُ
وما شِبْتُ إلاّ من وقائع هَجرها
على أنّ عهدي بالصِبا لقريبُ(١٤٨)

نجده قلده في قوله :

قالت وَرِيعتْ من بياضِ مفارِقي
وشُحُوب جسمي بأنَ منك الأطيبُ
ان تنقَمي سُقْمِي فَخَصرُكِ ناحلٌ
أو تُنكِري شَيْبي فثَغرُكِ أشنَبُ(١٤٩)

وفي قوله :

والشيبُ لا يُغْضَى لـه عن هَفوةٍ
وأخو الصِبا مغفورةٌ زلاّتُهُ

(١٤٧) البهاء زهير : أبو الفضل زهير محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر المهلبي الأزدي ويلقب (بهاءالدين) • توفي سنة ٦٥٦ هـ (البهاء زهير ــ دكتور عبدالفتاح شلبي ص ٣٦) •

(١٤٨) ديوان البهاء زهير ص ٢٥ •

(١٤٩) الديوان ص ٢٣ •

ومن العجائب أنهنَّ أخذنني
بذنوبه ظُلْماً وهُنَّ جُناته(١٥٠)

وقول البهاء زهير :

أرى قوماً بُليتُ بهم نصيبي منهم نَصَبي(١٥١)

يشبه قول ابن التعاويذي :

يا رب كيف بلوتني بعصابةٍ
ما فيهم فَضْلٌ ولا إفضالُ(١٥٢)

وأخذ قوله لفظاً ومعنى :

يومنا يومٌ مطيرُ ولنا كأسٌ تدورُ
ومُقامٌ تحسب الأر رض بنا فيه تسيرُ
وسقاةٌ مثل ما نهو ى شموسٌ وبدورُ
واذا غنَّى تموجُ الأرضُ منه وتمورُ
وقدورٌ هدرتْ فهي على الجمْرِ تفورُ

ويطلب الى صديقه أن يوافيه لتتم الفرحة :

مَجلسٌ أنْ زرتَنا فيـ ـهِ فقد تمَّ السرورُ(١٥٣)

من قول ابن التعاويذي :

لدينا يا ابنَ اسماعيلَ قِدْرٌ
تفور وقهوةٌ صرفٌ تدورُ

(١٥٠) الديوان ص ٦٣ .
(١٥١) ديوان البهاء زهير ص ٤٤ .
(١٥٢) الديوان ص ٣٥٦ .
(١٥٣) البهاء زهير ـ شلبي ص ١٠٢ .

وســـاقٍ كالقضيب الــرطْب لاطٍ
حشــاه وردفُـه عــالٍ وثــير
ومُحسِنَةُ الغنــاءِ اذا تغنَّــتْ
حسبتَ الأرضَ مــن طـربٍ تسير
ونحـن اذاً عـلى أوفـى سـرورٍ
وإنْ وافيتَنـا كمـلَ السـرور

فبادرْ بالحضور على اقتبال النهار فيومُنا يومٌ مَطير(١٥٤)

ولكنَّ البهاء زهير عرف بين الباحثين ونشر ديوانه قبل أن يعرف ابن التعاويذي ، وهذا ما جعل شعره ينتشر ويذيع ويخفي عن الناس مصدره وبعد أن يلج القارىء في ديوان سبط ابن التعاويذي يجد أن شعر البهاء زهير مأخوذ أكثره منه لفظاً ومعنى وقافية ويلمح الفرق بين الشعرين بيناً واضحاً في الاسلوب والصور والاخيلة والملكة الخلاقة ٠

وبعد أن توقفنا مع شاعرين قريبي عهد بابن التعاويذي أخذا عنه وتأثرا به نأتي في تطوافنا الى شعراء العصر الحديث فنقف مع أحمد شوقي في همزيته يمدح الرسول الكريم :

وُلِدَ الهُدى فالكائنات ضياءُ
وفـم الزمان تبسم وثناءُ(١٥٥)

ونتساءل : أأخذها عن شاعرنا أم عن الحارثة بن حلزة اليشكري ؟

ولا يطول بنا الجواب : فان مضمون قول شوقي ومضمون همزية شاعرنا في مدحه الامام المستضيء واحد ، وكلتا القصيدتين تظللهما الروح الدينية الاسلامية العنيفة ٠ وهذا ما يجعلنا أن نقطع باستبعاد تقليد شوقي لليشكري ٠

وحين نمتع بقصيدة (زَحْلَة) لأحمد شوقي والتي مطلعها :

---

(١٥٤) الديوان ص ٢٣٠ ٠
(١٥٥) ديوان أحمد شوقي ١/٣٤ ٠

شيعتُ أحلامي بقلبٍ باكِ
ولمحتُ من طرف الملاح شباكي

ومنها :

ورجعت أدراجَ الشباب ووردِه
أمشي مكانَهما على الأشواكِ
وبجانبي واهٍ كأنَّ خفُوقَه
لما تلفّتَ جهْشةَ المتباكي
قد راعه أني طويتُ حبائلي
من بعد طول تناولٍ وفكاكِ
لم تبقَ منا يا فؤادُ بقيةٌ
لفتوةٍ أو فضلةٌ لعراكِ(١٥٦)

تأخذ بنا الذكريات سراعاً الى سبط ابن التعاويذي حيث يقول :

لم يَبْقَ لي في هوى الغواني
منذُ تقضّى الصبا طَماعَه
أعرضْنَ عني فكنتُ قِدماً
فيهنَّ ذا إمرةٍ مُطاعَه
خلعتُ نفسي من التصابي
ما لأخي الشيبِ والخلاعَه
أنكرْنَ مني شيباً وعُدْماً
ولا بِضاعُ ولا بِضاعَه(١٥٧)

ونتحسس في قصيدة حافظ ابراهيم :

أوشك الديك أن يصيح ونفسي
بين همٍ وبين ظنٍ وحدْسِ(١٥٨)

---

(١٥٦) نفس المصدر ٢/١٧٧ ٠
(١٥٧) الديوان ص ٢٦٩ ٠
(١٥٨) ديوان حافظ ١/٢٣٠ ٠

تقليده لسبط ابن التعاويذي في قوله :

فهـذا الديك من طَـرَبٍ ينـادي
ويَخطُـر بـين اكليـل وتـاج[١٥٩]

وقول حافظ :

طلعتَ بهـا باليُمْن من خـيرَ مطلَع
وكنتَ لهـا في الفوز قِدح ابن مُقبـل
محـوتَ بـه في الـدين كـلَ ضلالـة
وأثبتَ مـا أثبتَ غـيرَ مُضلَل[١٦٠]

وقولـه :

ولّى زمـانُ المعتـدين كمـا انطـوتْ
حِيَـلُ الشيوخ وامـرةُ الخصيان
قـد جـاء يومهـم هنـا وامامهـم
بعـد النشر ، هنـاك ، يـوم ثـاني[١٦١]

يشبه قول سبط ابن التعاويذي :

أضحى بكَ الاسـلامُ وهـو محصَّنٌ
فعليـهِ سـورٌ من سُـطاك وخنـدقُ
عاجلتَ أهـلَ البغـي حـين تجمعـوا
وأريتَهم بالـرأي حـين تفـرقوا
ولّوا عـلى الأدبـار لا يـدرون أنهـم الى ورد المنيـة أسـبقُ[١٦٢]

---

(١٥٩) الديوان ص ٧٦ ، ٧٧ .
(١٦٠) ديوان حافظ ص ٣ .
(١٦١) نفس المصدر ص ٤١ .
(١٦٢) الديوان ص ٢٩٧ .

وفي قولـــه :

لمـا سـرتْ يقـــدمها حتفهـــا عصـــائب التـــرك الرعـادِدِ
ولّى عـلى أعقـابه كَلْبُهـــا طـــريدةً والـكلب مطـــرود
ومـن تبقّــاه الـردى منهـــم في الأسـر مكبـــول ومصفود(١٦٣)

ونلمح التقليد واضحاً في قول الحبوبي :

شمس الحميـا تجلتْ في يـد السـاقي
فشـع ضـوء سـناها بـين آفـــاقِ
خـــذْها كواكب أكـــواب يشعشها
ما يحتسي الطرف من أقـداح أحـداق(١٦٤)

فهو يقلد سبط ابن التعاويذي في خمرياته منها :

فقــد حـان الصبـوحُ وحَـنَّ قلبـــي
الى عـــذراءَ تـرقص في الـــزجاج
ودونـك فاقتبِسْ بالطـل منهـــا
سَـــنا يُغنيك عـن ضـــوء السـراج(١٦٥)

وقول الحبوبي :

فحسبك عـن بـــدرٍ بهـالة أنجـــم
وعن أسـدٍ ضـــارٍ باجمة آســـاد
ســـلمتَ لنـــا للملتجى خـير معقـل
يمـــد البـــرايا بـين سيب وامـــداد(١٦٦)

يشبه قوله سبط ابن التعاويذي :

---

(١٦٣) الديوان ص ١١١ ٠
(١٦٤) ديوان الحبوبي ص ١١١ ٠
(١٦٥) الديوان ص ٧٦ ٠
(١٦٦) ديوان الحبوبي ص ٢١٥ ٠

ملك اذا علقت يد بذمامه
علقت بحبل في الوفاء متين

لو أن لليث الهزبر سطاه لم
يلجأ الى غاب له وعرين

والأرض لو شيبت بطيب ثناه لم
تنبت سوى الخيري والنسرين(١٦٧)

ونجد غير هذا وذاك في دواوين الشعراء الذين جاءوا بعده فلا يسلم شاعر مطلع على أخبار الشعر وأهله من التأثر بهذا الشاعر المبدع ٠

---

(١٦٧) الديوان ص ٤٢١ ، ٤٢٢ ٠

خلاصة البحث

يصور هذا البحث شاعراً عُدَّ من أشهر شعراء عصره (١) ، هو أبو الفتح محمد بن عبيدالله بن عبدالله المعروف بسبط ابن التعاويذي •

ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة الهجرية لأب اسمه نشتكين وهو اسم يسمى به المماليك ، ومعناه « المقعد » وكان مولى لبني المظفر من آل الرفيل من الأسر العريقة في المجد والسؤدد ، وقد غيّر ابنه محمد هذا الاسم وجعله « عبيدالله » ولعله رآه اسماً تأباه عروبته وتنكره قوميته العربية ويرفضه اعتزازه بها أو وجد فيه نقيصة لمكانته ومقام اسرته ، وشب محمد في بيت جده لأمه أبي محمد المبارك بن المبارك السراج الجوهري الذي كان يلقب « بالتعاويذي » لأنه كان يكتب التعاويذ التي تعوّذ بها الأطفال لتقيهم من المكاره • وكان رجلا فاضلا زاهداً عرف بالورع بين الناس وكانوا يتبركون به لكرامته وهو من أصحاب الشيخ الأديب أحمد الدباس ، وأكبر الظن أن عبيدالله والد شاعرنا توفي ومحمد صغير فكفله جده ورعاه وشب في بيته فانتفع بعلمه ومكانته وجاهه وأطلق عليه لقبه وعرف به • وحين استوى عوده وهو يترع من معين العلم وينهل من ينبوع الثقافة عامة ، وقد زهت على علماء العصر ، مع زميله ورفيق صباه العماد الأصبهاني أظهر ميله للادب والشعر خاصة فألقى بعصاه بين قديمه وحديثه وملأ جعبته من هذا وذاك وحين نبغ تبدى الشعر على لسانه رقراقاً عذباً فعرف وذاعت شهرته وقدم على غيره (٢) عند الخلفاء والأمراء في العراق وفي مصر والشام • وعرف قيمة شعره ومنزلته بين القوم فراح يوليه بمقدار كبير من المباهاة على من سبقه من الشعراء وعلى من عاصره :

فاليكَ رائعةَ المعاني جزلةَ الألفاظ تَسهُلُ في عُلاك وتَجبل
فات الأوائلَ شأوها فلو اجتبت
في آلِ حربٍ لأدعاها الأخطل

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٩٠ •

(٢) مضمار الحقائق ص ٢٢ ، شذرات الذهب ٤/٢٨١ •

ان كـــان للشـــعراء مـــن تيـــــارها

وَشَنَـــل" فلي منها سحائِبُ هُطَّلُ (٣)

وانقطع الى آل الرفيل مواليه وأهل نعمته فقلدهم من غرره وفـاء منـه لهـم واعتزازاً بصداقتهم ولسان حاله يقول :

صحبتهـــمُ والعـــود يقطـــر مــاؤُهُ

رطيب" ، وأثواب الصبا جُدُد" قُشُبُ

هـــم علمـــوا نفسي الاباءَ فكيف لي

بتـــرك اباءِ النفس وهُوَلَهــا تِــربُ (٤)

ويعد أبرز الشعراء الثلاثة ، الحيص بيص والأبله البغدادي وهو ، الـذين انقطعوا الى الوزير يحيى بن هبيرة ، فكانت تـدور في مجلسه مطـاردات للشعر ومباريات بين الشعراء وفي سوح نعماه ايناعه وزهوه لما يصطفي الشعراء بـه من الجوائز السنية والعطايا ٠

وكان لشاعرنا مجلس يجتمع فيه أهل الأدب والشعر وأطواد العلم يقتفون اسلوبه وتعجبهم طريقه (٥) ٠

وقد فقد بصره سنة تسع وسبعين وخمسمائة الهجرية ، فتفجـر صـــدره بالأنين وظهر شعره مصورا نفسا منكسرة طالما عرفناها جريئة لا تعرف اليأس ، حتى مات سنة أربع وثمانين وخمسمائة الهجرية ودفن في مقبرة باب أبرز ٠

وقد عاش أبيا مترفعا لم يعرف الخنوع أو الانحدار الى هاوية الضعة اللهم الا ما بدا عليه في أخريات أيامه من حاجة دفعته الى التذكير بمعاناته من العـــوز والعمى والقعود في قعر دار مظلم ليله ونهاره :

---

(٣) الديوان ص ٣٣٠ ٠

(٤) الديوان ص ٣٣ ٠

(٥) ينظر نكت الهميان ص ٢٥٩ ٠

فمـــا ضَرَعي وليس بيَ انقيـــاد
لاحســـان ولا شَـغَف بحسْـن
ومـا أسَـفي عـلى فضـلات عيش
سـروري لا يفـي فيهـا بحُـزني
اذا نـال الفتـى شِـبَعاً بـذُل
أجعنـي واقيـاً عِـرضي أجعنـي(٦)

وثقافته التي شمنا برقها في شعره وليدة عاملين ، البيئة التي تفيأ بظلالها الوارفة ، واستقصاؤه آثار من سبقه من الشعراء والأدباء فمزج نبع القديم بينبوع عصره وزيّن ذلك بحلاه فجاءت تزهو بوضاءة العصر وزخرفة صافية واضحة لم نلمح المزج ولم يفقدها زينتها وجمالها •

وقد اكتنف عقيدته الغموض ولكننا استطعنا أن نتلمسها مما وجدناه مبثوثاً بين قصائده ، فهو مسلم متعصب لدينه •

وديوانه المطبوع سنة ثلاث وتسعمائة وألف الميلادية الذي أخرجه مرجليوث اعتمد في تحقيقه ـ كما ذكر على مخطوطتين : مخطوطة في المكتبة « البدليانية » وهي من مكتبات جامعة اكسفورد تعنى بالمخطوطات العربية وقد عملت لها فهارس وهذه النسخة مبوبة على الفصول حسب تبويب الشاعر ، والمخطوطة الثانية التي اعتمدها مرجليوث التي نسخها ابن دجاجة الأموي ، وقد أخرجها سنة تسع وسبعين وتسعمائة الهجرية وهي مبوبة تبويباً مغايراً لتبويب الشاعر اذ جاءت حسب القافية على حروف الهجاء ، وعلى نمطها رتب مرجليوث الديوان •

وفات المستشرق مرجليوث شعر كثير لشاعرنا ، ولا نقطع بأنه أسقطه عمداً غير أنه لم يذكره ولم يضمه الى الديوان ، فقد عثرت على تسعين وخمسمائة وألف بيت « ١٥٩٠ » منها قصيدة في المديح عدد أبياتها تسعة وستون بيتاً ومنها في الغزل قصيدة عدد أبياتها ثلاثة وعشرون ومائة بيت ، ومنها مقطوعات على جانب

(٦) الديوان ص ٤٤١ •

كبير من الجودة • وجدت كل ذلك بعد الاستقصاء في مخطوطتين احداهما في مكتبة كلية البنات والثانية في مكتبة جامعة الدول العربية مصورة من مكتبة محمد سرور الصبان في مكة المكرمة وهي كاملة جميلة الخط ثبت على صفحتها الاولى سنة نسخها وهي سنة خمس وثمانين وخمسمائة الهجرية ، أي بعد وفاة الشاعر بأقل من سنة وقد أفدت منها كثيرا وكشفت لي الكثير من الغموض الذي خيّم على شعره وحياته ، فعدد القصائد والمقطوعات فيها أربع وستون وثلمثائة (٣٦٤) وفي الديوان المطبوع (٣٣٢) • وعدد أبيات الشعر فيها أربعة وأربعون ومائتان وثمانية آلاف ، وفي الديوان (٦٦٥٤) بيتاً •

وقد حكم الباحثون لشعره بالجمال والحلاوة واللطافة مع جزالة التركيب وسهولة التعبير وانكشافه واشراقه واختياره الألفاظ لمعانيها اختيارا طبع شعره بطابع التفرد بين شعراء عصره ، وقد وسم اسلوبه بالرصانة وجودة الرصف والفصاحة والسلاسة والساق وراء الصنعة شأنه في ذلك شأن شعراء العصر وكاتبيه ، بيد أنه لم تغره بالاستسلام لها بل أخذ منها ما زيّن شعره من غير اسراف أو نهم ، فألفاظه بقيت بهذا قوية سليمة من أن تنوء بحمل ثقيل ومعانيه ثم تضعف أو تَهِ ، وباهى بألفاظه التي نالت من عنايته كثيرا وكأنه يعلم ذلك فتمكن من تصرف القول والمطابقة البليغة :

خُذْها اليكَ عقائلاً   مثل العذارى البيض نهّدْ
كالماء الا انها   من قوة الألفاظ جلمدْ(٧)

أو قوله :

اليكَ غراءَ من ثنائك لا   يَغُضُّ منها عِيٌ ولا حَصَرُ
كأنها روضة بِمَخْنِيَةٍ   باتَ يَمُجُّ النّدى بها الزَّهَرُ(٨)

---

(٧) الديوان ص ١٢٧ •

(٨) الديوان ص ١٦١ •

وقـــوله :

فـــدونك الفـاظاً عِـــذاباً هي الــرقى
اذا طـرقت ســمعاً ومعنى هــو السـحر
لهـا رقـة" في قـــوةٍ وجـزالـة"
هي المـاء مقطـوب بسَلسْساله الخمـــر(٩)

وشعرنا بما للقافية من قيمة عنده حيث اولاها عنايته في دقة الاختيار وجمال الاداء :

قـوافٍ كأني عـلى السامعين أُدير' بهنَّ شَمَوُلا عُقـــارا(١٠)

وقـــوله :

قوافٍ تسحَرُ الألبابَ حتى يُخَــالُ بهـا فُتُـور" واحورار(١١)

أما أوزانه فما خرج بها على دائرة الخليل ولم يجنح مع أوزان جديدة ابتكرت ولم يأنس لها ، وأغراض شعره عرفت عند التقليديين من الشعراء من مدح وغزل ورثاء وهجاء ووصف وشكوى وعتاب وأنين وأخوانيات ففي مدحه نحس بحرارة العاطفة وله قيمة فنية وتأثير في نفس السامع ، أما غزله فمن أرق الغزل وأعذبه ، ونفسه فيه طويل انفرد فيه بين الشعراء قدماء ومحدثين ، فله قصيدة في هـــذا الغرض بلغت أبياتها ثلاثة وعشرين ومائة بيت ، أما الوصف فله فيه ضروب واتجاهات ، فهو في وصفه المعارك يأتي باللفظ القوي والإسلوب الفخم الهـادر وألفاظه في وصف مجالس اللهو رقيقة ، واسلوبه سلس وفي وصف الطبيعة جميل رقيق ، أما اخوانياته فتسري في دم الصديق توقد جـذوة الحنان والوفاء ، وفي شكواه يشد القارىء اليه وكأنه يروح معه يردده ويئن أنينه ٠

وجاء بالشعر الاجتماعي والشعر السياسي لأنه كان يحس بأحاسيس الناس ويشعر بما يحدث في المجتمع فينعكس ذلك ترجماناً في صياغته حبات قلبـــه

(٩) الديوان ص ١٧٧ ٠
(١٠) الديوان ص ١٧٩ ٠
(١١) الديوان ص ٢٠٤ ٠

مشاركة ومؤاساة أو ثورة على الحاكمين أو مطالبة لهم بقصاص من المعتـــدين والظالمين :

لك يا أمـير المؤمنــين يـــد　　في الظـالمين وأخذهـم لـَبقـَـــه(١٢)

أو قوله وهو يعرض قضية على الخليفة ويطالبه بأن يقتص من مروعي الشعب :

اليك أمـيرَ المؤمنين قضيـةً　　اُعيـذك أن تلقى بهـا الله آثمـا(١٣)

وقد تأثر بالقدماء فقلّدهم وضمن أقوالهم وعارض ما راق له من قصـائدهم التي نالت اعجابه وتأثر بالقرآن الكريم فجاءت الآيات الكريمات برّاقة بين سطور قصـائده مقتبساً اياها كاملة أو اقتبس بعض معانيهـا ، وكان ذا مركز لامـع في الشعر العربي مما حمل المؤرخين والباحثين على الاستشهاد بشعره كممثل لعصره خير تمثيل ، ورجعت أبحث عن أثره في شعراء جاءوا من بعده فصدق قوله :

مِدَحٌ فيك لي سيقتص آثـا　　ري فيها من بعـدي الشـــعراء(١٤)

فأوقفني ديوان البهاء زهير ، ووجدته منكّس الرأس وعلامات الحياء تقـرأ في عينيه فنكته قصيدة قصيدة فاذا أغلب قصائده أخذها عن ابن التعـاويذي ، فهو سـائر على نمطه آخذ لقوافيه ووصفه وغزله لفظاً ومعنى ٠ ولكن اتيح لديوان البهاء زهير أن يطبع ويذاع وبقي شعر شاعرنا في عصره ولم يعرفه إلا الباحثون وما جاء متناثرا على ألسن المستشهدين من المؤرخين ، وقيامي بدراسة ضافية عن كل ما خفي من هذا الشاعر المطمور انما هو خدمة للعربية والمتغنين بأمجادها وخدمة للاجيال ، فاذا كان لزاماً على الباحث في الدراسات العليا أن يأتي بجديد فأحسب أنني قد جئت بشيء جديد هو هذا البحث المتواضع الذي لا أدعي أنـه يتصف بالكمال فان الكمال لله وحده ، ولا أعتقد أنه خاتمة البحوث في شعر هذا الشاعر ، ولكني أستطيع أن ابين ان هذا البحث اول بحث علمي جامعي تناول التعـاويذي

---

(١٢) الديوان ص ٤٨٩ ٠

(١٣) الديوان ص ٣٩٨ ٠

(١٤) الديوان ص ٦ ٠

وشعره بالتفصيل ، والى جانب هذا فيمكنني أن اقول انني قد توصلت الى ما تركه شعره في شعراء ظهروا بعد عصره كان ينظر الى شعرهم بالابتكار والخلق ، وجلونا ما كان قد منع الرؤية لمعرفة مكانته وعلو مقامه بين شعراء عصره ، وحسبنا ما وقعت عليه أيدينا من ثروة من الشعر كانت خافية لا علم لأحد بها ، فاحتفظنا بها لتضاف الى ديوانه الذي أرجو أن يولى العناية التي يستحقها ويخرج اخراجاً كاملا يليـــق بمكانته ٠

والله من وراء القصـــد ٠

which discusses his life and poetry in detail. Besides, I have been able to trace his impact on his successors, and above all I managed to discover so much of his poetry that no one knew about before, hoping that these verses will be added to his Diwan which deserves all care and attention.

after examining two manuscripts: the first I found at the library of College of Girls in Baghdad, and the second at the library of the Arab League, and on the first page of which, the date in which it was written was fixed: 585 (A.H.), that is a year after the poet's death.

These manuscripts contain 364 odes and short poems (maktu'a) the number of verses amounts to 8244. The Diwan edited by Margoliouth; however, contains 332 odes and short poems, and the number of verses is 6654.

The poet tried his hand at most of the poetical themes common to his time, such as panegyric, erotic poetry, poetry of complaint, epistolary poetry. He also composed political and social poetry which reflected the events of his time. He mostly followed Al-Khalil's metres.

The poet was influenced by his predecessors and he sometimes imitated (aradha) some of the poems he admired. The Koran also had a great influence upon him. He in his turn, influenced others. Most of Al-Baha' Zuhair's poems were taken from him. He imitated his metres, he descriptive and erotic poetry, whether in diction or meaning. Somehow Al-Baha's Diwan had the chance to be published and hence knoon to others, whereas our poet was left out, and hence littleknown.

In this study, I have tried to throw some light on the dark spots in his life and poetry; but the study, by no means, claims to be a complete picture of our poet. Nevretheless, I can safely claim it to be the first research work

Unfortunately, all those activities came to an end at the loss of his eye-sight in 579 (A. H.)

His dignified and enterprising spirit seemed to desert him. Poverty and blindness taught him to submit, and he lived in utter darkness and total despair until he died in 584 (A. H.)

As far as his beliefs are concerned, we know very. little. In two of his poems he made it quite clear as to what he really believes in (2). It is also mentioned by Al-San'aani(3) that he is one of the greatest Shi'i poets.

Margoliouth, in his publishing the poet's Diwan in 1903, depended upon two menuscripts :

1. The manuscript at Al-Badliyaniyah Library at Oxford, and it followed the poet's original arrangement of the material i.e. according to the themes.
2. The manuscript copied by Ibn-Dejaja in 979 (A.H.), and the material was arranged according to the alphabetic order of the rhyme. It is this system that Margoliouth followed.

So mueh of the poet's poetry is not included in Margoliouth's edition; not that we accuse him of dropping it on purpose.

I myself was able to find 1590 verses among which a poem in panegyric which consists of 69 verses, and a love poem which is about 123 verses. This I was able to find

(2) Diwan, P. 214, aud MS at the College of Girls. 2/180.

(3) In his MS "Nasmat Al-Sahar Fi Thikri Man Tashya'a Wa Sha'ar."

Abstract of the Dissertation

Abul Fath Muhammed Bin Ubaidullah Bin Abdullah known as Sibt Al-Ta'awithi is one of the most eminent poets of his age. He was born in 519 (A. H.) Owing to the death of his father while he was still a child, our poet moved to this grandfather's houss. His grandfather, who was a very honest and pious man, was called Al-Ta'awithi because he used he used to write charms (ta' witha) to protect children from evil. The poet was highly influenced by him, he learnt much from him, and it was after him that he was nicknamed.

The poet was edueated at the hands of the famous scholars of his time. His leanings towards literature and especially poetry showed themselves while he was s ill young, and by the time he grew up, he became well-known as a poet, and was preferred to others by princes and Caliphs in Iraq, Al-Sham and Egypt. Knowing how good his poetry was compared to others, he himself wrote verses in praise of the poetry(1)

His patrons were Al Al-Rufail, and he was considered the most eminent of the three poets (the other two are Heis Beis and Al-Ablah Al-Baghdadi) who were devoted to Al Wazir Yahyah Bin Huraira and at whose literary assemblies the poets used to compete with each o her in hope of being awarded generous gifts. Besides, the poet himself had his own literary assemblles where his admirers used to meet.

(1) Diwan, 330, 34, 12, 8, 204.

ا ـ المصادر والمراجع المخطوطة :

ـــ ديوان ابن التعاويذي ـ مخطوطة كلية البنات •

ـــ ديوان ابن التعاويذي ـ مخطوطة مكة المكرمة •

ـــ العسجد المسبوك ـ للخزرجي ـ مخطوطة رقم (٥٦) •

ـــ عيون التواريخ ـ ابن شاكر الكتبي ـ مخطوطة مصورة ٥/٣ ق٢ لسنة ٥٥٥هـ •

ـــ نساء الخلفاء ـ مخطوطة ـ ورقة ١٨٢ •

ـــ نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ـ يوسف الصنعائي ـ مخطوطة في مكتبة كاشف الغطاء ـ النجف ـ تقع في مجلدين •

ب ـ المصادر والمراجع المطبوعة :

ـ الأدب في عصر صلاح الدين ـ محمد زغلول سلام ـ مؤسسة الثقافة الجامعية ـ الاسكندرية سنة ١٩٥٩م •

ـــ الاعلام ـ خيرالدين الزركلي (الطبعة الثانية) بلا •

ـــ أنباه الرواة على أنباء النحاة ـ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة) سنة ١٩٥٠م •

ـــ الأنساب والذيل ـ ابن سعيد تاج الاسلام ابن محمد بن منصور السمعاني أو ابن السمعاني ـ طبع ليدن ١٩١٢م •

ـــ ارشاد الأريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الادباء ـ ياقوت بن عبدالله الحموي ـ تحقيق د • مرجليوث (مطبعة هندية بمصر سنة ١٩٢٥م •

ـــ البابليات ـ محمد علي اليعقوبي ـ المطبعة العلمية ـ النجف سنة ١٣٧٣هـ •

ـــ البهاء زهير ـ دكتور عبدالفتاح شلبي ـ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠ •

ـــ البداية والنهاية في التأريخ ـ عمادالدين بن كثير ـ مطبعة السعادة ـ

القاهرة ١٢٥١هـ ٠
ـــ تاريخ الأدب العربي ـ أحمد حسن الزيات ـ مطبعة الرسالة بمصر سنة ١٩٥٥م ٠
ـــ تاريخ الاسلام السياسي ـ الدكتور حسن ابراهيم حسن ـ مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٦٧ ٠
ـــ تاريخ آداب العرب ـ مصطفى الرافعي ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٥٣م ٠
ـــ تاريخ الأدب العربي ـ عمر فروخ ـ دار العلم للملايين سنة ١٩٧٢ ٠
ـــ تأريخ آداب اللغة العربية ـ جورجي زيدان ـ مكتبة الحياة ـ بيروت سنة ١٩٦٧م ٠
ـــ تأريخ الأتابكة ـ للامام العلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعزالدين ـ باريس ١٨٧٩م ٠
ـــ تأريخ دول الاسلام ـ للذهبي ـ حيدر آباد سنة ١٣٣٣ هـ ٠
ـــ تأريخ دولة آل سلجوق ـ للعماد الأصبهاني ـ اختصار الفتح ابن علي البنداري ـ مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٩٠٠م ٠
ـــ تأريخ ابن الوردي ـ ابو حفص زين‌العابدين عمر ـ القاهرة ـ المطبعة الوهبية ١٢٨٥هـ بجزئين ٠
ـــ تأريخ التمدن الاسلامي ـ جورجي زيدان ـ مكتبة الحياة ـ بيروت ٠
ـــ تأريخ الحلة ـ يوسف كركوش ـ طبع النجف سنة ١٩٦٥م ٠
ـــ تأريخ الشعوب الاسلامية ـ بروكلمان ـ ترجمة ـ نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ـ دار العلم للملايين سنة ١٩٤٨م ٠
ـــ تأريخ الطبري ـ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ مكتبة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠م ٠
ـــ تأريخ مختصر الدول ـ غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري (المطبعة الكاثوليكية) ـ بيروت سنة ١٩٥٨م ٠

ـــ تحفة الامراء ـ أبـو الحسن الهـلالي الصـابي ـ تحقيـق المستشرق آمندروز ـ طبعة بيروت سنة ١٩٠٤م ٠

ـــ تذكرة الحفاظ ـ للذهبي ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد سنة ١٩٥٧م ٠

ـــ التكملة لوفيات النقلة ـ زكي‌الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري ٠ مخطوطة في مكتبة الأسكندرية في حوادث سنة ٦٣٤هـ ـ حققها بشـار عواد ٠

ـــ تلبيس أبليس ـ أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ـ باعتناء محمد منير الدمشقي ـ مطبعة النهضة ـ مصر سنة ١٩٢٨م ٠

ـــ الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ـ تاج‌الدين أبو طالب علي بن أنجب بن الساعي ـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد جـ ٩ (المطبعة السريانية ـ بغداد سنة ١٩٣٤م ٠

ـــ حلية الكميت ـ شمس‌الدين محمد بن حسن النواحي ـ مطبعـة ادارة الوطن ١٢٩٩هـ ٠

ـــ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ـ عبدالرزاق بن الفوطي ـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد (مطبعة الفرات ـ بغـــداد ١٣٥١هـ) ٠

ـــ خريدة القصر وجريدة العصر ـ عمـادالدين الأصبهاني ـ جـ ٣ تحقيـق الاستاذ محمد بهجة الأثري (تحت الطبع) ٠

ـــ خزانة الأدب وغاية الأرب ـ تقي‌الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجـة الحموي ـ مطبعة دار القاموس الحديث ـ بيروت سنة ١٣٠٤هـ ٠

ـــ خلاصة الذهب المسبوك ـ عبد الرحمن سنبط قنيتو الأربلي (مكتبـة المثنى ـ بغداد) ٠

ـــ دراسات في الشعر في عصـر الأيوبيين ـ الدكتور محمـد كامل حسن (مطابع دار الكتاب المصري) ٠

ـــ دليل خارطة بغداد قـديماً وحـديثاً ـ الدكتور مصطفى جواد والدكتور

أحمد سوسه (مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٨م) .
ـــ ديوان ابن الرومي ـ كامل كيلاني ـ مطبعة التوفيق الأدبية ـ مصر .
ـــ ديوان ابن هاني الأندلسي ـ الدكتور زاهد علي ـ مطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٥٢هـ .
ـــ ديوان أبي العتاهية ـ دار بيروت للطباعة ـ بيروت سنة ١٩٦٤م .
ـــ ديوان أبي نواس ـ تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي ـ مطبعة مصر سنة ١٩٥٣م .
ـــ ديوان أحمد شوقي ـ المكتبة التجارية بمصر ـ مطبعة الاستقامة ـ مصر سنة ١٩٦١م .
ـــ ديوان امرىء القيس ـ حسن السندوبي ـ المكتبة التجارية بمصر سنة ١٩٥٩م .
ـــ ديوان بشار بن برد ـ محمد بدرالدين العلوي ـ دار الثقافة ـ بيروت سنة ١٩٦٣م .
ـــ ديوان البهاء زهير ـ ابراهيم جزيني ـ دار الكاتب العربي ـ بيروت سنة ١٩٦٨م .
ـــ ديوان البوصيري ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر سنة ١٩٥٥م .
ـــ ديوان جرير ـ دار بيروت ـ للطباعة والنشر ـ سنة ١٩٦٠م .
ـــ ديوان جميل بثينة ـ دار بيروت ـ للطباعة والنشر ـ سنة ١٩٦١م .
ـــ ديوان حافظ ابراهيم ـ طبعه وشرحه ـ احمد أمين وآخرون ـ المطبعة الأميرية في القاهرة سنة ١٩٤٨م .
ـــ ديوان محمد سعيد الحبوبي ـ مكتبة العرفان ـ سنة ١٣٣١هـ .
ـــ ديوان الخنساء ـ دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٦٣م .
ـــ ديوان زهير بن ابي سلمى ـ للامام أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ـ نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب ـ القاهرة ـ سنة ١٩٤٤م .

— ديوان سبط ابن التعاويذي — محمود سامي البارودي — القاهرة سنة ١٢٩٩هـ .

— ديوان سبط ابن التعاويذي — د. مرجليوث — مطبعة المقتطف — مصر سنة ١٩٠٣م .

— ديوان الشريف الرضي — دار صادر للطباعة — بيروت سنة ١٩٦١م .

— ديوان صرّدر — دار الكتب المصرية — القاهرة ١٩٣٤م .

— ديوان الطغرائي — مطبعة الجوائب — قسطنطينية سنة ١٣٠٠هـ .

— ديوان الفرزدق — دار صادر — بيروت ١٩٦٠م .

— ديوان قيس بن الملوح — شرح عبدالمتعال الصعيدي — مكتبة القاهرة .

— ديوان مهيار الديلمي — دار الكتب المصرية — القاهرة سنة ١٩٢٥م .

— ديوان لبيد بن أبي ربيعة — احسان عبدالقدوس — الكويت سنة ١٩٦٢م .

— ديوان المتنبي — دار صادر — بيروت ١٩٥٨م .

— ديوان النابغة الذبياني — دار صادر — بيروت سنة ١٩٦٠م .

— راحة الصدور وآيات السرور ، في تأريخ السلاجقة — للراوندي — ليدن سنة ١٩٢١م .

— رحلة أبن جبير — أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير — ليدن سنة ١٩٠٧م .

— رسائل ابن تيمية — تحقيق محمد رضا — مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤١هـ .

— زبدة النصرة — البنداري — ليدن سنة ١٨٨٩م .

— سيدات البلاط العباسي — الدكتور مصطفى جواد — دار الكشاف — بيروت سنة ١٩٥٠م .

— سير أعلام النبلاء — شمس الدين الذهبي — تحقيق محمد أسعد طلس (دار المعارف بمصر) .

— شذرات الذهب في أخبار من ذهب — عبدالحي بن العماد الحنبلي — مكتبة القدسي ١٣٥١هـ .

ـــ طبقات الأطباء ـ ابن أبي اصيبعة ـ القاهرة سنة ١٨٨٠م ٠
ـــ الطبقات الكبرى ـ المسمى بلواقح الأنوار في طبقات الأخبار ـ عبدالوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري المعروف بالشعراني ـ مطبعة البابي حلبي بمصر سنة ١٩٥٤م ٠
ـــ طبقات النحاة واللغويين ـ ابن قاضي شهبه ـ تحقيق الدكتور محسن غياض ـ مطبعة النعمان ـ النجف سنة ١٩٧٣م ٠
ـــ طبقات النحويين واللغويين ـ لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم بمصر سنة ١٩٥٤م ٠
ـــ طراز المجالس ـ أحمد بن محمد الخفاجي ـ القاهرة سنة ١٢٨٤هـ ٠
ـــ العبر في أخبار من غبر ـ شمس‌الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق الدكتور صلاح‌الدين المنجد ـ الكويت سنة ١٩٦٣م ٠
ـــ عقود الجمان في شعراء هذا الزمان ـ ابن الشعار الموصلي ـ طبع مصر سنة ١٢٨٤هـ ٠
ـــ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ ابن أبي اصيبعة ـ طبع دار الفكر ـ بيروت ٠
ـــ الغدير ـ عبدالحسين أحمد الأميني النجفي ـ الحاج حسن أيراني ـ دار الفكر العربي ـ بيروت سنة ١٩٦٧م ٠
ـــ الغيث المسجم في شرح لامية العجم ـ صلاح‌الدين بن أيبك الصفدي ـ المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٥هـ ٠
ـــ فاطمة الزهراء والفاطميون ـ عباس محمود العقاد ـ بيروت سنة ١٩٦٧م ٠
ـــ الفخري في الآداب السلطانية والدول الأسلامية ـ محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ـ مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٢٣م ٠
ـــ فوات الوفيات ـ محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ، تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد ـ مطبعة السعادة بمصر ٠
ـــ القاموس المحيط ـ مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ـ الحلبي وشركاه سنة ١٣٠٦هـ ٠

— القصائد العشر ـ الخطيب التبريزي ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ مكتبة محمد علي ـ مصر سنة ١٩٦٤م ·
— الكامل في التاريخ ـ عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني المعروف بابن الأثير ـ دار صادر بيروت سنة ١٩٦٦م ·
— كتاب الروضتين ـ لأبي شامة ـ تحقيق محمد حلمي ـ القاهرة ـ طبع المؤسسة المصرية العامة سنة ١٩٦٢م ·
— كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة ـ المطبعة الاسلامية بطهران ١٩٦٧م ·
— الكشكول ـ بهاءالدين العاملي ـ تحقيق طاهر أحمد ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة سنة ١٩٦١م ·
— كشف المحجة لثمرة المهجة ـ أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف سنة ١٩٥٠م ·
— لسان العرب ـ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ـ دار صادر ـ بيروت سنة ١٩٥٦م ·
— مختصر أخبار الخلفاء المنسوب الى ابن الساعي علي بن أنجب ـ المطبعة الأميرية ـ مصر سنة ١٣٠٩هـ ·
— المختصر في تاريخ البشر ـ أبو الفداء ـ طبع دار الكتاب اللبناني ـ بيروت سنة ١٨٧٠م ·
— مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ـ أبو محمد عبدالله بن أسعد ابن علي بن سليمان عفيف الدين اليافعي ـ طبعة حيدر آباد ـ الدكن ١٣٣٨هـ ·
— المستطرف في كل فن مستظرف ـ شهاب الدين أحمد الأبشيهي ـ القاهرة ١٩٥٣م ·

ـــ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ـ شمس الدين أبو المظفر يوسف الشهير بسبط ابن الجوزي طبعة حيدر آباد ـ دائرة المعارف العثمانية سنة ١٩٥٤م .

ـــ مضمار الحقائق ـ محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ـ تحقيق الدكتور حسن حبشي ـ طبع عالم الكتب ـ القاهرة سنة ١٩٦٨م ٠

ـــ معجم البلدان ـ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ـ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٦م ٠

ـــ معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي ـ اعتنى بطبعه مرجليوث ـ القاهرة سنة ١٩٢٣م ٠

ـــ معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة ـ مطبعة الترقي ـ دمشق سنة ١٩٥٧م ٠

ـــ المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ أبي عبدالله محمد بن سعيد الدبيثي ـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ـ مطبعة المعارف ـ بغداد سنة ١٩٥١م ٠

ـــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي ـ حيدر آباد ـ الدكن سنة ١٣٥٨هـ ٠

ـــ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ بحث منشور سنة ١٩٥٥م مجلد ٣ جـ ٢ للدكتور مصطفى جواد ٠

ـــ مجلة سومر ـ بحث للدكتور مصطفى جواد جـ٢ سنة ١٩٥٧م ٠

ـــ مجلة سومر ـ محاضرة ١٠ جـ ٢ ـ الربط البغدادي ـ للدكتور مصطفى جواد ٠

ـــ النبراس في تاريخ بني العباس ـ ابن دحية ـ نشره عباس العزاوي سنة ١٩٤٦م ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ٠

ـــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري الأتابكي ـ طبع دار الكتب ـ القاهرة سنة ١٣٥٥هـ ٠

ـــ نزهة الالباء في طبقات الادباء ـ ابو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري ـ مطبعة المعارف ـ بغداد سنة ١٩٥٩م ٠

ـــ نكت الهميان في نكت العميان ـ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ـ المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١١م ٠

ـــ النواد السلطانية والمحاسن اليوسفية ـ بهاءالدين بن شداد ـ تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م ٠

ـــ المنتخب من السنة ـ المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ـ طبع القاهرة سنة ١٣٨٢هـ ٠

ـــ الوافي بالوفيات ـ الصفدي ـ مطبعة الدولة استانبول سنة ١٩٣١م ـ باعتناء هلموت ريتر ٠

ـــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٨م ٠

فهرس الاعلام

ـ ا ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

- ح -

- خ -

- د -

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

- ش -

- ص -

- ض -

- ط -

- ع -

ـ ن ـ

– ي –

فهرس الاماكن

ـ ا ـ

ـ ب ـ

- ر -

- س -

- ش -

- ص -

- ع -

- غ -

- ق -

الفهـرس

الباب الثاني

صفحة

٤ ـ الفصل الرابع :

« اعتـــذار »

رغم الجهود المبذولة في مراجعة المسودات قبل طبعها فقد وقعت بعض الأغلاط والسقطات المطبعية فنعتذر عن ذلك ونرجو من القارىء الكريم اصلاحها قبل القراءة ٠

الغلط والصواب

الصفحة	السطر	الغلط	الصحيح
١٥	هامش ٣ سطر ٢	وقاد جيشها	وقاد جيشاً
١٩	٨	الحطبة	الخطبة
٢٠	هامش ٣٤ سطر ٢	الحللفاء	الخلفاء
٢١	هامش ٤٤	سيدات البلاط العباسي ص ١٠٨ ، ١٣١ ٠	سيدات البلاط العباسي ص ١٠٨ ، ١٣١ بتحقيق الدكتور مصطفى جواد
٢٣	٢٠	صغارر التجار	صغار التجار
٢٦	هامش ٧٣	مجلة سومر ٢/٢٢٢	مجلة سومر٢(١٩٤٦) ص٢٢٢
٢٧	٢	(٥) ٧	(٧٥)
٣١	هامش ٩٨	للقطفي	للقفطي
٣٢	تسلسل ٢٣	أبو الفتوح الاشعراييني	ابو الفتوح الاسفراييني
٣٤	١٧	التورارني	التوراني
٣٥	هامش ١٠٨	في المكتبة المركزية	في المكتبة المركزية في بغداد
٣٦	هامش١١١ سطر٢	قعه	قلعة
٣٧	هامش ١١٧	في خطبة	في خطبته
٣٨	١٦	آمتسز خوارزمشاه	خوارزمشاه التدنتاش
٣٩	١١	الماة موجزة بأدب القرن	المامة موجزة بأدب القرن السادس الهجري
٤٢	٤	من بيت الُفيل	من بيت الرُفيل
٤٢	هامش ٢	(ارفخري)	الفخري
٤٣	هامش ٩ سطر ٢	بن عبيدالله	ابن عبيدالله ٠
٤٣	هامش ١٢ سطر ٢	وكانقت	وكانت

الصفحة	السطر	الغلــط	الصحيـح
٤٣	هامش ١٣ سطر ٢	بمعاملة العكبه	بمعاملــة العكبــة (المتخلفين عن اداء الضرائب)
٤٦	هامش ٢٥ سطر ١	المعروف بابن البلدين	المعروف بابن البلدي
٤٦	هامش ٢٥ سطر ٤	استدعى ابن البلدين	استدعى ابن البلدي
٤٩	٦	يا عماد الددين	يا عمــاد الدين
٥٤	١٣	داس العثرى	داس الثرى
٥٥	١٠	فان عتبي معض	فان عتبي ممض
٥٨	١٨	انـدافع	انــــدفع
٦٠	١٦	واشام	والشـــام
٦٥	هامش ٨٦	لديوان	الــديوان
٦٦	هامش ٨٧	ببث	بثٌ
٦٧	٥	وخممائة	وخمسمائة
٧٥	٥	سانففض	سانفض
٧٧	٥	أعرض عن الدنيا المشبة	اعرض عن الدنيا المشوبة
٨٠	٧	الاصبراني	الاصبهــاني
٨١	١١	ـــــــ	يشطب السطر لتكراره
٨٤	٩	حتى انجلت شهاته	حتى انجلت شبهاته
٨٧	هامش ٣٩ سطر ١	الفاطمين	الفاطميــين
٨٧	هامش ٣٩ بعــد سطر ٥	.....	ويقصد بــه جوهر الصقلي القائد الشهير
٩٧	١١	مفانيها	مغانيهــــا
١٠١	١٢	وقال المستشر:	وقال المستشرق
١٠١	هامش ٤٢	مضمارر	مضمـــار
١٠١	٩	سريع الباردة	سريع البادرة
١٠٢	٩	بالغتك	بالفتــك
١٠٤	١١	حمام داررك	حمــام دارك
١٠٤	١٣	يا من اذا ضتت	يا من اذا ضنت
١٠٦	هامش ٧٠	البرية ٠	البــرية ٠ والسيد : بمعنى الذئب ٠ ويقال سِيدُ رمل، وفي لغة هُذيل : الاسد ٠

الصفحة	السطر	الغلــط	الصحيــح
١١١	٤	وضوؤها	وضوؤها
١١٢	هامش ١٨	الديوان ٣٠١	الديوان ص ٣٠١
١١٣	٧	العنوبة	العــذوبة
١١٨	٤	لو ان لليث الهزيز	لو ان لليث الهزبر
١٢٠	١	وفقاً لتغير البية	وفقاً لتغير البيئة
١٢٦	هامش ٩	الديوان	الــديوان ص
١٢٧	هامش ١٥	اليــوان	الــديوان
١٢٨	١	عــل	عــلى
١٣١	٩	ثبت للجنان	ثبت الجنــان
١٣٥	١٤	وطهاارة	وطهــارة
١٣٧	١	في عضد الدين	في عضد الدين
١٤٦	٦	وانصث	وانصت
١٤٦	١١	وببمعاده	وبسعادة
١٤٨	هامش ٤	دمنــه	دمنــة
١٤٩	١٠	غــزاه	غــزاله
١٥٤	٢١	وثبــدى	وتبــدى
١٥٦	هامش ٢	الجمه	الجمــة
١٦٤	٩	وقد ضب	وقد صب
١٦٤	١٧	نرســم	ترســم
١٦٦	٨	بأســمه	باســمة
١٦٨	٢	أحمة	أحمــــر
١٧٤	١٤	بــراح	وبــراح
١٧٦	٦	يطلب	يطلب
١٧٦	١٨	في هدا	في هــذا
١٧٧	١٠	المثاىا	المثــايا
١٧٧	١٩	افــاك	وافــاك
١٧٨	١٢	مطلىه	مطلعهـــا
١٨٥	٩	بلسان حاضر طيء	بلسان حاضر طيّيء
١٨٥	٢٠	كثيراً	كثــيراً

الصفحة	السطر	الغلط	الصحيح
١٨٧	٨	ما يبين	ما يبن
١٨٨	٥	ماخوذ ان	مأخوذان
١٨٩	هامش ٢٩	ص ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٥	ص ٢٦٤ـ٢٦٥ والسرحوب : الفرس الطويلة
١٩٤	٥	(٠٠)	(٥٥)
١٦٥	٢	في تفلبها	في تقبلها
١٩٦	هامش ٦٧	فسقى	فشقى
٢٠٤	١٥	للخلافة	الخلافة
٢٠٥	١٩	من عطلك	من عطائك
٢١٠	١	الهزير	الهزبر
٢١٠	١٦	خائيمة	خاتمة
٢١٥	١٧	يقتفي	يقتفى
٢١٨	٥	صندل	ويلقب بصندل المقتفوي وهو من القواد العباسيين البارزين وقبره اليوم بالكرخ ويعرف بالشيخ صندل
٢٢٣	هامش ١٦٢	الدوان	الديوان
٢٢٤	٨	يشعشها	يشعشعها .

رقم تسلسل التعضيد ١٢٥

٩٧٤ ـ ٩٧٥

سعر النسخة ١١٠٠

سعر النسخة ١١٠٠

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٢٣ لسنة ١٩٧٥